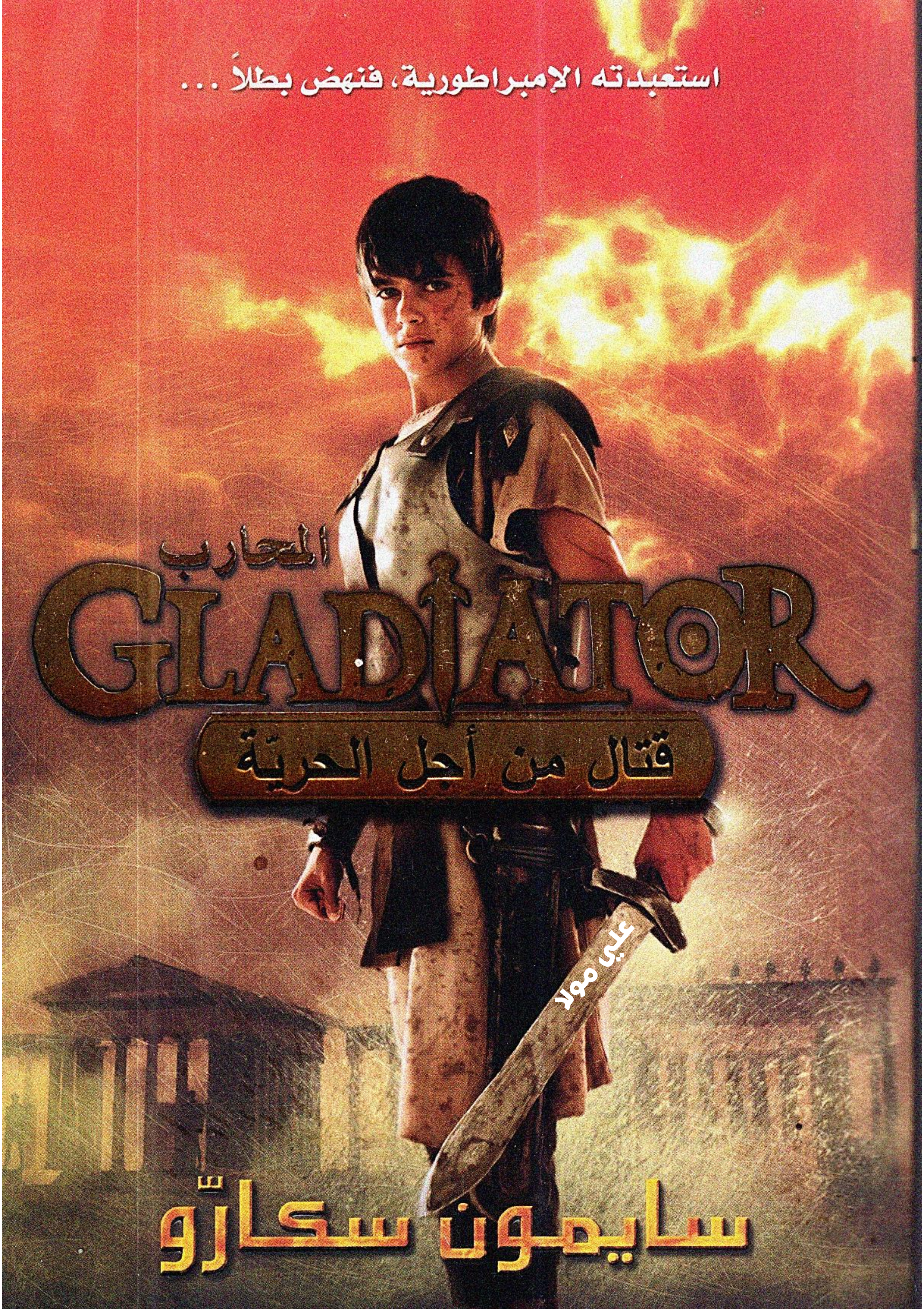

استعبدته الإمبراطورية، فنهض بطلاً ...
المحارب
GLADIATOR
قتال من أجل الحريّة
علي مولا
سايمون سكارّو

المحارب

GLADIATOR

قتال من أجل الحرية

"هذا هو موطنك الجديد.
فانسَ حياتك الماضية.
خيارك الوحيد أن تتعلّم
كيف تحارب وتبقى حياً."

وُلد **سيمون سكارو** عام 1962 في نيجيريا، أفريقيا، وعاش في العديد من البلدان قبل أن يستقرّ في بريطانيا. عشقه للتاريخ قاده للسفر الدائم عبر العالم مع زوجته وأطفاله بحثاً عن مادّة لرواياته التاريخية.

بدأت شهرة سيمون سكارو عندما أصدر سلسلة "النسر" 'The Eagle' من الخيال العسكري الروماني، وكتب سلسلة أخرى بعنوان 'Revolution'.

سايمون سكارّو

المحارب

GLADIATOR

قتال من أجل الحرّيّة

ترجمة

محمد حبيب

الساقي

Gladiator: Fight for Freedom, by Simon Scarrow
First published in Great Britain in the English language in 2011
by Puffin books
Penguin Books Ltd, 80 Strand, London WC2R 0RL, England

الطبعة العربية

ISBN 978-1-85516-899-2

الساقي

بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 6114–2033
هاتف: 442 866–1–961+، فاكس: 443 866–1–961+

email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com
www.saqikids.com

تابعونا على

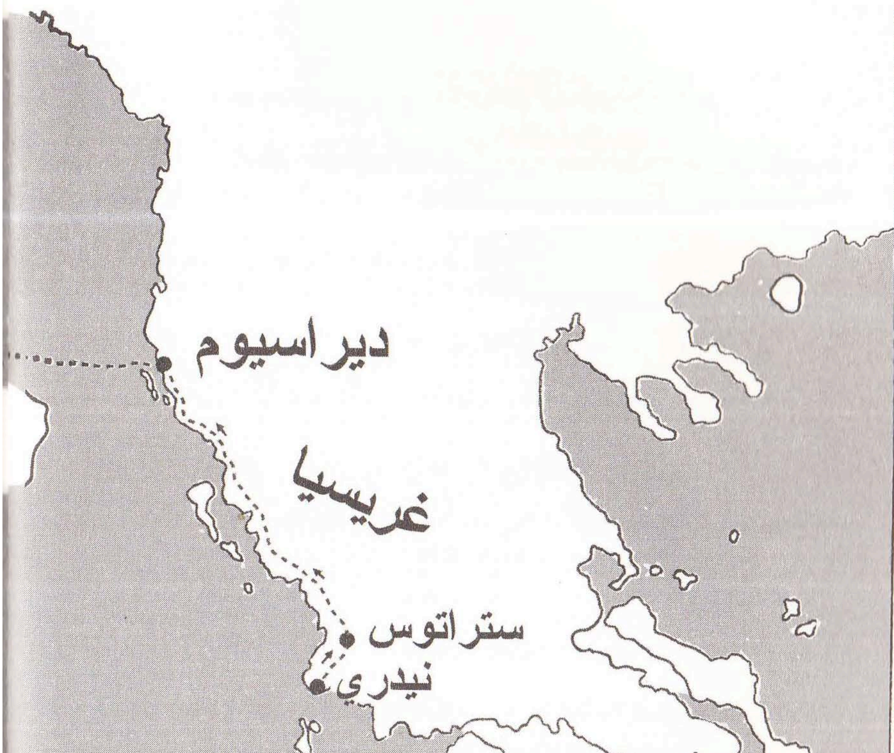
@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

2151 1006.07082012

إلى روزميري سوتكليف
التي شجّعت الكثيرين منّا على حب التاريخ

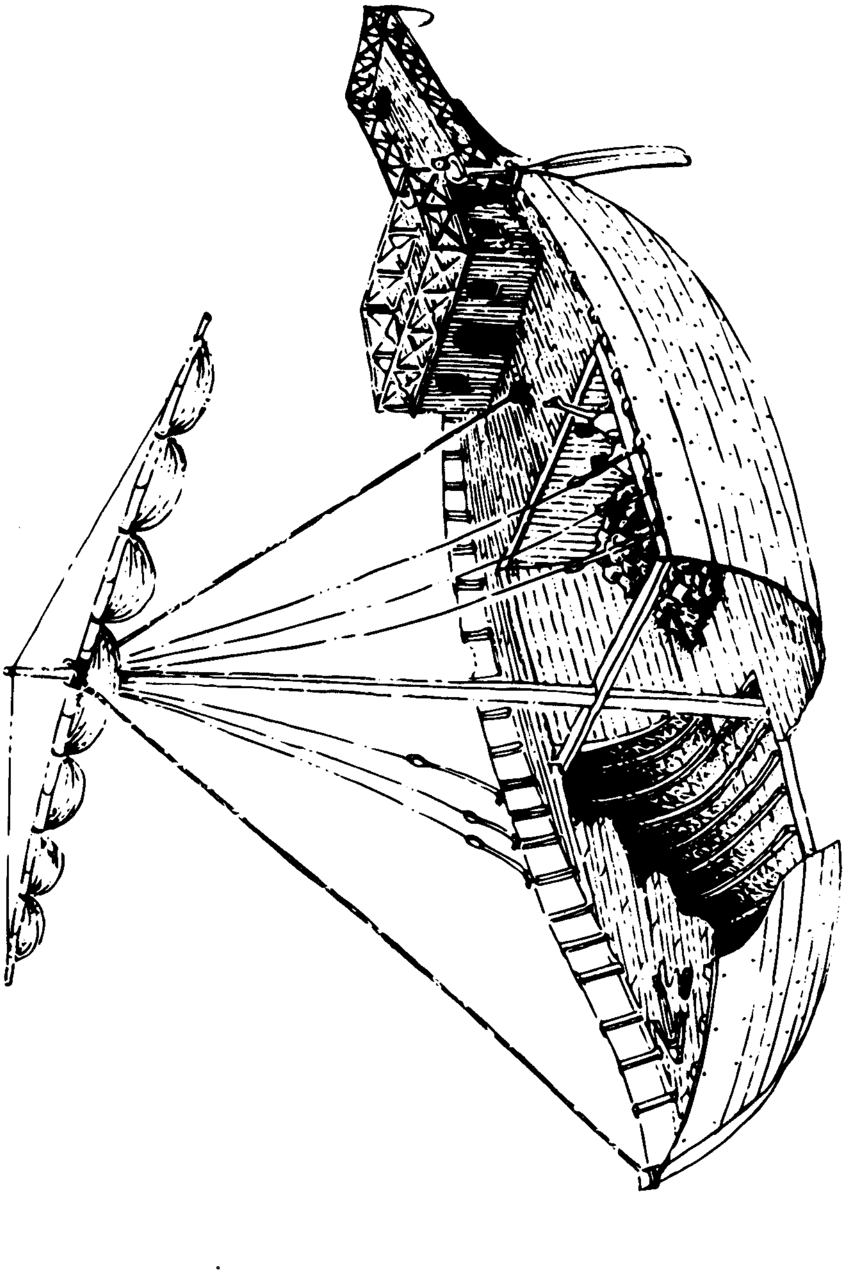
رحلة ماركوس

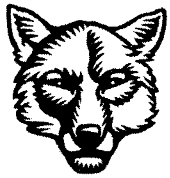
61 قبل الميلاد




إيطاليا
روما
فينتولوس
كابوا
برونديزيوم
المتوسط

الريح الطيّبة





مقدمة

مسح تيتوس كورنليوس قائد المئة، حاجبه وهو يدقق النظر في ساحة المعركة المترامية الأطراف من حوله. الجثث تغطي سفوح التلال. تكومت فوق بعضها حيث جرى القتال الأكثر شراسة. رجاله يبحثون عن رفاقهم المصابين، أو عن أي غنيمة مادية يمكن أن يغنموها من أعدائهم القتلى. الجرحى يطلقون صرخات تفطر القلوب وهم يتلوّون ألماً وسط المجزرة. بين الجثث أفراد من الفيلق الروماني بستراتهم الحمراء ودروعهم المعدنية الملطّخة بالدم. خمن تيتوس عدد رفاقه الذين قتلوا في هذه المعركة بالآلاف. لكن برغم ذلك كانت خسارة الرومان لا تكاد تذكر بالمقارنة مع خسارة أعدائهم.

هزّ رأسه متعجباً من أولئك الرجال والنساء الذين واجههم من قبل. غالبيتهم تسلّح بالسكاكين أو الأدوات الزراعية، و لم يكن معظمهم يلبس دروعاً أو يحمل تروساً. وبرغم ذلك ألقَوا بأنفسهم

بشجاعة منقطعة النظير على تيتوس ورفاقه، وهم يصرخون غاضبين وعيونهم تقدح شرراً. لكن ذلك كله لم يجّنبهم الهزيمة على يد الجنود المدرّبين جيداً والمجهّزين بأفضل الأسلحة بقيادة الجنرال الروماني بومبيوس، الذي طارد أعداءه وأوقعهم في الفخ.

"عبيد هم مجرد عبيد." تمتم تيتوس متعجباً وهو يحدق في تلك الجثث.

من كان يعتقد أن الرجال والنساء الذين لم يكن يعتبرهم معظم الرومان أكثر من أدوات متنقلة، يمتلكون داخلهم ذلك الكم من النضال؟ لقد مضى أكثر من سنتين على بداية انتفاضة العبيد، ومنذ ذلك الوقت هزموا خمسة من الفيالق الرومانية التي أرسلها الرومان لمقاتلتهم. لقد أحرقوا أيضاً العديد من الفيلات ونهبوا بيوت العائلات الأقوى في روما. وتذكر تيتوس أن أولئك العبيد زحفوا فيما مضى حتى على روما ذاتها. عندما خفض بصره رأى بين جنود فيلقه جثمان صبي، خمن أنه تجاوز العاشرة من عمره، شعره كتاني اللون وملامحه جميلة. كان رأسه يتدلى من فوق درعه إلى الوراء. عيناه تحدّقان في السماء الصافية وبدا له من فمه المفتوح قليلاً، أنه على وشك أن يقول شيئاً ما. شعر تيتوس بغصة في حلقه وهو ينظر إلى الطفل الوسيم، وفكر في نفسه لا مكان للأطفال في المعركة، لا مأثرة شرف في هزيمتهم أو قتلهم.

"يا قائد المئة، تيتوس!"

التفت تيتوس ناحية مصدر الصوت، فرأى مجموعة من الضباط يشقون طريقهم بين الجثث ويتجهون نحوه، يتقدمهم شخص ضخم

الجثة عريض الكتفين، يرتدي واقية صدر فضية براقة، ومن وسطه تتدلى شريطة حمراء دلالة على مكانته. على عكس الرجال الذين كانوا وسط المعركة، لم يكن الجنرال بومبيوس وضباطه ملطخين بالدماء أو مغبّرين. زمّ بعض الضباط الشبان المتأففين شفاههم قرفاً وهم يسيرون بين الجثث أو فوقها.

"احترامي سيدي الجنرال." قال تيتوس وقد شدّ قامته وأحنى رأسه عندما اقترب منه الجنرال.

قال الجنرال بومبيوس وهو يومئ إلى ساحة المعركة: "ما هذا العمل الدموي؟ من كان يعتقد أن رعاعاً عبيدًا سيصمدون في هذه المعركة؟"

زمَّ شفتيه وقطّب جبينه ثم قال: "في الواقع، لا بد أن قائدهم ذلك السبارتاكوس كان رجلاً حقيقياً."

قال تيتوس: "لقد كان مصارعاً يا سيدي. إنهم جيل خاص، على الأقل أولئك الذين بقَوا أحياءً في هذه المنطقة لفترة زمنية."

"هل عرفت الكثيرعنه يا قائد المئة؟ أقصد قبل أن يصبح ثائرا؟"

"مجرد شائعات يا سيدي. يبدو أنه لم يكن كثير الظهور في المنطقة قبل أن تندلع الثورة."

قال بومبيوس مستغرقاً في التفكير: "ومع ذلك قاد المعركة بكل سهولة." "من العار أنه لم تتح لي الفرصة كي أقابل هذا الرجل، هذا السبارتاكوس. ربما كنت سأعجب به." رفع بصره ونظر إلى ضباطه نظرة سريعة وعلت شفتيه ابتسامة وهو يثبت بصره على أحدهم. كان شاباً ذا وجه نحيل.

"فلترقد بسلام، جايوس يوليوس. أنا لم أغير رأيي أبداً. إن سبارتاكوس في نهاية المطاف هو مجرد عبد، أو كان عبداً. الآن لقد قتل وانتهى الأمر."

هز الضابط الشاب كتفيه وقال: "لقد ربحنا المعركة، يا سيدي. لكنّ شهرةَ بعض الرجال تعيش طويلاً حتى بعد موتهم. هذا إن كان قد قتل."

فقال بومبيوس باقتضاب: "إذاً، يجب أن نجد جثته. فإن وجدناها وعرضناها للناس، عندئذ نضع نهاية لأي فكرة بالثورة في روح أي من أولئك العبيد البغيضين، في إيطاليا كلها."

أدار وجهه صوب قائد المئة وسأله: "أين يمكن أن يكون سبارتاكوس قد سقط؟"

زم تيتوس شفتيه وأومأ ناحية رابية على بعد مئة خطوة، حيث الجثث مكوّمة بكثافة، أكثرَ من أي مكان آخر في ساحة المعركة وقال: "لقد رأيته هناك خلال القتال، وهناك أيضاً قاتل آخر رجاله سقطوا جميعاً. لا بد أن نجده هناك، يا سيدي."

"حسناً، فلننطلق إذاً إلى هناك."

تقدمهم الجنرال بومبيوس بخطوات واسعة، وهو يدوس الجثث ويخطو من فوقها أحياناً شاقاً طريقه نحو الرابية. لحق به تيتوس والآخرون، بينما وقف الجنود المنتشرون في ساحة المعركة باستعداد أثناء مرورهم. عندما وصلوا إلى الرابية، وقف بومبيوس يحدق في ذلك المنظر الفظيع أمامه. هنا جرى القتال الأكثر شراسة وكل الجثث أثخنتها الجراح قبل موتها. ارتجف تيتوس متذكراً أن كثيراً

من العبيد قاتلوا بأيديهم وأسنانهم حتى الموت. جثث كثيرة كانت مشوّهة لدرجة يصعب معها تمييزهم كبشر.

تنهد الجنرال تنهيدة إحباط، ووضع يديه فوق خاصرتيه وخطا إلى الأمام قليلاً من فوق الجثث، وقال: "حسناً. إذا كان سبارتاكوس قد قتل هنا، فأمامنا وقت طويل كي نستطيع التعرف إليه، وأتجرأ على القول: إننا لن نحصل على أي مساعدة من السجناء في التعرف إليه." وأومأ برأسه باتجاه أشخاص تحيط بهم مجموعة من جنود فيلقه على تخوم ساحة المعركة. "إننا بحاجة إلى جثته."

راقب تيتوس قائده وهو يصعد الرابية، ناقلاً خطواته بحذر من فوق الجثث المدهوسة المشوّهة الأطراف. كان الجنرال في منتصف الطريق، عندما تنبّه تيتوس إلى حركة مفاجئة. رأس يرتفع قليلاً من بين الجثث. بعد ثانية انتفض شخص أسود ملطخ بالدم. اعتقده تيتوس ميتاً، لكنه الآن يندفع وراء الجنرال. كان للعبد قليل من الشعر الأسود ولحية خفيفة. كشّر شفتيه وزمجر من بين أسنانه غير المنتظمة، واندفع نحو الجنرال الروماني، بخطوات مترنّحة فوق الجثث المكومة.

صاح جايوس يوليوس: "سيدي. انتبه!"

كان تيتوس ينطلق إلى الأمام، فيما استدار بومبيوس ليستطلع الأمر وراءه. جحظت عينا الجنرال عندما رأى العبد يندفع نحوه، مسدّداً سيفه إليه. جرّد تيتوس سيفه من غمده الجلدي، وجرى فوق كومة الجثث التي تفتق لحمها تحت مسامير نعليه. دفع العبد سيفه باتجاه حنجرة بومبيوس، تعثر الجنرال وهو يحاول التراجع إلى الوراء،

تجنباً لطعنة العبد، تعثر بجثة وسقط أرضاً سقطة مدوّية، وندّت عنه صيحة ذعر. جاهد العبد في تسلقه ليصل إلى الجنرال، انتصب فوقه ورفع سيفه ليطعنه. كزَّ تيتوس على أسنانه، واندفع إلى الأمام مستميتاً لإنقاذ قائده. في اللحظة الأخيرة، استشعر العبد الخطر فنظر من فوق كتفيه. وفجأة، وقع تيتوس بثقله فوق العبد الذي سقط سيفه من يده. وهوى الاثنان أرضاً، بجانب الجنرال بومبيوس.

حاول تيتوس أن يستعمل سيفه، فوجده عالقاً تحت جسم العبد. فما كان منه إلا أن ترك مقبض السيف، وشدّ على حنجرة العبد. انتفض جسد الرجل تحت تيتوس، وقبضت يداه على ذراعي تيتوس، وهو يزمجر كحيوان غاضب. أحكم قائد المئة قبضته محاولاً كتم صراخ العبد. لكنْ عندما شعر العبد بالضغط يتزايد على حنجرته، جدّد مقاومته. فأطبق إحدى يديه على معصم تيتوس، محاولاً تحرير حنجرته من قبضته. بينما حاولت يده الأخرى، الوصول إلى وجه تيتوس ليخرمشه بأصابعه المكسورة. أغمض تيتوس عينيه بقوة. رفس العبد الهواء بقدميه، وجحظت عيناه وهو يحاول أن يخرمش وجه تيتوس. لكنّ قائد المئة أمال رأسه بعيداً عن قبضة العبد.

أصبحت حركة العبد أكثر اهتياجاً، وبعدها خفتت قوته وتراخت قبضتاه، وهوى رأسه إلى الوراء. أطبق تيتوس قبضته أكثر على حنجرة العبد ليضمن أنه قد انتهى. وعندما فتح عينيه ونظر حوله.

شاهد لسان الرجل الميت يتدلّى من بين أسنانه. أفلت حنجرته ونهض واقفاً، وتنفس الصعداء. نظر إلى الأسفل واكتشف أن سيفه

كان قد اخترق أضلاع الرجل، لهذا لم يكن قادراً على تحريكه أبداً، لإن العبد كان قد مات.

بالقرب منه كان الجنرال، الذي ينوء تحت ثقل درعه الكثيرة الزخرفة، يحاول الوقوف على قدميه. رفع رأسه ورأى العبد ميتاً، وتيتوس منحنياً فوق الجثة، يحاول أن يحرر سيفه من بين أضلاع العبد.

نظر بومبيوس إلى جثة العبد وقال: "كنت على وشك الموت! كان على وشك أن يقتلني، لكن الفضل لك يا قائد المئة."

لم يردّ تيتوس على كلام قائده، فقد كان مشغولاً بمسح الدم عن سيفه بسترة العبد المتسخة. أغمد سيفه، وشدّ قامته ثانية. ابتسم الجنرال ابتسامة خفيفة وقال: "أنا مَدين لك بحياتي يا تيتوس. لن أنسى جميلك هذا."

هزّ تيتوس رأسه شاكراً قائده.

قال الجنرال وهو ينقر ذقنه بإصبعه، ويومئ صوب العبيد الأسرى: "لا بد من مكافأتك اختر لنفسك أحدهم، بأمر مني. فتلك هدية مناسبة لإنقاذك حياتي، وتذكر جيداً يا قائد المئة، إن احتجت أي مساعدة، أعدك أني سأفعل كل ما أستطيعه لأجلك."

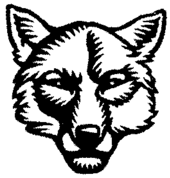
"أنت فائق الكرم يا سيدي."

"كلا. فقد أنقذت حياتي. ومهما عظمت المكافأة فلن ترقى إلى مستوى عملك هذا. لذلك، فلتختر الآن أي سجين ليكون عبدك، ربما أَمتك."

"نعم يا سيدي. وماذا عن البقية؟ هل سيتقاسمهم باقي الرجال؟"

هز الجنرال بومبيوس رأسه، وقال: "بشكل طبيعي، هذا الأمر سيسعدني. لكن لا بد لأي عبد في هذا الإمبراطورية أن يلقن درساً. يجب أن يدركوا ما الذي ينتظر أولئك الذين ينتفضون ضد أسيادهم." صمت قليلاً، ثم قست قسمات وجهه وقال: "بعد أن تختار، أصدر أوامرك بصلب أولئك الأسرى كلهم. سيسمّرون على طول الطريق من روما إلى كابوا حيث اندلع التمرد."

شعر تيتوس بقشعريرة تسري في عموده الفقري، عندما سمع أمر الجنرال الوحشي هذا. شعر للحظة برغبة في الاعتراض على الأمر. كان سيقول لقد هزم العبيد، وأجهض تمردهم. فما الحاجة إلى عقوبة بربرية كهذه؟ لكن في اللحظة ذاتها، تغلب انضباطه وتدريبه على طاعة الأوامر. فأدى التحية لقائده قبل أن يستدير ويعبر ساحة المعركة، باتجاه السجناء ليختار منهم من سينقذ، قبل أن يقاد غالبية الباقين إلى موت طويل.



1

جزيرة لوكاس
بعد عشرة أعوام

عندما دخل العجوز أريستيد ذاتَ صباح صيفي باك، فناءَ البيت راكضاً، عرفَ ماركوس أنَ خطباً ما على وشكٍ الحدوث. وكان ماركوس حينها يلهو سعيداً مع سيربيروس، كلبِ الصيدِ الصغيرِ ذي الشعرِ الأجعد، محاولاً أنْ يدرِّبهُ على الجلوسِ والاستلقاءِ بناءً على أوامرِه غير أن الكلبَ أمالَ رأسَهُ جانباً، مد لسانه من فمه، ونظرَ إلى سيّدهِ الشاب نظرةً خاليةً من أيِ تعبيرٍ. لكنه عندما رأى العجوز أريستيد يدخلُ الفناءَ، قفزَ إليهِ وهو يهز ذيله.

كان راعي الماعزِ العجوز، أريستيد يلهث. اتكأَ على عصاه وبلعَ ريقَه، حتى أصبح قادراً على الكلامِ.

أشارَ بإصبع مرتجفة نحو الدربِ الصاعدِ من نيدري إلى التل، وقال: "ثلاثةُ رجالٍ، رجال كبار. أعتقُد أنهم جنود."

كان والدُ ماركوس تيتوس كورنليوس، جالساً إلى طاولةٍ طويلةٍ باهتة اللون، يجري حساباتِ المزرعة، في ظلِ عريشةٍ مضفورةٍ مع ساق كرمةٍ بثخانة معصمه. وضعَ تيتوس قلمه فوقَ لوحِ الشمعِ. نهضَ عن مقعده، وسارَ عبرَ الفناءِ الصغيرِ صوبَ راعي الماعز.

"هل قلت جنوداً؟"

"نعم يا سيدي."

ابتسمَ تيتوس ابتسامةً خفيفةً قبلَ أن يتابعَ بلهجةٍ لطيفة.

"فهمت وما الذي تعرفهُ عن الجنود، أيها العجوز؟ أجل أنت تعرف عن الحيوانات، أما عن الجنود؟"

شدّ أريستيد قامتَه. نظرَ مباشرة في عَيني سيده وقال: "كان اثنان منهما يحملان الرماح، وثلاثتهم يحملونَ سيوفاً."

نظر ماركوس نظرة خاطفة إلى والدهِ. لاحظ ومضةَ القلقِ القصيرةَ التي علت وجهَه. لم يكن ماركوس قد رأى من قبل، القلقَ على وجهِ والده المتغضنِ الذي لا يزال يحمل ندوباً عديدة، من آثارِ خدمته في فيلق الجنرال الروماني بومبيوس. لقد كان والد ماركوس قائدَ مئة، ضابطاً مقداماً عندما قرر مغادرة الجيش.

اشترى تيتوس هذه المزرعة في جزيرة لوكاس، حيث استقر فيها معَ زوجته ليفيا التي كانت قد أنجبت ماركوس، قبل بضعةِ أشهرٍ فقط. ومنذ ذلك الوقت، يكسبُ تيتوس عيشه من الدخلِ الثابتَ

من قطيع الماعز، الذي يتولى أمره أريستيد العجوز، ومن موسم أشجارِ الكَرمة في مزرعته.

تذكرَ ماركوس الأوقاتَ السعيدة، عندما كان ولداً صغيراً. لكنّ انحباسَ المطرِ منذ ثلاث سنوات، والجفافَ والآفاتِ الزراعيةَ قضت على المحصولِ، ما اضطر تيتوسَ إلى اقتراض المال. عرف ماركوس أن والدَه اقترضَ مالاً كثيراً، فقد سمعَ والديهِ يتهامسانِ في الأمرِ ليلاً، وهما يظنان أنه نائم. ومنذ ذلكَ الوقت، لم يفارقه القلقُ من هذا الأمر.

سمعَ ماركوس وقعَ خطواتٍ لطيفة متثاقلة. التفت فرأى والدتَهُ تخرجُ من غرفتها على أحد جانبي الفناء. كانت تغزل له تونيكاً[1] جديداً، لكنها غادرتْ نولَها، عندما سمعتْ كلامَ أريستيد العجوز.

"إنهم يحملون رماحاً." دمدمت، ثم نظرت إلى تيتوس وقالت: "ربما كانوا ذاهبين إلى التلالِ لصيدِ الخنازير."

هزّ قائدُ المئة العجوزُ رأسهَ وقال: "لا أظنُ ذلك. ما حاجتُهم إلى السيوف، إنْ أرادوا صيدَ الخنازير؟ كلا، هذا أمرٌ آخر. إنهم قادمون إلى المزرعة." مشى نحو أريستيد، وربّتَ على كتفهِ قائلاً: "أحسنتَ صنعاً أنك حذرتني يا صديقي العجوز."

قال راعي الماعز وقد تلألأت عيناه قليلاً: "عجوز؟ ولماذا عجوزٌ وأنا لا أكبرك سوى بأقلّ من عشْرِ سنوات، يا سيدي."

ضحك تيتوس من أعماق قلبه ضحكة خبرها ماركوس طَوالَ

---

1 التونيك: سترة طويلة تشبه القميص، طويلة حتى الركبتين.

حياته، واعتبرها دوماً ضحكةً مطمئنة. كان والده محباً للمرح دائماً، برغم قسوة الحياة في الفيلقِ المحارب. كان يقسو على ماركوس أحياناً، مشدِّداً على ضرورة أن يخوضَ معاركَه الخاصة مع بعض الأولاد في نيدري، لكنْ لا مجالَ للشك في حبه الشديد له.

سألت أمه: " لماذا هم قادمون إلى هنا؟ ما الذي يريدونه منّا؟"

رأى ماركوس الابتسامة تخبو على شفتَي والده الذي دمدمَ متذمراً. "المتاعب، هذا ما جاؤوا يفعلونه هنا. لا بد أن ديسيموس هو من أرسلَهم."

"ديسيموس؟" قالت ليفيا، ورآها ماركوس ترفع يدها إلى فمها رعباً. لقد قلت لك: "يجب ألا نتعاملَ معه."

"لقد فات الأوان يا ليفيا. سأتدبر الأمر معه."

ارتعد ماركوس من ردة فعل أمه، فتنحنح وسأل: "من يكون ديسيموس هذا، يا أبي؟"

"ديسيموس؟" قال تيتوس ساخراً، وبصق على الأرض. "إنه مجرد خنزيرٍ مصاصِ دماء، كان لا بدّ لشخص ما أن يلقنه درساً منذ سنوات."

نظر ماركوس إلى تيتيوس الذي قهقه، وراح يداعب ضفائره السوداء بحنان وهو يدمدم: "إنه عمل رائع، يا ديسيموس. إنه المرابي الأغنى في الجزيرة، وبفضل تأثيره على الحاكم الروماني، لقد أصبح الآن جابي ضرائب الجزيرة أيضاً."

قالت ليفيا بهدوء: "لقد دمر حتى الآن عدداً من المزارعين في نيدري."

دمدم تيتوس: "حسناً، لكنه لن يدمرَ هذه الضحية. أريستيدس أحضر لي سيفي."

رفع راعي الماعز حاجبيه بقلق، واندفع إلى داخل المنزل، حدق فيه الكلب لحظة، ثم ركض عائداً ووقف بجانب ماركوس. ربت ماركوس على رأس الكلب بحنان. وتقدمت ليفيا من والده وأمسكت بذراعه الثخينة، وقالت: "بماذا تفكر يا تيتوس؟ سمعت أريستيدس يقول إن ثلاثةً منهم جنود ومسلّحون. لن تستطيع أن تقاتلهم. لا تفكر في هذا الموضوع أبداً."

هزّ تيتوس رأسه وقال: "تعرفين جيداً، أني واجهت الأقوى منهم وغلبتهم."

تجهّم وجه أم ماركوس وقالت: "كان هذا منذ زمن طويل. أنت لم تخض أي معركة منذ أكثر من عشر سنوات."

"لن أقاتلهم ما لم أُضطرَّ إلى ذلك. لكنّ ديسيموس أرسلهم لتحصيل المال. ولن يغادروا من دونه."

"بكم أنت مدين له؟"

طرح تيتوس أرضاً وهرش مؤخرة رقبته. "تسعمئة سيستيريتي."

"تسعمئة؟"

قال تيتوس موضحاً: "وقد تأخرت عن دفع ثلاثة أقساط منها. كنت أتوقع هذا."

سألته بقلق: "هل أنت قادر على دفعها؟"

هزّ رأسه وقال: "كلا. لا يوجد في الخزنة الحديدية الكثير من المال. يوجد ما يكفينا لفصل الشتاء، وبعدها..."

اكفهرّ وجه ليفيا غضباً وقالت: "من الأفضل أن تشرح لي كل شيء لاحقاً." التفتت إلى ماركوس وقالت: "اذهب وأحضر لي صندوق النقود، من تحت ضريح القديس في الردهة الآن."

هزّ ماركوس رأسه، وهمّ بالانطلاق إلى الردهة.

صاح به تيتوس بصوت عالٍ هادر، يُمكن أن يُسمعَ في كل الاتجاهات من مسافة مئة خطوة: "ابقَ مكانك، واترك صُندوق النقود حيث هو. لن أُجبر على دفع قطعة نقود واحدة، ما لم أكن مستعداً لدفعها."

سألته ليفيا: "هل أنت مجنون؟ لن تستطيع مقاتلة ثلاثة رجال مسلحين بمفردك."

ردّ تيتوس بثقة: "سوف نرى. الآن خذي الطفل وادخلي البيت. سأعالج الأمر بنفسي."

قالت ليفيا: "ستؤذي نفسك، أو ستُقتَل. قل لي ما الذي سيحل بي وبماركوس بعد ذلك؟"

أمرها تيتوس: "ادخلي البيت."

رأى ماركوس أمّه تفتح فمها لتحتج، لكنّ كليهما فهم النظرة الفولاذية في عيني تيتوس. هزّت رأسها بنزق، ومدّت يدها إلى ماركوس قائلة: "تعال معي."

حدّق ماركوس فيها ثم في والده، من دون أن يغادر مكانه. لقد قرّر أن يثبت مقدرته لوالده.

"تعال معي يا ماركوس. الآن!"

"كلا، سأبقى هنا." شدّ قامته ووضع يديه فوق خاصرتيه.

"نستطيع أنا وسيربيروس أن نؤازر أبي، إن اضطر إلى القتال." حاول أن ينطق كلماته بقوة وثقة، لكنّ صوتَه ارتعش قليلاً وهو ينطقها.

سأله تيتوس: "ماذا تقول؟ ستبقى؟ لست جاهزاً للمعركة بعد يا ولدي. اذهب مع أمك."

هزّ ماركوس رأسه وقال: "أنت تحتاجني، تحتاجنا." وأومأ برأسه إلى سيربيروس الذي شنف أذنيه، وهزّ ذيله الكثيف الشعر.

قبل أن ينجح تيتوس في الاحتجاج، خرج أريستيدس من المنزل، يحمل عصاه في يد، وفي الأخرى سيفاً في غمد من الجلد يتدلى منه حزام. أخذ تيتوس سلاحه ولفّ الحزام حول رأسه، وحرّك كتفيه حتى استقرّ السيف بشكل صحيح، وتدلى جيداً فأصبحت قبضته في متناول يده بسهولة. سار أريستيدس إلى البوابة، وقف يراقب الطريق المنحدرة نحو نيدري. فجأة أمسك تيتوس بقبضة السيف وجرّده من غمده بحركة سريعة جداً، أجفلت ماركوس فأطلق صرخة عفوية أفزعت الكلب سيربيروس بدوره، فزمجر. نظر إليه والده مبتسماً، أغمد السيف ثانية، وقال له: "هدئ من روعك. كنت أختبر سلاسة حركته في الغمد. لهذا أنا أعمل دائما على تزييت الغمد والسيف تحسباً."

ابتلع ماركوس ريقه بعصبية، وسأل: "تحسباً! لأي شيء يا أبي؟"

"تحسباً للحظات كهذه، يا بنيّ. والآن دع هذا الأمر لي ادخل إلى المنزل حتى أناديك."

نظر إليه ماركوس نظرة تحد وقال: "مكاني هو إلى جانبك يا أبي.

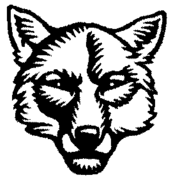
أنا أستطيع القتال"، أمسك الكيس وزنانير المقلاع الجلدية المثبّتة إلى الحزام حول خصره، وقال: "أستطيع أن أصيد بهذه أرنباً على مسافة خمسين خطوة."

كانت الأم تراقب الاثنين. قالت: "ماركوس، كرمى لي تعال إلى هنا! ادخلِ الآن!"

قاطعها زوجها قائلاً: "ليفيا. ادخلي البيت. اختبئي في المطبخ. سأتحدث إلى ماركوس. وسيلحق بك مباشرة."

أرادت أن تحتجّ، لكنْ عندما شاهدت النظرة النارية في عينيه، استدارت ودخلت إلى البيت، وهي تجرجر صندلها على بلاط الأرضية. التفت تيتوس إلى ماركوس وابتسم بحنان قائلاً: "بنيّ، ما زلت صغيراً على خوض معركة. أرجوك، اذهب مع أمك."

لكنْ فات الأوان. فقبل أن ينهي تيتوس كلامه، علت هسهسة أريستيدس. كوّبَ راعي الماعز يده حول فمه، وصاح بأعلى ما يستطيع: "إنهم قادمون يا سيدي!"



2

أومأ والده باتجاه مدخل المنزل، وقال له: "ماركوس اذهب، قف هناك ولا تتحرك."

هزّ ماركوس رأسه، وفرقع بإبهامه والإصبع الوسطى مشيراً إلى كلبه كي يلحقه: "اتبعني!"

وقف ماركوس وكلبه، في ظل مدخل الرواق الصغير المؤدي إلى ردهة البيت المتواضعة، حيث لا يمكن لمن يدخل من البوابة أن يراهما. وقف أريستيدس على أحد جانبي البوابة متأهّباً، وهو يمسك عصاه بقوة. وقف الجميع كالأصنام بعض الوقت. قلب ماركوس يخفق بقوة بين أضلاعه، وغدا حلقه جافاً. سمع أصوات الرجال المكتومة وهم يقتربون من البوابة. قال أحدهم شيئاً ما فضحك الآخران. كان الصوت بغيضاً أجش. شتم ماركوس نفسه. قال إنه

يستطيع أن يساعد والده، لكنه لا يملك أي قذيفة لمقلاعه، في أي حال هو بحاجة إلى متسع من المكان ليجهّز سلاحه.

عرف ماركوس أنه يمتلك عيناً دقيقة، وقد علّمه أريستيدس جيداً ما يكفي لقتل واحد من تلك الكلاب، التي كانت تفترس الماعز في بداية الربيع. لكنّ سلاحه عديم الجدوى الآن. لفتت انتباهه في اللحظة ذاتها عصا الكرمة، عصا والده برأسها المفلطح، مركونة في زاوية المدخل. التقطها بسرعة عازما على أن يضرب بقوة، برأسها الكثير العقد إن حصل قتال.

خفتت أصوات الرجال وهم يقتربون من البوابة. فقط وقع أحذيتهم وهي تدوس حصى الدرب، ودخلوا إلى المزرعة. استرق ماركوس النظر من وراء زاوية مدخل الردهة، وشاهد الزوار غير المرحب بهم. كان في المقدمة رجل طويل مفتول العضلات، ذو شعر أشعث خطّه الشيب، وقد ردّه إلى الوراء بعصابة رأس جلدية. خمّن ماركوس أن الرجل ليس أصغر كثيراً من والده. لكنه بدا له صلباً كفاية، والندبة قوسية الشكل على وجهه، تثبت أنه اعتاد القتال. كان الرجلان الآخران القاسيان الملامح، يسيران على جانبي قائدهما الذي يتقدمهما بخطوة واحدة، وكل منهما يحمل رمحاً، ويتدلى من حزام خصره سيف. شزرهم تيتوس من الرأس إلى القدمين قبل أن يتنحنح، ويوجه كلامه إليهم مباشرة: "من أنتم؟ حدّدوا طبيعة عملكم وانصرفوا."

تحولت ملامح القائد القاسية إلى ابتسامة. رفع يده عالياً ليهدئ من غضب تيتوس وقال: "مهلك أيها السيد. لا داعي لأن تمارس

علينا دور قائد المئة. نحن هنا لنبلغك رسالة من ديسيموس."
تلاشت الابتسامة.

"أولاً. قل لي ما اسمك؟"

"لماذا؟"

قال تيتوس بهدوء: "أريد أن أعرف مع من أتعامل. ارتفعت يده واستقرت على رمانة مقبض سيفه."

"حسناً. اسمي ثيرمون. وأنا أتعامل مع زبائن سيدي الأكثر صعوبة."

"قل ما لديك يا ثيرمون. وغادر هذا المكان."

"إذاً، لا دعوة ولا استضافة وديّة يا سيد. إن سبب وجودنا هنا بسيط جداً. أنت مدين لسيدنا ببعض المال. ومن أجل الدقة أنت مدين له بألف وخمسين سيستيريتي. وقد أرسلني لآخذ دينه منك."

رد تيتوس بهدوء: "بل أنا مدين له بتسعمئة فقط."

"عفواً يا سيد؟"

"مدين له بتسعمئة سيستيريتي، وليس بألف وخمسين."

شبك القائد أصابع يديه ببعضها وفرقعها، وقال: "تعرف أن هناك الفائدة المضافة، فوائد التأخير في دفع الدين. فأنت مدين لديسيموس بألف وخمسين، كما قلت، وسيدي يريد النقود الآن."

تنهد تيتوس بملل وقال: "لا أملك النقود الآن، ويعرف ديسيموس هذا. فقد أخبرت وكيله أني سأدفع له العام القادم، عندما أحصد محصولاً جيداً. من الأفضل أن تستدير الآن، وتذهب إلى ديسيموس

وتشرح له الأمر بدقة، بحيث لا يكون هناك سوء فهم هذه المرة. قل له إنه سيحصل على نقوده، عندما أستطيع أن أردّها له." وتوقف تيتوس عن الكلام قليلاً، ثم أضاف: "ولن أدفع له أي مبلغ إضافي. سيحصل على ما أنا مدين له به فقط. والآن أطلب منك وللمرة الأخيرة، أن تغادر ملكيتي هذه."

نفخ القائد خدّيه وزفر الهواء، ثم هزّ رأسه قائلاً: "أعتذر منك يا قائد المئة، هذا العرض لا ينفع. فنحن مكلّفون إما بأخذ النقود، أو أخذ ما يساوي قيمتها، قيمة كامل المبلغ الذي تدين به لديسيموس. هكذا هو الأمر ببساطة."

حملق فيه تيتوس. أحكم الرجلان الآخران قبضيتهما على رمحيهما، وأمالاهما قليلا باتجاه قائد المئة السابق. أدرك ماركوس أن مواجهة عنيفة ستندلع في أي لحظة. أحكم قبضته على عصا الكرمة، وعرف أن الكلب سيربيروس شعر بالأمر أيضاً، فقد بدأ شعر فرائه ينتصب على طول عموده الفقري، وزمجر مكشّراً عن أنيابه البيضاء.

وقبل أن يقوم تيتوس أو زوّاره بأي حركة، جاءت الحركة المفاجئة من أحد جانبي البوابة. تقدّم أريستيدس، وهو يمسك عصاه بقوة بين يديه الهزيلتين. قال بصوت رنّان: "لقد أخبركم سيدي أن تغادروا. كان التصميم جلياً، في عينيه الغائرتين عميقاً تحت حاجبيه الأبيضين الكثيفين. اخرجوا من هنا."

نظر ثيرمون مندهشاً، ثم أطلق قهقهة مدويّة. لحق به مرافقاه،

أطلقا ضحكة عصبية مدويّة، وهما ينقلان النظر بين أريستيدس وتيتوس.

قال ثيرمون: "من أين جئت بهذه الأنتيكا، يا قائد المئة؟" ثم هزّ رأسه وبحركة سريعة أمسك بأريستيدس وقال: "أشك في أننا سنحتسبه في قائمة الجرد. لا قيمة له على الإطلاق، وأنصحك بالتخلص منه."

شعر ماركوس بنار الغضب تحرق قلبه، عندما أهان الرجل أريستيدس. رأى ملامح والده تكفهر. كزّ تيتوس على أسنانه وزمجر من بين أسنانه: "إن عبدي ليس للبيع. وسوف تفعلان ما قاله وتخرجان من أرضي."

تلاشت دعابة ثيرمون في الحال. سحب سيفه، والتفت ليومئ لمرافقيه اللذين خفضا رأسي رمحيهما. استدار ليواجه تيتوس ثانية، وقال: "أمامك خياران يا قائد المئة، فإما أن تدفع أو..."

نخر تيتوس هازئاً، وهو يجرّد سيفه من غمده، ويتخذ وضعية القتال قائلاً: "أعتقد أني سأختار "أو"."

حدق ماركوس في والده بقلق. أوصاله ترتجف. من المستحيل أن يربح تيتوس وحده المعركة، ضد الرجال الثلاثة. كان لا بد لماركوس أن يفعل شيئاً ما.

في هذه اللحظة تماماً، رمى أرستيد بنفسه على أقرب الرجلين إليه، وأطلق صرخة حادة، وهو يؤرجح عصاه أمامه بحركة قوسية من اليمين إلى اليسار.

التفت الرجل وسدد رمحه باتجاه عصا أريستيدس فأوقفها،

ونتج عن اصطدام العصا والرمح، صوت حاد أشبه بصوت تكسر الخشب. دفع راعي الماعز بجسمه إلى الأمام، بكل ما أوتي من عزم وهو يئن. لكنّ رجل ثيرمون، الأصغر والأكثر قوة من أريستيدس، والمتمرس في استعمال السلاح، امتصّ هجومه ثم دفعه إلى الوراء. طار أريستيدس في الهواء، ثم سقط على ظهره ونخر من الألم. أسرع خصمه إليه، وقف فوقه ورفع رمحه عالياً، وكأنه على وشك أن يطعنه به.

صاح ماركوس: "سيربيروس! أمسكه"، وقذف الرجل بعصا الكرمة التي كانت في يده. عندما لحق الكلب بالعصا، وهجم على الرجل لم يعد يظهر منه إلا الفرو والأسنان. ارتطم جسد الكلب بعنف بجسد الرجل، فأوقعه أرضاً وانفلت رمحه من يده. تدحرج أريستيد جانباً متفاديا سقوط الرجل فوقه، وقف مترنحاً وحاول يائساً الهروب، قبل أن يستعيد الرجل وعيه.

في هذه الأثناء اندفع تيتوس إلى الأمام مزمجراً، وبضربة عنيفة صدّ الرمح الذي أطلقه باتجاهه المرافق الثاني لثيرمون، وضرب وجه الرجل بسيفه النحاسي الثقيل، فتدلى رأسه إلى الوراء وسقط جثة هامدة.

اغتنم ثيرمون الفرصة، وشنّ هجومه على تيتوس قبل أن يستطيع أن يلتفت ليواجهه. حاول أن يطعنه بسيفه في صدره، لكن تيتوس نجح في تفادي الطعنة في الوقت المناسب. ومرّ سيف ثيرمون على بعد إنشات فقط، من يد تيتوس التي تحمل السيف. أعاد ثيرمون المحاولة. لم يكن تيتوس هذه المرة سريعا كفاية، لتفادي سيف ثيرمون

فأصابت الطعنة ذراعه التي يحمل بها السيف. "آآآآخ"، صرخ تيتوس. وبشكل غريزي، تراخت قبضته على مقبض السيف. اغتنم ثيرمون الفرصة وبضربة دائرية، أسقط السيف من يد تيتوس.

شعر ماركوس بقبضة رعب جليدية تعصر قلبه. أخذ نفساً عميقاً، واندفع من مخبئه قافزاً على ظهر ثيرمون، وطوّق بذراعه الغضة عنق الرجل الضخمة.

نخر ثيرمون: "أي جحيم هذا؟"

أطبق ماركوس على حنجرة ثيرمون بكل ما أوتي من قوة. كان مذعوراً، لكنه عازم على عدم إفلاته. سمع نباحاً مسعوراً، وفي اللحظة ذاتها، نطّ سيربيروس على ثيرمون وغرز أنيابه في معصم يده التي تمسك بالسيف. كان عالقاً بين الكلب والصبي الذي يحاول خنقه. شتمهما بغضب من بين أسنانه المطبقة غيظاً. أرخى قبضته فسقط السيف على الأرض مجلجلاً.

"ولد رائع." صاح تيتوس، وهو يلتقط سيفه ويتجه نحو الرجل الذي يواجه أريستيدس.

"احترس، جأر ثيرمون."

كان انتباه مرافقه لا يزال منصبّاً على راعي الماعز العجوز، لذلك لم يكد ينتبه إلى تحذير رئيسه، إلا وقد ضربه تيتوس بسيفه على ذراعه ضربة قصمت العظم. سقط الرجل أرضاً وهو يصرخ متألما، وضم ذراعه إلى صدره. ركل تيتوس الرمح ناحية أريستيدس وقال له: "التقطه، وإن حاول القيام بأي حركة اغرزه في صدره."

"أمرك سيدي بكل سرور." قال راعي الماعز وهو يحاول أن يكبت ألمه.

استدار تيتوس، ورفع سيفه إلى حنجرة ثيرمون وقال: "اتركه يا ماركوس، وناد على الكلب."

أرخى ماركوس رقبة ثيرمون، فسقط أرضاً وقلبه يضرب بقوة. التقط أنفاسه، وفرقع إبهامه وإصبعه الوسطى، وخاطب الكلب: "اتركه يا سيربيروس!"

على مضض أفلت الكلب ذراع ثيرمون من بين فكيه، وهو يزمجر ثم هرول إلى جانب ماركوس. كان ماركوس فخوراً بكلبه. ربت على رأسه: "كلب رائع."

فرك ثيرمون حنجرته بيده. كان الدم ينزّ من الثقوب التي خلفتها أنياب الكلب في ذراعه الأخرى. حملق في تيتوس بكراهية ومرارة في آن معاً.

تبسّم تيتوس وقال: "أعتقد أنه من الأفضل لك، أن تأخذ رجالك وترحل عن أرضي، وقل لديسيموس إنه سيحصل على نقوده في الوقت المناسب. وإن حاول أن يرسل مزيداً من قطاع الطرق لديه، فسيلقون المعاملة ذاتها التي لقيتها أنت ورجالك." ثم أومأ تيتوس إلى الرجل الممدد على الأرض وقال: "الآن، احملاه وغادرا أرضي فوراً."

بصعوبة حمل ثيرمون ورجله الآخر، ذو الذراع المجروحة رفيقهما. وضعا ذراعيه على كتفيهما، وسارا باتجاه مدخل البوابة. توقف ثيرمون برهة ليلقي نظرة من فوق كتفه، وقال: "يا قائد المئة

لم ينته الأمر بعد، فاحذر! سأعود مع مزيد من الرجال. ستدفع غالياً ضريبة تحديك لديسيموس."

"إخّ تفو!" وبصق تيتوس على الأرض.

بعدها غادر الزوار غير المرحب بهم، ولم يعد يسمع غير وقع أحذيتهم على الطريق.

اختلس ماركوس النظر إلى والده واريستيدس. ثلاثتهم يتنفسون بصعوبة. فجأة أطلق تيتوس صرخة ابتهاج، فانضم إليه ماركوس، وقلبه يخفق بسرعة ويغمره شعور بالارتياح لأنه لم يصب أحد منهم بأذى. كان فخوراً أيضاً أنهم انتصروا على أعدائهم. ربّت تيتوس بقوة على كتف ماركوس وقال: "أنت حقاً من صلب والدك، لا جدال في ذلك!" رفع ماركوس نظره إلى أبيه، وابتسم سعيداً لهذا لإطراء. قال: "لقد ساعدنا سيربيروس أيضاً يا أبي. لقد ساعدنا حقاً!" ربت تيتوس بحنان على رأس الكلب. رمى أريستيدس الرمح جانباً، وانضم إليهم. وبرغم أن أريستيدس مجرد عبد، وضع تيتوس ذراعه الأخرى حول كتفه، وربت في آن معاً على كتفي ماركوس وأريستيدس، وقال: "إنه انتصار رائع كالانتصارات السابقة. أحسنتم صنعاً يا رجال!"

ضحك ماركوس وأريستيدس بسعادة، وانضم إليهما تيتوس. حتى نفيا. قالت: "آمل أنك سعيد بنفسك."

شد تيتوس قامته بتحد وقال: "هذا أنا."

قالت: "حقاً؟ أتعتقد أن الأمر قد انتهى؟ لقد سمعته يقول إنه سيعود مع مزيد من الرجال."

لوّح تيتوس بيده باستهزاء وقال: "أشك في هذا. لقد لقناه درساً، هو وديسيموس. فإن حاول أي شيء ضد مواطن روماني، وقائد مئة يحمل وساماً بالتحديد، يعرف أنه سينالها في عنقه. لكن إن كان يريحك أن نحترس منهم فسوف نعين من يترقب مجيئهم."

شاهدها ماركوس كيف هزّت رأسها واستدارت عائدة إلى داخل البيت. برغم الزهو الذي كان يغمر قلبه، لأنه قاتل إلى جانب والده، لم يستطع أن يمنع نفسه من التساؤل إذا كانت على حق. ماذا إن أرسل ديسيموس مزيداً من الرجال؟ لا بد أن يكونوا أفضل استعداداً للتغلب على أبيه في المرة القادمة.

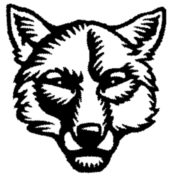
قال تيتوس مبتسماً: "حسناً. لقد كان الأمر جولة مرح! جدير بنا أن نحتفل. أريستيدس!"

"أمرك سيدي!"

"اذبح أفضل جدي عندك. سنولم الليلة احتفالاً بانتصارنا."

نظر ماركوس إلى والده، وتبادلا الابتسام.

ربت تيتوس على خد ماركوس، وهزّ رأسه علامة الرضا وقال: "يا جنديِّي الصغير ستكون مقاتلاً فذاً، ذات يوم. وستتذكر كلامي هذا."



3

بعد بضعة أيام من طرد رجال ديسيموس، كان ماركوس وأريستيدس جالسين على صخرة مسطحة يراقبان الماعز. "لقد خدمك جيداً سيربيروس، في ذلك اليوم." قال أريستيدس مبتسماً، ثم أصبحت تعابير وجهه أكثر جدية وهو يقول: "لا يزال أمامك عمل، قبل أن يكمل هذا الكلب تدريبه."

نظر ماركوس إلى سيربيروس. شعر الكلب باهتمامه فرفع رأسه، نظر إليه بعينين تشعان إخلاصاً، وهز ذيله بسرور.

قال ماركوس: "يبدو مروّضاً كفايةً."

قال أريستيدس بلهجة جازمة: "إنه مروّض، لكنه ليس مدرباً. لقد فكرت بسرعة جيدة ذلك اليوم، عندما رميت له العصا. لكن لا يمكن أن تعوّل على أن ينجح هذا في المرة القادمة."

"المرة القادمة؟ أتعني حقاً أن أولئك الرجال سيعودون ثانية؟"

"أمر محتمل." قال أريستيدس وهو يجبر نفسه على ابتسامة استخفاف. "حتى لو لم يعودوا فهذا ليس مبرراً، كي لا تكمل تدريب سيربيروس. لقد أبلى بلاءً حسناً منذ أن اقتنيته، سيد ماركوس."

هزّ ماركوس رأسه موافقاً. حدث ذلك منذ أكثر من عام. عندما مر بائع متجول قرب بيتهم، وعلى عربته قدور قديمة، سكاكين، فناجين وأشياء أخرى. كان سيربيروس مربوطاً إلى مؤخرة العربة ليحرس محتوياتها. انفطر قلب ماركوس الغض لمنظره. فقد كان جائعا، ومن الواضح أنه تلقى ضرباً مبرّحاً، جعله شرساً في مواجهة كل من تسوّل له نفسه سرقة شيء من العربة. أرادت أم ماركوس أن تصرف البائع المتجول، بعد نظرة سريعة على محتويات العربة، غير أن ماركوس همس لها: "دعيني أشتري الكلب."

نظرت ليفيا إلى ابنها مندهشة: "تشتري الكلب؟ بم تشتريه فأنت لا تملك نقوداً."

"إذاً، اشتريه لي. أرجوكِ."

هزت ليفيا رأسها: "إنه كلب برّي عديم القيمة يا ماركوس. لا فائدة ترتجى منه."

نظر ماركوس إلى الكلب. ومن خلال شعره الأجعد المغبر، وأسنانه العارية من آثار الطعام، أدرك ماركوس أي مخلوق معذب وخائف يقبع في أعماقه. "أرجوك يا أمي، اشتريه لي. إنه يلقى معاملة سيئة. إنه بحاجة إلى رعاية. أعدك أن أدربه وأجعله كلباً مفيداً في

المزرعة." قال هذا وتعلق بكمها، ونظر إلى عينيها متوسلاً: "إذا تركناه مع هذا الرجل لفترة أطول فسوف يموت."

حدقت أمه فيه، وكأنها تذكرت أمراً ما، ثم نظرت إلى البائع المتجول وسألته باقتضاب: "كم تريد ثمن هذا الكلب؟"

أضاق البائع المتجول عينيه بدهاء، وقال: "بما أنك تشترينه لهذا الطفل، فأريد عشرين سيستيريتي فقط."

"سأدفع عشرة فقط."

"عشرة؟"

جال البائع النظر بعينيه و قال مصطنعاً الدهشة: "لكن سيربيروس كلب صيد من النوع الأول، إنه ينحدر من سلالة ممتازة وما شابه. إنه ثروة حقيقية."

قالت ليفيا بحزم: "عشرة فقط."

صمت البائع المتجول لحظة، وكأنه يزين العرض في ذهنه، ثم أومأ: "حسناً، برغم أنّه كمن يسرق نفسه. لكن سأقبل عشرة." وقام بفكّ الحبل عن العربة، وقدّمه إلى ماركوس. لكن ليفيا صدّته قائلة: "كلا، لا تعطه للولد بل خذه واربطه هناك." ثم أشارت إلى عمود وراء الحظيرة.

عندما اطمأنت إلى ربط الكلب إلى العمود، دخلت إلى المنزل. ثم عادت بالنقود، وضعتها في راحته المبسوطة، وهي تعدّها قطعة قطعة. أطبق كفّه على النقود، وانطلق إلى عربته مسرعاً.

"أتمنى لكم حظاً سعيداً معه. ستحتاجونه."

بعدها فرقع بسوطه، وانطلق بعربته بعيداً، تاركاً ماركوس يحدّق

في الكلب الذي التصق بحائط الحظيرة، وهو ينظر إلى مالكه الجديد بارتياب.

يمتلك أريستيدس موهبة خاصة في ترويض الكلاب. صار يمضي وقت فراغه، في نقل خبرته تلك إلى ماركوس. عملا معاً على ترويض سيربيروس، في مخزن مغلق وراء معصرة الزيتون. تذكر ماركوس تلك الليلة الأولى، عندما قدم العجوز للكلب شراباً منوماً، وبعدها اقتربا منه، وغسلا جراحه. ثم أطعماه عصيدة الشعير وفتاتاً من لحم الدجاج. بعد أسابيع استعاد الكل بعافيته، بعدها تقربا منه. ونما فراؤه من جديد في الأماكن التي كان قد تساقط منها، وغطى الكدمات والندوب. درّب أريستيدس ماركوس على تقديم قطع من اللحم للكلب. أعطاه ماركوس اللحمة. في البداية من خلال القضيب. وكان سيربيروس في البداية، يتقدم بحذرٍ ليخطفها من يده ويعود مسرعاً إلى نهاية المخزن، حيث يجلس ويأكلها. بعدها دخل أريستيدس وماركوس الغرفة. شجع أريستيدس ماركوس على أن يقدم بيده قطع اللحم للكلب. استجمع ماركوس كل قوته، إلى أن تقدم من الكلب، ومد له قطعة اللحم بيده. نصحه أريستيدس: "لا ترتجف، يجب ألا تدعه يشعر أنك خائف منه." في المرات الأولى كان سيربيروس يختطف قطعة اللحم، وينطلق إلى مؤخرة المخزن ليأكلها هناك. لكن وبعد بضعة أيام، بدأ الكلب يأخذ قطعة اللحم من يد ماركوس، ويأكلها حيث هو. وذات يوم، وبعدما تناول الكلب قطعة اللحم من يد ماركوس وأكلها، تقدم بحذر من ماركوس وبدأ يشم يده. في البداية عندما شعر ماركوس بنفس

الكلب الدافئ على بشرته، توتر قليلاً لكنه ترك يده في مكانها. وفجأة شعر بلسان الكلب يلحس أصابعه. أحس بدفء الفخر والحب يملآن صدره تجاه هذا الحيوان. نظر إلى أريستيدس والبهجة تغمر وجهه: "هل رأيت؟" أومأ راعي الماعز العجوز وبادله الابتسام، ثم ربّت على رأس ماركوس وقال: "تذكّر، قلت لك إنك ستكسب ثقته، إن كنت صبوراً."

سرعان ما بدأ سيربيروس يبتهج لتربيت ماركوس على رأسه. وبعد شهر من وصوله إلى المزرعة، أخرج ماركوس وأريستيدس الكلب من المخزن، واصطحباه في نزهة في المزرعة. في البدء راح الكلب يشم الروائح باستمتاع، ثم بدأ يركض هنا وهناك، ويشم الأرض من دون أن يبتعد عنهما. وبعد فترة قصيرة، بدأ ماركوس يأخذه للنزهة وحده، وراح يدربه على دروس طاعة الأوامر البسيطة. وبعد ثلاثة أشهر قدمه لأمه وأبيه في فناء البيت.

قالت ليفيا مندهشة: "حسناً. لقد تحسّن كثيراً. حتى إن فراءه يبدو أفضل، وقد ازداد وزنه."

"صحيح." قال تيتوس وقرفص بالقرب من الكلب ليعاينه عن كثب. تحسس عضلاته ورفع خده ليكشف عن أسنانه. لم يبد الكلب أي ممانعة. فنظر تيتوس إلى ابنه وقال: "لقد أبليت بلاءً حسنا، يا ولدي."

ابتسم ماركوس مزهواً بنفسه، ثم أومأ صوب راعي الماعز: "لقد ساعدني أريستيدس يا أبي. لم أكن لأنجح من دون مساعدته."

قال تيتوس: "أجل. كثيراً ما كان أريستيدس جيداً في التعامل مع

الحيوانات. والسؤال الآن: ما هي الفائدة التي يمكن أن ترتجى منه؟ أتساءل هل يمكن تدريبه؟ قال ماركوس مبتسماً."

راقب ثم فرقع بإبهامه وإصبعه الوسطى، وأشار إلى الأرض بالقرب من قدمه وقال: "اجلس."

ابتعد سيربيروس عن تيتوس، وهرول نحو ماركوس ثم جلس. بعدها بسط ماركوس يده، وجعل راحته موازية للأرض وقال: "استلقِ!"

دفع الكلب بقائمتيه الأماميتين أمامه، خفض جسده كله، وتمدد على الأرض. قلّب ماركوس يده بحركة دائرية، وقال: "مُت من أجل روما."

فانقلب سيربيروس على ظهره، وأسقط قوائمه بتثاقل.

صفقت أم ماركوس ابتهاجاً. وصاحت: "يا له من كلب ذكي!"

عبس تيتوس وقال: "ذكي؟ هذه مجرد خدعة بسيطة. ثم إن الكلب الذكي لا يموت من أجل أيٍّ كان. لو تستطيع أن تعلمه شيئاً ما يفيدنا في المزرعة، وإلا فلا حاجة لنا به."

حاول أريستيدس وماركوس أن يعلّما الكلب، كيف يساعد قطيع الماعز، لكن الكلب اعتبر الدرس لعباً، فكان يجري وينبح على الماعز، حتى يستدعياه ويربطاه في مكانه. غير أنهما نجحا معه في الصيد. إذ تبين أن لسيربيروس أنفاً حساساً جداً للصيد، أفضل من قدرته على مطاردة الأرانب البرية، قبل أن تصل إلى جحورها. بتحفظ قبل تيتوس الإبقاء عليه في المزرعة.

الآن وبعد زيارة رجال ديسيموس، صمّم ماركوس على إكمال

تدريب سيربيروسن باعتماد مجموعة مهارات خطيرة. عندما شرح الأمر لأريستيدس، نفخ راعي الماعز خدّيه وهرش رأسه، وقال: "لست واثقاً بأنها فكرة حكيمة، يا ماركوس. يمتلك الكلب الآن طبيعة جيدة فهو يحب الناس، لكن إن فعلت ما تطلبه مني ودربناه على المهاجمة، قد نخسر فيه هذا الجانب الجيد. وقد يصبح حيواناً مختلفاً بالتأكيد."

كان ماركوس قد حسم أمره تماماً. فإذا أرسل ديسيموس مزيداً من الرجال إلى المزرعة من جديد، ومن المرجح أنه سيفعل ذلك، سيكون والده بحاجة ماسّة للمساعدة. نظر ماركوس في عيني أريستيدس مسبشراً، أومأ برأسه وقال: "يجب أن ندربه على ذلك."

تنهد أريستيدس، نظر إلى الكلب وبحزن داعب إحدى أذنيه وقال: "حسناً. سنبدأ اليوم إذاً."

بينما كانوا يدربون الكلب، طلب مهم تيتوس أن يراقبوا البوابة باستمرار، وينتبهوا لأي شخص يقترب من المزرعة. رتب تيتوس مناوبات مراقبة ليلية بينه وبين أريستيدس. وخص نفسه بالنوبة الأولى والأخيرة. و كل ليلة، عندما كان ماركوس يذهب ليخلد إلى النوم، يرى والده جالساً على جذع شجرة داخل الفناء، بالقرب من البوابة وسيفه المجرد من غمده فوق ركبتيه، وقد علق با لقرب منه صحناً نحاسياً كبيراً، يضرب عليه منبهاً الجميع في حال الخطر. شكل هذا الأمر مصدر قلق مستمر لماركوس. مضت أيام و لم يظهر أحد، وطالت الأيام شهراً و لم يظهر أحد، لم يرسل ديسيموس رجاله ولا حتى رسالة.

استمرت الحياة في المزرعة بروتينها المعتاد. وبعد القيام بواجباته اليومية، كرس ماركوس وقته لتدريب الكلب. لكن وكما حذّره أريستيدس، أصبح الكلب متحفزاً وحذراً من الجميع، باستثناء ماركوس وراعي الماعز.

ذات ليلة، بعد أن استلقى في فراشه بين الصحوة والنوم، والشعلة الصفراء الباهتة في قنديل الزيت فوق صندوق بسيط، هو قطعة الأثاث الوحيدة في غرفته، دخلت أمه الغرفة وجلست على جانب فراشه.

قالت وهي تربت على شعره: "لم أر سيربيروس أخيراً. لم يعد يتجول في الفناء. كنت سابقاً مضطرة لمراقبته، لأتأكد من أن الوغد لم يسرق أي شيء من المطبخ."

قال ماركوس: "لقد أعدته إلى المخزن ثانية."

"لماذا؟ إن وجوده في البيت لا يسبب أي مشاكل."

أوضح ماركوس أن الأمر يتعلق بتدريبه. قال أريستيدس: "من الأفضل أن يتم عزله عن البشر لبعض الوقت الآن."

رفعت أمه حاجبها وهزت كتفيها لا مبالية: "حسناً. لا بد أن يكون العجوز على حق. فهو يعرف حيواناته جيداً." هز ماركوس رأسه وابتسم لأمه. حدقت فيه أمه، وقد تجمدت يدها على رأسه. عبرت وجهها نظرة ألم خاطفة. شعر ماركوس بنذير شؤم خطر. "أمي، ما الأمر؟"

سحبت يدها عن رأسه بسرعة، وقالت: "لا شيء. في الواقع لقد ذكرتني للحظة بوالدك، هذا كل ما في الأمر." ربتت على

خده وانحنت وقبّلته. ثم نهضت لتخرج، فوضع ماركوس يده على ساعدها وسألها برقّة: "هل سنكون آمنين؟"

"عفواً؟"

"هل سيعود رجال ديسيموس؟"

صمتت برهة قبل أن تهز برأسها. "لا تقلق. سيحمينا تيتوس. لطالما حمانا."

هدأ كلامها من روع ماركوس، وسرح لبعض الوقت. بعدها سألها: "هل كان أبي جنديا جيداً؟"

"أجل، بالتأكيد. كان واحداً من أفضل الجنود." أغمضت ليفيا عينيها واستأنفت: "لقد عرفت ذلك منذ أن وقع بصري عليه."

"أين قابلته؟"

فتحت عينيها ثانية، وتوقفت برهة قبل أن تجيبه: "قابلت تيتوس بعد القضاء على الثورة مباشرة."

"ثورة العبيد؟ تلك الثورة التي قادها المصارع؟"

"نعم. تلك التي قادها سبارتاكوس."

"أخبرني أبي عنها ذات مرة. قال لي إن سبارتاكوس وثوّاره كانوا أكبر تهديد واجهته روما على الإطلاق. وقال إنهم كانوا أقوى الرجال ومن أشجع الذين قاتلهم في حياته كلها. لقد خاض آخر معركة مع العبيد." واستعاد ماركوس القصة التي رواها له والده. "قال إنها كانت أشرس معركة خاضها في حياته كلها. لم يكن لدى العبيد الكثير من الدروع، فبالكاد كانت لديهم أسلحة، لكنهم قاتلوا حتى النهاية، و لم يستسلم منهم إلا قليلون."

"نعم."

"إذا استطاع أبي أن يهزم سبارتاكوس وعبيده، لا بد أن يكون إذاً، قادراً على هزيمة رجال ديسيموس."

قالت أمه: "كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات. اليوم، تيتوس رجل عجوز. لم يعد قائد مئة."

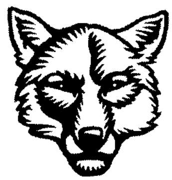
"لكنه سيحمينا. أليس كذلك؟"

ابتسمت ابتسامة باهتة، ربتت على خده وقالت: "نعم، بالطبع سيحمينا. والآن، اخلد إلى النوم يا طفلي الحبيب."

"نعم، يا أمي." قال ذلك وانقلب على جنبه، ودفن رأسه في الوسادة. بقيت تمسِّد شعره بعض الوقت، حتى انطبقت عيناه وانتظم تنفسه. عندها نهضت، وسارت بهدوء نحو الباب. توقفت هناك بعض الوقت. فتح ماركوس عينيه الناعستين قليلاً، ونظر إليها مندهشا من تعابير وجهها عندما تحدث عن سبارتاكوس. لقد استطاع من خلال ضوء قنديل الزيت الباهت، أن يرى تلألؤ عينيها، والدمعة التي بدأت تتدحرج على خدها. وكيف تنشقت فجأة ومسحت الدمعة، قبل أن تلتفت لتطفئ شعلة قنديل الزيت. كانت الغرفة قد غرقت في الظلام، عندما سمع ماركوس وقع قدميها الخفيف وهي تسير في الممر.

استلقى هناك قلقاً، يفكر في السبب الذي كان يبكي أمه. هل كانت خائفة مثله؟ لطالما اعتبر أباه رجلاً قوياً و قاسياً. لم يمرض أبداً، برغم أنه لا يتوقف عن العمل في مزرعته، خلال البرد والريح ومطر الشتاء وحر الصيف، من دون أن ينطق بشكوى واحدة، أو يبدي أي

أمارة انزعاج. عرف ماركوس أنّ أباه كان أكبر عمراً من أمه، يكبرها بأعوام كثيرة. كان وجهه كثير التجاعيد والندوب، والشيب الشيب شعر لحيته الخفيفة. بينما كانت أمه نحيلة، سوداء الشعر وجميلة. تساءل ماركوس كيف تزوجته؟ كلما فكر في هذا السؤال راودته أسئلة كثيرة. فكر كم هو مضحك، ألا يعرف الكثير عن والديه. يراهما أمامه باستمرار، لا يفترقان ويقبلهم كحقيقة مسلم بها. برغم ذلك هو يفكر في الأمر، ويبدوان له ثنائياً غير منسجم. شعر بحكة في ظهره، على لوح كتفه الأيمن. زحفت أصابعه فوق نسيج الندبة الغريبة، التي طالما ذكرها. غرز أظافره وحك المنطقة حتى تلاشى إحساسه بالحك. انقلب على ظهره وحدّق في الظلام إلى عوارض السقف في الأعلى. صمم أنه منذ الآن فصاعداً، سيكرس كل أوقات فراغه لتدريب سيربيروس. فإن عاد أولئك الرجال، بناءً على ما قالته أمه، ليس هناك ما يضمن أن يستطيع والده أن يهزمهم ثانية. وهو كبير كفاية ليستعمل ساطور الجزار، أو أحد رماح صيد والده الخفيفة. كما إنه يريد أن يكون سيربيروس إلى جانبه. تبسم للفكرة باقتضاب، وأكد لنفسه من جديد فكرة أن سيربيروس سيحميهم. بعد ذلك غط في نوم قلق، تطارده صور مبهمة لأشكال معتمة، تتسلل خلسة عبر الظلام نحو المزرعة.



4

كان صباح اليوم التالي حاراً جداً، برغم أن السماء كانت ضبابية بما يكفي لتحجب الجبال، على طول الشريط الساحلي الضيق مقابل جزيرة لوكاس. سكون مطبق. لا هواء ولا صوت، باستثناء ذلك الإيقاع الضعيف لزيز الحصاد، ومئات من الغربان تنقض من مجموعة أشجار إلى أخرى، كدوامة خردة سوداء.

قال أريستيدس وهو ينظر إلى السماء شزراً: "سوف تمطر. أستطيع أن أجزم بذلك."

هز الصبي رأسه موافقاً. كان ماركوس يساعد أريستيدس في اختيار عشر عنزات صغيرة، لبيعها في السوق في نيدري. لم تكن مهمة سهلة فقد كانت الحيوانات جافلة لسبب ما، وكان عليهما أن يتحركا بهدوء وحذر، كي لا يخيفا صغارها. وما إن ينجحوا بوضع الأنشوطة حول رقبة إحداهان يصبح اقتيادها سهلاً، لضمها

إلى رفيقاتها في الحظيرة بالقرب من المزرعة. لقد أمسكا آخر عنزة، وهاهما الآن يجلسان طلباً للراحة، في ظل شجرة زيتونٍ. تابع أريستيدس قائلاً: "إن سيربيروس بحاجة إلى نزهة، فهو محبوس في المخزن منذ الصباح."

هز ماركوس رأسه ثانية. لقد أراد أن يضمن بقاء الكلب بعيداً عن الدار، أثناء جمعهما الماعز. "سوف أهتم بأمره في الحال."

نظر إلى أسفل المنحدر. على مسافة ميل من الجزيرة، رأى مجموعة أسطح القرميد والجدران البيضاء في نيدري، على شاطئ البحر الذي يغلب عليه اليوم اللون الأزرق المعدني، وتتخلله بقع فاتحة وغامقة حيث تموّج النسمات الخفيفة سطح الماء. مسح قطرة عرق عن حاجبه وقال:

"المكان جميل هنا. أليس كذلك؟"

نظر إليه أريستيدس مندهشا: "لِمَ تسأل؟ نعم. أعتقد أنه جميل."

"أحياناً يخطر لي أني أريد أن أحيا حياتي كلها هنا، في المزرعة مع عائلتي، بمن فيهم أنت يا أريستيدس."

ابتسم العجوز أريستيدس: "أنت تغمرني بكرمك هذا. لكن في غضون سنوات، ستصبح شاباً وتتملكك رغبة قوية في مغادرة المنزل، لتتعرف على العالم بنفسك. هل فكرت فيم قد تفعله حينها؟"

هز ماركوس برأسه، مرة أخرى: "أريد أن أصبح مدرب حيوانات مثلك."

قهقه أريستيدس: "أنا مجرّد عبد، يا ماركوس. ولدت عبداً. وطوال حياتي كنت ملكاً لرجال آخرين، و لم تتح لي الفرصة أبدا

لفعل ما أردته، أو الذهاب حيث أرغب. كنت ملكهم وعاملوني كما أرادوا هم، لا أنا. صدقني، ليس كل الأسياد لطيفين، أو مُنصفين مثل والدك. لا أظنك تريد أن تكون عبداً."

"لا أعتقد ذلك." قال ماركوس وحدق في البحر للحظة، ثم أضاف: "أبي يريدني أن أصبح جندياً. يقول إنه لا يزال لديه تأثير على الجنرال بومبيوس، ويستطيع أن يجعله يضمني إلى فيلقه. وإن كنت جندياً جيداً وأظهرت شجاعتي، عندها قد أصبح قائد مئة مثلما كان هو."

هزّ أريستيدس رأسه: "أفهم ذلك. وهل ترغب أنت بذلك؟"

"أعتقد أني أرغب بذلك. سمعته يروي قصصاً عن سنوات خدمته في الفيلق. سأكون فخوراً بنفسي، إذا استطعت أن أكون مثله. وسيكون هو فخوراً بي أيضاً."

"نعم أتخيل ذلك. وما رأي والدتك بذلك؟"

عبس ماركوس. "لا أعرف بالضبط. كلما تحدثت إليها في الأمر تصمت. لا أفهم لماذا؟ ظننتها تريدني أن أصبح مثل أبي."

شعر بشيء يربت على كتفه برقة. نظر إلى الأعلى. "آه إنه المطر."

مزيد من قطرات المطر، والسماء الملبدة بالغيوم، اسودّت الآن فوق الجبال وراء المزرعة، وخمار من المطر كان يقترب منهما باتجاه المنحدر.

قال أريستيدس: "عد إلى البيت الآن. سأبقى هنا وأراقب الماعز. لا نريدها أن تذعر وتهرب من الحظيرة."

هزّ ماركوس برأسه وهبَّ واقفاً. "أصبح المطر غزيراً الآن،

وتسمع زخاته وهي تنقر الشجر وأوراقه." ركض ماركوس إلى المخزن، أنزل المزلاج ودخل مسرعاً. وفجأة سمع وقع أظافر الكلب على أرضية المخزن المبلطة، حيث اندفع نحوه سيربيروس، وقفز عليه ليلحس وجهه.

"كفى يا ولد." قال ماركوس ضاحكاً. تذكر ما أخبره أريستيدس حول الحزم، ثم جعل صوته أكثر حزماً: "اجلس!" وفي الحال جلس سيربيروس وهو يهز بذيله. ومن حين لآخر، كان ينظر إلى ماركوس بانتظار الأمر التالي.

في الخارج، كان المطر ينهمر بغزارة، ينقر قرميد السطح ويتسرب عبر أي فتحة يجدها. وأضاءت عبر شق الباب، ومضة برق باهرة. نظر ماركوس إلى الخارج. المطر ينهمر كسياط فضية، وبسبب الغيوم السوداء في الأعلى، كان من الصعب عليه أن يرى أبعد من مئة خطوة. وهز المكان قصف رعد، أجفل سيربيروس وجعله يعوي خوفاً.

جثا ماركوس على ركبتيه، وانحنى ووضع ذراعه على ظهر الكلب الذي كان يرتجف. "اهدأ، يا ولد. ستنقضي العاصفة سريعاً."

لكن مضى وقت ليس بقليل، ولم تخفّ غزارة المطر. وقف ماركوس في المخزن وراح يراقب المطر وهو يضرب أرض المزرعة. ومن حين لآخر يومض البرق محولاً العالم كله، إلى لوحة جليدية باهرة البياض، ويدوي قصف الرعد متدحرجاً في السماء. وجد ماركوس أنه من المستحيل، تجنب المطر الذي يدلف من شقوق السقف العتيق، وسيربيروس يزداد خوفا طوال الوقت. بعد تفكير

طويل، قرر ماركوس أنه من الأفضل أن يأويه في البيت. سيكون المطبخ دافئاً، وقد يوجد بعض فتات الطعام الذي قد يفرحه الكلب.

ربت ماركوس على خاصرة الكلب: "تعال يا ولد. تعال!"

شق ماركوس الباب، هيأ نفسه وانطلق راكضاً بسرعة، بجوار حائط المخزن، نحو البوابة وسيربيروس في إثره. انطلق عبر الفناء إلى مدخل البيت. لم يستغرق الوصول أكثر من عشر خفقات قلب. لكن سترته كانت قد تبللت تماماً، ورسم المطر خطوطاً في شعر سيربيروس الملبد فوق خاصرتيه. أدرك ماركوس فوراً ما الذي سيحدث فقال: "سيبريروس. لا تفعل!"

لقد فات الأوان. لأن الكلب نفض فراءه ورش مدخل البيت كله برذاذ الماء، في اللحظة نفسها التي خرجت فيها أم ماركوس من غرفتها، لترى من الذي دخل البيت.

"ماذا يجري هنا؟" ورفعت يديها لتحمي وجهها من رذاذ قطرات الماء، التي نشرها الكلب في المكان كله.

انتهى سيربيروس من نفض فرائه، ونظر إلى سيده ولسانه يتدلى من فمه.

أخفضت ليفيا يديها، وحملقت في ابنها وهي تهسهس مستهجنة: "ما الذي يفعله هذا الكلب المبلل في بيتي؟"

ظهر شخص آخر في الطرف الآخر من الممر. ضحك تيتوس وهو يستوعب ما ذا حدث. قال: "يبدو أن لا ملاذ من المطر، خارج البيت وداخله!"

حولت زوجته حملقتها إليه: "يا فرحتي! لقد أضحكك الأمر."

هرش تيتوس رأسه، وقال: "حسناً. نعم، إنه أمر مضحك. في الواقع إنه مضحك جداً." وغمز لماركوس بعينه، وضحك الاثنان معاً. عبست ليفيا وقالت: "الرجال والأولاد لا أعرف أيهم أسوأ. لو كان لي لأقرر..."

لكن قطعت عبارتها صرخة ذعر من ناحية البوابة. فماتت الضحكات في حنجرتي الأب وابنه.

صرخ أريستيدس مذعوراً: "يا سيدي!"

أنشبت ليفيا أظافرها في وجهها.

ركض تيتوس نحو البوابة ولحق به ماركوس. هناك بالقرب من البوابة، كان راعي الماعز يجلس مستنداً إلى عامود القنطرة، رأسه إلى الوراء وهو يئن. لقد اخترق سهم صدره. غمرت سترته بالدم النازف من الجرح، وقطرات المطر تتساقط عن وجهه ومن لحيته. عندما وصل تيتوس وماركوس إليه، وركعا أمامه فتح عينيه. مد يده وأمسك بكم تيتوس: "لقد عادوا سيدي!"

سعل أريستيدس، فسال دم مزبد من بين شفتيه. أنَّ ثانية وأسقط من يده كم تيتوس، وارتجف جسمه كله. نظر ماركوس عبر البوابة، وحدق في الدرب التي تشكلت فوقها نهيرات مطر صغيرة. ميّز بعض الحركات تحت أشجار الزيتون. وفي ضوء البرق الأبيض الباهر الناتج عن صاعقة برق أضاءت السماء، شاهد بين الأشجار ما يشبه التماثيل الجليدية. كان عدد منهم مسلّحين برماح وسيوف. وأحدهم يحمل قوسه عالياً على أهبة الاستعداد لإطلاق السهم باتجاه المنزل. شاهد ماركوس السهم ينطلق في الهواء، مع تلاشي

ومضة البرق، حتى قبل انتهاء فرقعة الصاعقة، سمع حركة بالقرب منه. نظر حوله، فرأى أريستيدس يحدق فيه بعينين جاحظتين. لقد اخترق السهم رقبته، وخرج رأسه المدبب المدمى من الجهة الأخرى. كانت المسافة بين رأس السهم وجلد الرقبة بعرض كف. فتح راعي الماعز فمه. و خرجت منه دفقةُ دمٍ قبل أن يهوي العجوز على جنبه.

كانت ردة فعل تيتوس سريعة: "أحضر لي سيفي بسرعة!"

ركض ماركوس عائداً باتجاه الردهة، حيث سلاح والده يتدلى من المشجب. نظر من فوق كتفيه إلى الوراء، فرأى والده يرفع البوابة الخشبية الثقيلة، ويديرها فوق مفصلاتها محاولاً أن يغلقها. واستطاع أن يرى لكن بغير بوضوح، من خلال الفجوة الصغيرة، الرجال يندفعون من تحت أشجار الزيتون، على طول الدرب الضيق نحو البوابة. استدار وركض إلى داخل الردهة، فانزلق على بلاط الأرضية. أمسكته أمه من ذراعه.

لقد رأت راعي الماعز مكوماً على الأرض: "قل لي ما الذي يجري؟ هل أريستيدس...؟"

أجابها ماركوس بوضوح: "لقد مات." ثم تخلص من قبضتها. مد يده إلى سيف والده، وحرره من المشجب بحركة واحدة.

سألته أمه محذرة: "ما الذي تفعله؟"

لم يجبها ماركوس. أخذ سيف والده، ثم ضرب فخذه وقال لسيربيروس: "تعال!"

انطلقا خارجين من الردهة، وركضا تحت المطر نحو البوابة. هناك على الجانب الآخر من فناء البيت، رأى والده وقد نجح تقريباً

في إغلاق البوابة. وعندما وصل ماركوس إليه، كان اول المهاجمين يحاول حشر جسده عبر البوابة، التي كاد والده يغلقها.

مد ماركوس قبضة السيف باتجاه والده وقال: "أبي. هاك السيف." سحب تيتوس السيف من غمده، دفع كتفه الأيسر عبر البوابة، ووجّه بنصل السيف نحو المهاجم. علا صريخ ألم وتلاشى الضغط على البوابة في الحال. اغتنم تيتوس الفرصة، ودفع بضعة إنشات إضافية. ثبت ماركوس قدميه في الأرض، ودفع بكل ثقله على البوابة.

دمدم تيتوس من بين أسنانه: "ماركوس! اخرج من هنا. اهرب. خذ أمك واهرب. لا تتوقف من أجل أي شيء."

هز ماركوس رأسه، وقال بقلب يكاد ينفطر: "كلا! لن أتركك."

حلَّفتك بالله! افعل ما أقوله لك! ازدادت تعابيرالغضب في وجه تيتوس، وتحولت إلى تعابير خوف وقلق: "أتوسل إليك! اهربا وانجيا بنفسيكما." هز ماركوس رأسه ثانية. كانت قدماه ترتجفان على الأرض الرطبة، وهو يحاول أن يساعد أباه. بينما المهاجمون من الجهة الأخرى يشقون طريقهم بثبات. وقف سيربيروس وراء سيده وهو ينبح بشراسة، فيما ماركوس وأباه يُجبران على التراجع تدريجياً. جرب تيتوس الخدعة القديمة ذاتها، محاولاً الطعن بسيفه من زاوية البوابة لكنهم هذه المرة كانوا مستعدين له، فتلقى سيفه ضربة مقابلة تلاها رنين المعدن على المعدن. أسرع تيتوس بسحب ذراعه ونظر إلى ماركوس.

"لن نستطيع إيقافهم. يجب أن ننسحب. خذ عصا أريستيدس واستعد للقتال، عندما أبتعد أنا عن البوابة."

"حاضر يا أبي." قال ماركوس وقلبه يخفق بقوة. وبرغم قطرات المطر التي تتدحرج على وجهه، شعر أن فمه جاف. تساءل للحظة. أهذا ما يشعر به الجنود في المعركة؟ ثم طأطأ رأسه بسرعة وركض ملتفاً حول والده، والتقط العصا عن الأرض بجانب جثة أريستيدس. التقت عيناه بعيني أقرب الرجال إلى البوابة في الخارج. انفرجت شفتا الرجل عن نخرة استهزاء، ومد يده باتجاه ماركوس.

"عليه. يا سيبيروس!"

وبلمح البصر، استجاب سيربيروس لأمر ماركوس. قفز عبر الفجوة، وأطبق فكيه بقوة على يد الرجل. عضّ بقوة هرست اللحم وهشمت العظم. صرخ الرجل وحاول أن ينتزع يده من فم الكلب لكنه لم يستطع. فصاح ماركوس ثانية:

"سيربيروس! اتركه!"

تركه الكلب وعاد راكضاً إلى سيده، وهو يزمجر. مع آخر محاولة فاشلة لإغلاق البوابة. تراجع تيتوس إلى الوراء، وقرفص بجانب ابنه مشرعاً سيفه، وقال على عجل: "احمل العصا كالرمح. واضرب على الوجه مباشرة." أومأ ماركوس، وأحكم قبضته على العصا عندما انفتحت البوابة، من دون أي مقاومة من الداخل بدفعة من الخارج. تدحرج رجلان على الأرض. قفز تيتوس إلى الأمام، وضرب الأول على كفه بقوة. انكسر العظم تحت قوة ضربة تيتوس. انتزع تيتوس نصل سيفه من كتف الرجل الأول، وضربها في الهواء

إلى الجانب الآخر، لتصيب المهاجم الثاني في وجهه. سقط الرجل على جنبه، رفع يده إلى رأسه وهو يصرخ من الألم. تدفق المزيد من الرجال عبر البوابة. دفع أحدهم بسيفه ليطعن تيتوس، ونجح المحارب العتيق المحنك، في تفاديها في الوقت المناسب لكنه فقد توازنه، واضطر أن يتراجع خطوة إلى الوراء. قفز ماركوس موجهاً عصاه إلى وجه الرجل، الذي حاول طعن تيتوس. ارتجت يداه وحتى كتفه، من تأثير ارتطام عصاه بوجه الرجل. ارتد رأس الرجل إلى الوراء وسقط أرضاً فاقداً الوعي، وقد تهشم أنفه من قوة الضربة.

"عمل رائع!" صاح تيتوس. وكشر شفتيه بشكل مخيف. تردد المهاجمون الآخرون لحظة، لكن صوت ثيرمون دوّى من ورائهم: "ماذا تنتظرون أيها الجبناء؟ اقبضوا عليهما."

عندما اندفعوا إلى الأمام، صاح ماركوس: "سيربيروس! عليهم!"

شوهدت في الهواء دفقة من الفراء المبلل، عندما قفز الكلب مهاجماً الأيدي والأرجل. لكنهم كانوا كثيرين، تقدموا متكاتفين. نجح تيتوس في الطعن مرة أخرى، غارزاً سيفه عميقاً في بطن أحدهم، قبل أن يتلقى طعنة رمح في كتفه. تراجع إلى الوراء، وعندها ضربه رجل آخر على ذراعه التي تحمل السيف ضربة قصمت العظم. فانفلت السيف من بين أصابعه. ثم تلقى ضربة أخرى على الركبة، فسقط أرضاً وهو ينخر من الألم.

"أبي!" صاح ماركوس وهو ينظر حوله، وقد خفض عصاه قليلاً. حدق في أبيه والألم يعتصر قلبه.

جأر تيتوس: "أبق سلاحك مرفوعاً. وجهه إلى الأمام!"

صوته الهادر جعل المهاجمين يتوقفون، تراجعوا إلى الوراء مشكلين قوساً حوله، و قد أعدوا أسلحتهم.

وقف ماركوس بجوار والده، وقد رفع عصاه ثانية متحديا الجنود. وكان سيربيروس قد أطبق فكيه علي يد أحد المهاجمين يمزقها، غير أن الرجل هوى بعصاه الطويلة المفلطحة، على رأس سيربيروس. سقط الكلب أرضاً على جنبه ورأسه في بركة ماء وزخات المطر حول أنفه.

صاح ماركوس مرعوباً: "سيربيروس!" لكن الكلب بقي ساكناً. أراد ماركوس أن يذهب إليه، غير أن ثيرمون كان قد شق طريقه بين الجنود ووقف أمام تيتوس. ابتسم وهو يضرب بوحشية جانب سيفه على راحة يده اليسرى. "حسناً، يا قائد المئة. يبدو أن الحال قد انقلبت اليوم. كيف شعورك وأنت ترى نفسك مهزوماً؟ وتخسر معركتك الأخيرة؟"

رفع تيتوس بصره وهو يرمش بسبب المطر، وقال: "لا يمكن أن تنجوَ بفعلتك هذه. عندما يسمع الحاكم بما فعلته سوف يصلبك. سيصلبك أنت ورجالك هؤلاء، وديسيموس أيضاً."

هز ثيرمون رأسه: "هذا إن بقي أحد ليخبره بما حدث."

حدق فيه تيتوس لحظة، ثم دمدم قائلاً: "لن تجرؤ."

"حقاً؟" قال ثيرمون وتصنّع إظهار الدهشة. ثم فجأة رفع سيفه عالياً، و غرزه بكل ما أوتي من قوة في صدر تيتوس. اخترق نصل السيف قلب تيتوس، وهشم أضلاعه الخلفية. شهق تيتوس ثم زفر

زفرة عميقة. وضع ثيرمون قدمه على كتف تيتوس، وسحب سيفه من صدره.

"أبي!" نظر ماركوس غير مصدق، عندما ارتمى جسد والده على ساقه، ثم ارتطم وجهه بالأرض. صاح ماركوس مفجوعا: "أبي! لا تمت! لا تتركني! أرجوك. أتوسل إليك. لا تمت!"

فجأة انتزع شخص ما العصا من يده. وقبضت يدان قاسيتان على ذراعيه، وثبتتهما إلى جانبيه.

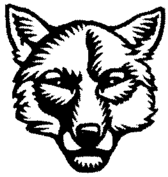
علا الصراخ. أدار ماركوس رأسه فرأى أمه. تمسك رأسها بيديها، وكأنها تحاول أن تمنع صوتاً هائلاً. وصرخت ثانية: "تيتوس! يا إلهي! تيتوس."

أصدر ثيرمون أمره: "خذوها! قيدوهما بالسلاسل. ثم فتشوا المكان عن أي شيء ثمين. ديسيموس يريد أي شيء قابل للبيع."

نظر ماركوس إلى جسد أبيه، وقد تخدر من المنظر. لكن عندما شاهد أحد الرجال يتقدم نحو أمه، شعر وكأن شيئاً ينهش في صدره. عض ذراع الرجل الذي يمسك به. فصرخ الرجل وأفلت قبضتيه عنه. شخر ماركوس وهو يعضه ويركله بقدميه.

التفت ثيرموس إليه وقال: "ليتدبر أحدكم هذا الطفل الصغير."

أومأ الرجل ذو العصا الطويلة الذي ضرب سيربيروس، وتوجه نحو ماركوس. ومن دون تردد، رفع عصاه وهوى بها على رأس الصبي. لم يشعر ماركوس بالضربة. فقد تحول عالمه فجأة إلى بياض باهر ولا شيء غير ذلك.



5

في البدء شعر ماركوس بألم مبهم، يقرع في رأسه بعنف. بعدها شعر بارتجاج غير متوازن، تبعه صرير حاد في محور التوازن. أحس بالضوء والدفء على وجهه. تحرك ببطء، رمش جفونه وفتح عينيه. كان العالم من حوله مشوشاً، شعر بالغثيان فأغمض عينيه ثانية.

"ماركوس."

أحاطت يد كالكأس، بخديه بلطف.

"ماركوس، أتستطيع أن تسمعني؟"

ميّز الصوت. إنه صوت أمه، وفي لهجتها قلق واضح. فتح ماركوس عينيه، لكنه شعر أن لسانه وشفتيه جافان متيبسان.

"لحظة واحدة"، قالت أمه. بعدها شعر بشيء ما يضغط بلطف على فمه، ثم تذوق الماء. بلع بضع مرات، قبل أن يدير وجهه جانباً ويلحس شفتيه.

نجح أخيراً بأن ينعب. "أمّاه أنا بخير."

فتح عينيه ثانية، وأجبرهما على التركيز. كان يحدق في قضبان حديدية متشابكة في الأعلى. رفع نفسه على مرفقيه. نظر حوله واكتشف أنه في قفص كبير، على ظهر عربة تجرها مجموعة بغال. كان سقف القفص مغطى بجلد قذر، يظلل الموجودين فيه. بالإضافة إليه وأمه، كان في القفص أربعة آخرون، اثنان منهما طويلان نحيلان، بشرتهما سوداء كالفحم. وكان هناك صبيان مراهقان، ربما يكبران ماركوس بخمس أو ست سنوات.

حذرته أمه: "لا تحاول أن تتحرك بسرعة. لديك شق كبير في الرأس."

رفع ماركوس يده ليتحسس مكان الألم في جمجمته، وجفل عندما اكتشفت أصابعه انتفاخاً صلباً. جاهد ليتذكر ما حدث له. عندها دهمته الأحداث كلها، في دفقة صور متزاحمة بشكل فظيع. أريستيدس، سيربيروس، وأبوه. نظر إلى أمه، عيناها تفيضان ألماً.

"أبي."

احتضنته بذراعيها وضمته بقوّة إلى صدرها، وهي تمسّد على مؤخرة رأسه.

"نعم، لقد ذهب تيتوس. قتل."

شعر ماركوس بألم فظيع يجتاح جسده، وكأن قلبه قد انخلع من صدره. لقد أراد والده الآن، أكثر من أي وقت مضى. أراده الآن وهنا. أراد أن يشعر بالأمان بين ذراعيه القويتين، أن يسمع ضحكاته

النابعة من القلب مرة أخرى. كان الأمل لا يحتمل، فدفن رأسه في طيات عباءة أمه وأجهش بالبكاء.

قالت أمه: "كفى يا ولدي. لا يسعك أن تفعل شيئاً. لقد رحل. انضم ظله إلى رفاقه في العالم السفلي. إنه يرقد بسلام. لذلك يجب أن تثبت له أنك قوي. كفكف دموعك." صمتت برهة ثم تابعت: طاجعله يفخر بك. يجب أن تشرّف ذكراه، حتى لو كنت لا تعرف بعد." صمتت ومددته بلطف على أرضية العربة. كانت عينا ماركوس متورمتين من البكاء، وشعر برأسه أسوأ من ذي قبل، الألم يقرع عميقاً في رأسه. حدقت فيه، فأومأ لها برأسه. بصعوبة كبيرة سيطر على حزنه ونظر حوله في القفص ثانية، وسألها: "أين نحن ذاهبان؟"

"يأخذوننا إلى ستراتوس."

عبس ماركوس. لم يسمع من قبل بهذا المكان: "هل هو بعيد جداً عن بيتنا؟"

هزت برأسها.

نظر عبر القضبان. كانت العربة تقرقع على طول الطريق. على أحد جانبي الطريق سلسلة جبال عالية، تغطيها غابات كثيفة من الصنوبر والسنديان، وعلى الجهة الأخرى تمتد بساتين الزيتون. من خلال الفجوات بينها، رأى البحر يتلألأ في الأفق. لم يتعرّف على المشهد.

"منذ متى ونحن في هذا... القفص؟"

"منذ ثلاثة أيام. كنت غائباً عن الوعي عندما أخذونا في القارب من الجزيرة، ووضعونا في هذه العربة."

ثلاثة أيام! صُدم ماركوس من هذه الفكرة. لا بد أنهم ابتعدوا عن بيتهم في المزرعة أكثر بكثير، مما ابتعد سابقاً. شعر بالخوف.

قالت أمه وهي تحاول توضيح الأمر بألطف ما تستطيع: "اسمعني يا ماركوس، إنهم يأخذوننا إلى سوق النخاسة. لقد أمر ديسيموس ببيعنا كعبيد لاستعادة دَيْنه. أعتقد أنه يحاول إبعادنا عن لوكاس، ليقضي على احتمال أن يكتشف أحدٌ بدقة، ماذا فعل كي يستعيد أمواله."

بصعوبة أصغى ماركوس إلى كلامها. وقعت عليه فكرة بيعهما في سوق النخاسة، كضربة أخرى. العبودية هي أسوأ قدر يمكن أن يواجهه أي شخص. ففي العبودية ينتهي وجودك ككائن، وتتحول إلى مجرد سلعة. رفع بصره إلى أمه وقال: "لا يمكن أن يبيعونا، فنحن أحرار. نحن مواطنون."

ردّت أمه بحزن: "ليس عندما نعجز عن دفع ديون ديسيموس. في هذا الجانب فقط، هو يعمل وفق القانون. لكنه يعرف أنه إذا تسربت كلمة واحدة عن قتله أحد جنود بومبيوس القدامى واستعباد عائلته، عندها ستتحول حياته إلى جحيم، إذا سمع بومبيوس بذلك." رفعت ذقنه بيدها وحدقت في عينيه مباشرة. "يجب أن نكون حذرين يا ماركوس. لقد هدد ثيرمون بجلدنا إن تفوهنا بكلمة واحدة حول الأمر لأي شخص كان. هل تفهمني؟"

هز ماركوس رأسه: "وماذا نستطيع أن نفعل؟"

"ماذا نفعل؟ لا نستطيع شيئاً الآن." أشاحت بوجهها بعيداً، وتابعت كلامها بصوت منكسرٍ ويائسٍ: "أن تعيدني إلى العبودية فهذه ضربة قاسية. قاسية جداً!"

شعر ماركوس برجفة برد في قلبه. ما الذي يمكن أن تعنيه أمه بهذا الكلام؟ تعيدها إلى العبودية؟ هل كنت أمة يا أمي؟

أجابته وهي لا تزال مشيحة بوجهها عنه: "نعم."

"متى؟"

"عندما كنت طفلة، يا ماركوس."

"كلا."

هزت رأسها. "باعوني إلى أسرة في كامبانيا، في جنوب روما، عندما كنت في الرابعة. بقيت أمة طوال ستة عشر عاماً، إلى أن جاء سبارتاكوس وثواره إلى المزرعة وحررونا."

"هل التحقت بسبارتاكوس؟" سألها ماركوس وقد امتلأ رأسه بذكريات رواها له أبوه عن ثورة العبيد الكبيرة. وبقيت أمه صامتة. تنحنح وسألها: "هل عرف والدي بهذا؟"

نظرت في عينيه، وعلى وجهها تعابير سخرية مريرة. "طبعاً. لقد عرف تيتوس بالأمر. لقد كان موجوداً في النهاية. كان موجوداً في المعركة النهائية. وجدني في معسكر العبيد الذي أقامه الفيلق بعد المعركة. أخذني كغنيمة حرب." طغت المرارة على لهجتها من جديد. بلعت ريقها، ثم تابعت بهدوء أكثر: "هكذا التقينا يا ماركوس. كنت أمته. امرأته خلال العامين الأولين، إلى أن منحني حريتي بشرط أن أصبح زوجته."

بقي ماركوس صامتاً، وهو يفكر في ما أخبرته أمه. لم يخطر بباله قط أن يكون والداه قد التقيا بتلك الطريقة. لطالما عاشا في المزرعة باستمرار ومن دون أي تغيير، ولم تخطر بباله قط فكرة أنهما قد عاشا حياتين مختلفتين، قبل أن يحدث ما حدث الآن.

صحيح. لقد أخبره والده حكايات عن حياته في الفيلق، لكن لم يكن بطل تلك القصص في خيال ماركوس شاباً، بل مجرد رجل مختلف. ذلك أن ماركوس لم يتخيل أباه قط إلا بالصورة التي عرفه بها. شعر بطعنة أسى عندما حاول أن يعدل جلسته على أرضية العربة. عندها خطر بباله شيء ما، ونظر إلى أمه ثانية: "كانت ثورة العبيد منذ عشر سنوات مضت. أليس كذلك؟"

"نعم."

"وأنا في العاشرة. إن كنت قد تزوجت أبي بعد عامين، فهذا يعني أنه يجب أن أكون قد ولدت عبداً."

هزت رأسها وقالت: "لقد أعلنها تيتوس صراحة منذ لحظة ولادتك، أنك ابنه. ولذلك أنت حر."

قال ماركوس: "فهمت." لكنه لم يكن واثقاً مما يشعر به. حقيقة جديدة عليه ومؤلمة جداً، بالإضافة إلى ما حدث، منذ أن وصل الرجال إلى المزرعة. وقطعت عليه أفكاره ضحكة مرّة، صدرت عن أمه. نظر إليها بقلق. كان في عينيها السوداوين نظرة جنون خفيف.

"أمي؟ أمي ما الذي يضحكك؟"

"لا شيء مضحك." ارتعشت شفتاها. "القضية هي أنني ولدتُ حرّة في ثراس. ثم أُخذت أمةً عندما كنت طفلة رضيعة. بعدئذ

حرّرني سبارتاكوس ومن ثم استُعبدتُ من جديد حتى حرّرني والدك." خفضت رأسها وصمتت لبرهة. بعدها شاهد ماركوس دمعة تسقط على فخذها. عدّل ماركوس جلسته ليتمكن من وضع يده على كتفها.

"أمي؟ بلع ريقه بعصبية وقال: سأعتني بك. أقسم بحياتي إني سأعتني بك."

دمدمت أمه: "أنت مجرد طفل. يا طفلي الصغير. أنا من ينبغي أن تعتني بك. برغم ذلك ما الذي أستطيع فعله؟ أنا أَمَة ولا أستطيع شيئاً." رأى الأسى في عينيها، عندما رفعت رأسها وهي تقول: "اعتقدت أنني قد منحتُ أخيراً بعض السلام في تلك المزرعة. سلام، حيث استطعت أن أكبر مع تيتوس، وأنجب وأربي ابناً رائعاً لن يعرف عبء العبودية."

"لن تطول العبودية بنا، يا أمي. لن يستطيع ديسيموس أن يفعل هذا بنا." ثم عبس وتابع بلهجة أكثر تصميماً: "لن أدعه يفلت بفعلته هذه."

حدّقت ليفيا في عيني ابنها بشفقة، ثم أخذته بين ذراعيها بلطف وضمته إلى صدرها بقوة: "ماركوس! أنت كل ما بقي لي في هذه الدنيا."

بدأت دموعها تنهمر من جديد. شعر ماركوس بحرقة في عينيه وبدافع مماثل للبكاء. صرَّ على أسنانه، وغالب دموعه وهو ينظر من فوق كتفها إلى العبيد الآخرين في القفص. نظروا إليه بوجوه خاوية،

ربما هم أكثر تعباً ويأساً من أن يتفاعلوا معه. أقسم ماركوس بأغلظ الأيمان، في سرّه إنه أبداً لن يقبل العبودية. أبداً.

6

مضت أربعة أيام طويلة أخرى، قبل أن تصل العربة الى وجهتها، لكن أخيراً وفي غسق اليوم الأخير، دخلوا مدينة ستراتوس.

منفرجة عن احدى طرق التجارة الرئيسية، عبر المنطقة الجبلية الداخلية من غراسيا، نمت المدينة حتى ضاقت بها الجدران القديمة التي تعود إلى أيام الدول، المدن الصغيرة التي غالباً ما كانت في حالات حرب دائمة، إحداها مع الأخرى. وتحيط هذه الجدران اليوم بمتاهة، شوارع ضيقة حيث كانت تعيش وتعمل الأسر الأكثر ثراءً. أما وراء الجدران تلك، فتنتشر منازل الفقراء المتداعية. لم يتفاعل ماركوس ووالدته أثناء الرحلة كثيراً، معَ زملائهم الآخرين داخل القفص. فلم يكن العبيد الآخرون يعرفون إلا كلمات قليلة باليونانية ولا يفهمون اللاتينية، كانوا يتكلمون بألسنة بربرية مجهولة.

قعقعت العربة فوق الطريق الرئيسية النازلة إلى قلب المدينة، في طريقها إلى سوق النخاسة.

بالنسبة إلى ماركوس الذي تربى في المزرعة طوال حياته، وبالكاد عرف قرية الصيد في نيدري، كانت المدينة مثيرة للأعصاب. صمّ أذنيه صراخُ الباعة المتجولين وأصوات الشحاذين، وزكمت منخريه رائحة القُمامة والمجارير الكريهة التي تملأ الهواء. غضّن أنفه متقززاً وهو يتنفس هذه الروائح وقال: "إخ! أهكذا هي رائحة المدن جميعها؟"

أجابت أمه بنفور مماثل: "نعم، بحسب ما أذكر."

دخلت العربة ساحة سوق كبيرة وسَط ستراتوس، ثم انعطفت عبر بوابة إلى فناء ضيق. كان في الفناء حارسان ضخما الجسم مسلحان بهراوات. لقد كان فناء إسطبل فيما مضى، أما اليوم فهناك شباك حديدية على مدخل كل كشك. رأى ماركوس عبر الشباك الأشكال الشعثاء للرجال والنساء، وأطفالاً من كل الأعمار محشورين وراء القضبان. وفوق الأرضية قليل من القش القذر.

"هوووو ها!" صاح سائق العربة، وهو يشد اللجام بقوة. توقفت البغال. خرج من أحد الأبواب رجل بسترة بنية واقترب من العربة. هز رأسه محيياً السائق الذي ترجل عن مقعده بصعوبة، وراح يمطط ظهره.

"ما هذه الوفرة؟" سأل الرجل وهو يهز سبابته، ويشير باتجاه السجناء في القفص.

قال السائق متثائباً: "إنهم عبيد ملك ديسيموس. يريد عرضهم في المزاد القادم."

أمسك ماركوس بقضبان القفص، ثم رفع جسده وقال: "نحن لسنا عبيداً!"

"أغلق فمك. أنت!" قال السائق وضرب بسوطه المجدول براجم أصابع ماركوس، التي كانت تمسك بالقضبان. سقط ماركوس على أرض القفص وهو يصرخ من الألم. كلمة أخرى وسأجلدك حتى يصبح جسدك أسود وأزرق.

التفت السائق إلى الرجل الآخر ضاحكاً. "الولد كاذب بالفطرة مثل كل العبيد. تجاهله هو وأمه هناك. أدخلهما في المزاد، كما قلت لك. حسناً؟"

هز الدلال[1] رأسه وأشار إلى الزنزانة الوحيدة الخالية، وقال: "ضعهم في تلك، سأضيفهم إلى قائمة البيع للغد."

"جيد."

بينما عاد الدلاّل إلى مكتبه، اتجه سائق العربة إلى مؤخرة القفص، فك عراوي سترته. وعندما وصل إلى المفتاح المعلق حول رقبته، فتح قفل القفص وتراجع خطوة إلى الوراء، بعد ما فتح باب القفص. "انزلوا!" قال وأشار إلى أرض الفناء، ليضمن أن الجميع قد فهم ما يريد.

نزلوا من العربة الواحد تلو الآخر، وكان آخرهم ماركوس وأمه.

---

1 الدلال: بائع بالمزاد العلني.

أشار سائق العربة إلى زنزانة، ودفع أحدهم نحوها. كانوا جميعاً جائعين ومتيبسين، بعد ما أمضوا في العربة الضيقة أياماً عديدة، تخللتها استراحة قصيرة، لتغيير القش في أرضية القفص. قُدمت لهم وجبتان يومياً من الخبز البائت والماء. مشى السجناء ببطء إلى الزنزانة. دفع السائق ماركوس من الخلف فتعثر بأمه، ثم صفق الباب وأدار المفتاح في القفل، قبل أن يمشي مبتعداً لينضم إلى الدلاّل.

جلس ماركوس وأمه داخل الزنزانة، على القش وأسندا ظهريهما إلى الحائط الجصي القذر. أمه تحدق في الجدار المقابل، بينما يزدحم رأسه بأفكار مخيفة عن مزاد الغد. ماذا لو بيعا إلى مالك منجم؟ لقد سمع قصصاً مرعبة عن الظروف التي يعيشها العبيد في المناجم. إنها أشبه بمعايشة الموت. بعدها خطر له الاحتمال الأسوأ. فالتفت إلى أمه بوجه هلع: ماذا لو باعونا إلى مالكين مختلفين غداً؟

تحركت أمه، كمن استفاق من نوم مزعج، ونظرت إليه: "عفواً ماركوس. ماذا قلت؟" قال ماركوس: "سألتك: ماذا سيحدث، لو فصلونا في المزاد؟" حدقت فيه وأجبرت نفسها على الابتسام. "لا أعتقد أن ذلك سيحصل. لا يفضل الدلال فصل العائلات. فهذا يبعث على السخط."

شعر ماركوس بطعنة خوف، "لكن ماذا لو فعلوها؟ أنا لا أريد أن أفارقك."

أمسكت يده وعصرتها في راحتها. "سنبقى معاً. سترى أننا سنبقى معاً. حاول أن تنام الآن. ضع رأسك في حضني."

تكور ماركوس على نفسه، ووضع رأسه بين طيات سترتها

الطويلة. بدأت تمرر أصابعها بين خواتم شعره الأسود. كثيراً ما هدأته هذه المداعبة. وهي قالت ذات مرة إن شعر ماركوس مثل شعر والده. تذكر ماركوس الآن أنه قد ضحك عندها، لأن فروة شعر والده كانت حينها قليلة الشعر.

بدأ جسده يهدأ الآن وهي تمسد على رأسه، بينما انجرف عقله إلى ذكريات حالمة في المزرعة مع أريستيدس وسيربيروس، وكأنهما لا يزالان أحياء. لكن غالبية تلك الذكريات، كانت عن والده القوي الفخور. تمنى ماركوس لو أن تيتوس لا يزال موجوداً ليحميه وأمه. صورة والده ممدداً ميتاً تحت المطر، تملأ ذاكرته ومضى وقت طويل قبل أن يغط في نوم قلق.

أيقظه أثناء الليل انفجار عنيف. وصلهم من الزنزانة المجاورة صراخ وصخب من القتال الذي اندلع. ظهر الدلاّل وحراسه وفي أيديهم مشاعل لهب وهراوات، بعد ذلك كل سمع ماركوس أصوات ضربهم للسجناء بصمت. حاول أن يعود إلى النوم، لكنّ العنف الذي اندلع أطار النوم من عينيه. من جديد تحولت أفكاره إلى الحال المروعة التي يعيشانها هو وأمه. ما المصير الذي ينتظرهما؟

دوّت قعقعة تصم الآذان، عندما ضرب الحارس بهراوته على طول قضبان الزنزانة الحديدية. استيقظ ماركوس مرتعداً.

جأر الحارس بهم: "قفوا جميعاً." ثم انتقل إلى الزنزانة الأخرى. "استيقاظ. استيقاظ!"

بدأوا بالزنزانة الأقرب إلى البوابة الرئيسية. وضعت القيود في كواحل السجناء ثم اقتادوهم خارج الفناء إلى السوق. قدر ماركوس

أن هناك مئة سجين آخر على الأقل، ينتظرون بيعهم مع اقتراب الصباح ببطء، وها هم يأخذونهم على دفعات لبيعهم في المزاد. شعر بالقلق يقبض أمعاءه طوال الوقت، بسبب فكرة افتراقهما الفظيعة هو وأمه.

أخيراً جاء حارس إلى زنزانتهما، هراوة في يد وفي الأخرى سلسلة ثقيلة طويلة بكلبشات للكواحل. أخرجهم من الزنزانة الواحد تلو الآخر، وبدأ يضع الكلبشات الحديدية حول كواحلهم، ويدق مسماراً في القفل. عندما انضم ماركوس وأمه إلى الطابور القصير، كان آخر ستة عبيد قد اقتيدوا خارج الفناء. كانت ساحة السوق مكتظة، واحتشد الناس حول ماركوس والآخرين، وهم يجرجرون أقدامهم باتجاه المنصة غير البعيدة، حيث ينتظر الدلال وصولهم. شعر ماركوس بيدين تعصران ذراعيه وهو يمر بالحشد، فتح أحد الرجال فم ماركوس ليرى أسنانه، قبل أن يدفعه الحارس إلى الوراء قائلاً: "ستتفحص البضائع جيداً بعد أن تشتريها."

أُجبرا على صعود بضع درجات، ثم الوقوف في صف في مؤخرة المنصة. بعدها تناول الحارس مطرقته الصغيرة واستعملها لإخراج المسمار من كلبشة السجين الأول أحد الرجال السود. سحبه الحارس إلى الأمام، إلى جانب الدلاّل. كان صباحاً مزدحماً، والسماء عالية في كبد السماء. تدحرجت قطرات العرق على خدي الرجل الناصح، وكان شعره ملبداً فوق جمجمته. أخذ نفساً عميقاً، ثم رفع ذراعيه عالياً، ليلفت انتباه الحشد ونادى بصوت جهوري: "يشرفني أن أبيع ستة عبيد لحساب ديسيموس، أبي مدينة

ستراتوس. وهو معروف في أنحاء المقاطعة كافة. الرجلان الأولان نوبيان. كلاهما شاب سليم وقوي البنية." وأمسك ذراع الرجل ورفعها عالياً. "انظروا إلى تلك العضلات! بقليل من التدريب ستصنعان بيت عبيد غريب، أو إن أردتم أن تستفيدوا منها فائدة كاملة، ربما تستطيعون استخدامها في الزراعة أو الملاكمة، حتى يمكنكم استخدامه كمصارع! صالح للاستثمار في كلّ المجالات. فلنبدأ الآن! كم ستدفعون به؟"

صاح صوت: "مئتا سيستيريتي."

التفت الدّلال نحو الصوت وقال: "مئتا سيستيريتي."

"أأنت من قال مئتي جنيه، يا سيدي؟ نعم. إذاً مئتا سيستيريتي!"

قال آخر: "مئتان وخمسون."

ردَّ آخر: "ثلاثمئة."

استمر المزاد مسعوراً، كل يصيح بسعر بعد سعر الآخر، والدلاّل يلهث وراء مزايداتهم. ثم توقف المزاد أخيراً على سعر ألفٍ ومئتي سيستيريتي.

"ألف ومئتان. هل من يزيد؟ ألف ومئتان؟ سيداتي وسادتي، نادراً ما يدخل هذه السوق مثل هذا الرجل المميز. هيا. لا بدّ من مزايد يمتلك نظرا ثاقبا ليرفع السعر؟" تلفت حوله متأملا زيادة ما لكنه لم يحصل على أي زيادة. انتظر الدلال قليلاً، ثم صفق بيديه وقال: "تم البيع!"

اقتيد الرجل عن المنصة إلى سجن صغير، حيث سجل كاتب تفاصيل عملية البيع على لوح من الشمع، وتسلم النقود من الشاري.

بيع النوبي الثاني بالسعر نفسه. و بعده بيع مراهقان صغيران بسعر أدنى بكثير، لرجل طويل ونحيل، ذي شعر مزيَّت بعناية، وحول عينيه كحل. مسح الدلال عينيه بخرقة، ثم أشار إلى ماركوس وأمه.

"البيعة الأخيرة لهذا الصباح سيداتي وسادتي، أم وابنها. المرأة لم تبلغ الثلاثين بعد. تجيد الطبخ والحياكة، ولا بد أنها خصبة وقادرة على الإنجاب لسنوات كثيرة. الولد في العاشرة وصحته جيدة. يجيد القراءة والكتابة والعد. وبقليل من التدريب يمكن أن يصبح مفيداً في التجارة."

طأطأ ماركوس رأسه خجلاً، ذلك أنّ وصف الدّلال لوالدته بهذه الطريقة، جعله يشعر أنه ليس أفضل من حيوان.

تابع الدلال كلامه: "أنا واثق أنكم توافقون على أنهما معاً صفقة رابحة. طبعاً، فأي شارٍ ذي عين تتصيد الصفقات الرابحة، يفضل شراء الصبيّ وهو أكبر قليلاً. وإذا كانت المرأة خصبة. من يعلم ما هي الفوائد التي قد تنتج عن استيلادها؟"

صاح ماركوس: "كلا! لا تستطيع أن تفعل هذا. فنحن مخطوفان!"

أشار الدلال للحارس، فسارع ماركوس بصفعة على وجهه أوقعته أرضاً فوق المنصة. هدر الحشد بالضحك. قبض الحارس على شعر ماركوس وأوقفه ثانية على قدميه، وهو يهمس في أذنه: "أي كلمة أخرى ستتسبب بأذية أمك، لا أذيتك أنت. أتفهمني؟"

أومأ ماركوس برأسه، محاولاً ألا يبكي من الألم الذي سرى في فروة رأسه. أبقى الحارس شعر ماركوس في قبضته بعض الوقت.

قال الدلال وهو يفتعل الابتسام: "كل ما يحتاجه هذا الولد، كما تشاهدون، يداً صارمة."

"من سيفتتح المزاد إذاً؟"

حل صمت لبعض الوقت. وبينما كان الحشد يفكر في هذين الكائنين البائسي الطلّة، أطلّ من وسط الحشد رجل كبير ذو وجه قاسٍ، وبدأ يرفع يده. لكن وقبل أن يتكلم، سُمعت صرخة من وراء الحشد.

"توقف! هذان ليسا للبيع!"

التفت الدّلال والحشد نحو الصوت. وحاول ماركوس أيضاً أن يرى المتكلم، فيما أضاء صدره بريق أمل ضئيل. ربما هذه هي اللحظة التي صلّى لأجلها. ربما تم إنقاذهما.

شق صفوف الحشد من الخلف رجل ضخم الجسم. عندما اقترب الرجل من المنصة، تذكره ماركوس، وشعر أن قلبه يغرق مثل حجرة في الماء.

"ثيرمون."

صعد ثيرمون الى المنصة، بينما الدّلال ينظر إليه بنزق، وقد وضع يديه فوق وركيه السمينين.

"ماذا يعني هذا؟ ماذا تقصد بقولك إنهما ليسا للبيع؟"

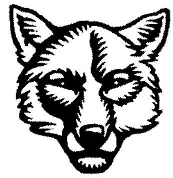
رد ثيرمون بغطرسة: "أنا أتحدث باسم ديسيموس. أنا وصيفه. ويقول سيدي إن هذين ليسا للبيع. انتهى الأمر."

رفع الدّلال حاجبيه مستنكراً. "ليسا للبيع؟ و لم لا؟"

"لست مضطراً لإيضاح السبب. فهذه مشيئة سيدي. أتفهم؟"

أومأ الدّلال برأسه وقال: "كما تشاء." ثم التفت إلى الحارس: "أعدهما إلى الزنزانة."

وبينما انهمك الحشد في دمدمة حول المفاجأة التي غيرت الحدث، تقدم ثيرمون من ماركوس وأمه وقال: "لقد غير ديسيموس رأيه." وابتسم ببرود جعل ماركوس يشعر أن شعر رقبته ينتصب، فيما تابع ثيرمون كلامه: "في ذهنه شيء ما مختلف بخصوصكما."



7

بعد عودتهما إلى الزنزانة، سرعان ما دخلَ الفناء رجل طويل نحيل قليلا، وجهه الطويل جعله يبدو أكثر طولاً. كانت صلعته برغم من بعض الشعيرات الشائبة على حوافها، تلمع وكأنه قد لمّعها. لاحظ ماركوس أن الرجل يعرج في مشيته، مع أنه كان يمشي ببطء، في محاولة منه لإخفاء ذلك. كان يلبس تونيكاً من الحرير، وينتعل جزمة جلد باهتة اللون، وفي كلا معصميه سوار ذهبي.

ابتسم الرجل ابتسامة رقيقة، وهو يقترب من قضبان باب الزنزانة. إن لم أكن مخطئاً، فأنت زوجة القائد الروماني تيتوس المبهجة، وهذا ابنه الصغير. أتخيل أنكما تخمنان من أنا.

سيطرت أم ماركوس على تعابيرها، وهي تنظر إلى الرجل. هز كتفيه لا مبال، وأمال رأسه قليلاً إلى اليمين. "حسناً، أنا محبط. أملت أن تكون زوجة أحد أفضل قادة الجنرال بومبيوس أكثر لباقة. لا بأس

إذاً. أنا ديسيموس. حاكم ستراتوس وجابي ضرائب غراسيا المعين أصولاً." أحنى رأسه في تحية ساخرة. نظر إليهم بصمت لبعض الوقت، قبل أن تتحول تعابير وجهه إلى احتقار. "لستم أقوياء الآن ولا أصحاب رفعة. لا أنتما ولا الأحمق تيتوس المتغطرس دوماً، الذي اعتقد أنه يستطيع أن يتجاهل دينه لي، وأرسل لي رجالي محملين. لقد طال انتظاري، لكني الآن انتقمت منه، وبطريقته الخاصة إن جاز التعبير." ثم فجأة تصنع الاندهاش وفرقع أصابعه. "أووه! لكني أعتقد أنك لم تعرفي أني وزوجك كنا صديقين قديمين. ربما ليس صديقين، لكن من المؤكد أننا كنا رفاقاً."

نظر ماركوس إلى أمه التي بقيت صامتة.

تابع ديسيموس: "لقد خدمنا معاً في الفيلق السادس عشر في أسبانيا بقيادة بومبيوس. لقد كنا أوبتيوس. هل تعرفين ماذا يعني ذلك؟ كنا الرجلين اللذين ينتظران فرصة الترقية إلى رتبة قائد مئة. بعدها جاءت الفرصة. قُتل أحد قادة المئة في سكيرميش، وكنت أنا وتيتوس القديم الرائع ننتظر، لنرى من منا سيحصل على الترقية. كان ينبغي أن يتم اختياري أنا. لقد كنت الجندي الأفضل من دون أدنى شك. كان الجميع يعرفون ذلك. في أي حال، في اليوم السابق على اتخاذ الجنرال لقراره، اقترح تيتوس أن نتبارز بالسيف قليلاً، لنرى من منا المبارز الأفضل. تعرفين، كان الأمر مزاحاً. لكنه في الواقع لم يكن مجرد مزاح. تبارزنا. وبين الكر والفر بدا أنه تعثر وسقط إلى الأمام، وغرز سيفه في فخذي."

اقترب ديسيموس أكثر من القضبان. بدا أنه نسي وجود أم

ماركوس، وكان يحدق بتركيز إلى ماركوس. "حادث، كما ترى؟ لم أشتك عليه." وتبسم ديسيموس بمرارة. "كان الجرح بليغاً كفاية ليجعل قائد الفيلق يستبعدني. لقد خُدعت وحصل تيتوس على الترقية. وطبعاً كان يدعي باستمرار، أن الأمر مجرد حادث. انتظر، سوف أريك الجرح."

رفع ديسيموس زاوية تونيكه، رفعها عالياً حتى يكشف عن فخذه الأيمن. بلع ماركوس ريقه، عندما شاهد ندبة بيضاء طويلة أعلى الركبة.

"إنها ندبة كبيرة. أليست كذلك يا ولدي؟" أنزل ديسيموس تونيكه. "أعتقد أن أباك قدم لي خدمة بطريقة غير مباشرة. لو بقيت في الجيش لانتهى بي المطاف كمزارع فقير بائس على شاطئ إحدى الجزر، مثل أبيك. لكنني والحال تلك، جمعت ثروتي من تزويد الفيلق بالقمح. رشوت بعض الأشخاص المتنفذين، وحصلت على عقد جابي ضرائب هذه المقاطعة. تستطيع أن تتخيل دهشتي وفرحي، عندما جاءني تيتوس ليقترض المال. أتوقع أنه فكر حينها أن الزمن قد تكفل بعلاج المشكلة. لكن ليس بالنسبة لي. هكذا أقرضته بعض المال وبشروط ميسرة. ميسرة بما يكفي لتشجيعه على اقتراض المزيد، و لم يمض زمن طويل حتى غرق في الدين، وأصبح لي الحق الشرعي في تنفيذ انتقامي. أطبق راحتيه على بعضهما."

"تعرف بقيّة القصة."

تنحنحت أم ماركوس، وتحدثت بصوت حازم: "قد يكون

لديك حق شرعي في استعادة دينك، لكن ليس في قتل تيتوس واستعباد عائلته."

"حقاً؟ لم أفعل سوى أن أرسلت له، طالباً استعادة ديني عليه. لكن زوجك قاوم بعنف، ولسوء الحظ مات نتيجة ذلك. ليس ذنبي. وهذا ما تقره أي محكمة في هذه المدينة."

قالت أم ماركوس: "أتساءل ما إذا كان الجنرال بومبيوس، سيوافقك الرأي إن سمع بهذه الإهانة؟"

"أبداً لن يعرف الجنرال بومبيوس بهذا. لست أحمق يا ليفيا. أنا واثق أنه إن سمع أن أحد محاربيه القدامى لاقى هذا المصير، فسيصب جام غضبه على الفاعل. لهذا جرى سحبكم من المزاد." ابتسم ديسيموس. "تلك كانت مجرد بروفة لمصلحتي، كي انتقم منه في هذه الحال شر انتقام. لم أستطع أبداً أن أترككما تباعان إلى شخص ما، قد يصغي إلى قصتكما ويصدقها."

سأله ماركوس قلقاً: "ما الذي ستفعله بنا إذاً؟"

أطرق ديسموس وهو ينظر عبر القضبان: "إن بوسعي قتلك أيها الصبي. أخنقك بهدوء، وأرمي بجثتك من أعلى جرف إلى البحر. كان بوسعي أن أفعل ذلك." توقف بانتظار أن يسري مفعول كلماته. ارتد ماركوس إلى الوراء مرتعداً.

"في أي حال، وكما عشت مع ذكرى الإساءة التي ألحقها بي والدك، ستعيشان مع ذكرى كيف جعلكما تدفعان ثمنها أيضاً." نقر بإصبعه على ذقنه المستدقة وتابع: "لدي مزرعة في بيلوبونيس، في واد صغير تحيط به التلال، وهو حار جداً في الصيف، وقارس

البرودة في الشتاء. أمضي فيها قليلاً من الوقت قدر الإمكان. في أي حال، التربة هناك جيدة لزراعة الشعير، والعبيد هناك يستثمرون بشكل جيد لمضاعفة ثروتي. سأرسلكما إلى هناك كعبدين في حقولي، لتعيشا بقية حياتكما تعملان تحت السوط. وهناك ستموتان منسيين وغير مأسوف عليكما. لن يسمع بومبيوس أبداً بمصيركما، أو بمصير تيتوس.»

أخذ نفساً عميقاً وابتسم بفتورٍ. «إنه انتقام مناسب. ألا تعتقدان ذلك؟»

للحظة قصيرة شعر ماركوس بالرهبة، لكن في ما بعد تملكه الغيظ والرغبة، في أن يطبق يديه على حنجرة جابي الضرائب. بصرخة حيوان حادة هجم ومن خلال القضبان، أنشب مخالبه بتونيك ديسيموس.

صاحت أمه: «ماركوس. هذا لن يفيدنا!»

جذبته إلى الوراء وأمسكت ذراعيه بقوة، بينما ديسيموس يقهقه. «إنه غضوب جداً. لكنه لا يخلو من الشجاعة أيضاً، إنه من صلب جندي لا نقاش في ذلك.»

قدحت عينا ليفيا شرراً: «إنه ابني.»

نظر ديسيموس ذاهلاً من إجابتها، لكن قبل أن يتفوّه بأي شيء، نظرت إليه ليفيا متوسلة.

«مهما يكن ما جرى بينك وبين تيتوس. لقد حدث منذ سنوات طويلة. إنه ميت الآن وقد انتقمت منه. فلا حاجة بك أن تذيقنا من ذلك الانتقام، أنا والولد.»

"آه. هذا لو كان الأمر ممكناً. يجب أن تفهمي الأمر من موقعي أنا، يا عزيزتي. لو تركتكما تذهبان الآن بعد موت تيتوس. سوف تكون مسألة وقت قبل أن يسعى الولد للانتقام لأبيه. أليس ذلك صحيحاً؟" قال ذلك وابتسم لماركوس.

حملق ماركوس فيه، وأومأ برأسه ببطء. "سأجدك ذات يوم، وسوف أقتلك."

أرخت أمه كتفيها يائسة. "ديسيموس. إنه في العاشرة من عمره. حتى إنه لا يعرف ما الذي يقوله. أظهر له الرحمة، وسوف يتذكر رحمتك."

"إن أظهرت له الرحمة. سأكون كمن يوقّع كفالة موته. لا بد أن يختفي كما اختفى أبوه، وكما يجب أن تختفي أنت أيضاً."

فكرت ليفيا بسرعة. "دعه يذهب، وخذني إلى مزرعتك. وما دمت رهينة لديك لن يؤذيك أبداً. أليس كذلك يا ماركوس؟"

نظر ماركوس في عيني أمه، وفهم أنها كانت تتوسله أن يوافق. لكن لم يكن هناك ولو للحظة شك، في إحساسه بالتصميم على القيام بواجبه، بأن يرى ذكرى والده تنال العدالة التي تستحقها. طبعاً كان خائفاً. خائفاً من إدراكه القدر الفظيع الذي كان ديسيموس قد أعده لهما. لكن كان هناك أيضاً غضب بارد وقاس، أقوى من خوفه، أقوى حتى من حزنه أو قلقه بشأن أمه. هزّ رأسه.

"أنا آسف يا أمي. هذا الرجل على حق. ما دمت حياً سأفكر فقط في الانتقام بسبب ما فعله بنا."

رفع ديسيموس يديه في إيماءة يأس وقال: "ترين. ما الذي يمكن

أن يفعله الإنسان؟ أنا آسف لكن هذه هي الحقيقة. ستذهبان كلاكما إلى المزرعة حيث ستعملان حتى الموت. وداعاً."

أومأ برأسه برزانة. بعدئذ وقبل أن ينصرف حدق للحظة في عيني ماركوس المليئتين بالكراهية، وقال: "كنت ستصبح رجلاً رائعاً، يا ماركوس. من العار أن تنتهي هكذا. أنا أحترمك وكنت سأفخر لو كان لي ابن مثلك. أمر مؤسف حقاً."

ثم سار مبتعداً بالخطى البطيئة نفسها، مشية دحرجة خفيفة. راقبته ليفيا حتى اختفى خارج مدخل الفناء، قبل أن تلتفت إلى ابنها.

أمسكت ذراعه بقوة جعلته يئن: "أيها الأحمق الصغير. هل تحاول أن تتسبب بقتل نفسك؟ أنت تشبه والدك. التزام صارم بالمبادئ، وافتقار تام للفطنة السليمة. لقد قلت له إنه لن يستطيع كسب المعركة أبداً. قلت له..." صمتت فجأة وكزّت على أسنانها.

قال ماركوس وهو ينظر إلى ذراعه: "أمي أنت تؤذينني."

تراخت نظرتها المحدقة، وأفلتت ذراعه ثم غطت وجهها بيديها. "آسفة يا حبيبي. آسفة جداً. سامحني. ثم أجهشت بالبكاء."

"لا تبكي يا أمي." قال ماركوس وهو يشعر أن قلبه ينفطر حزناً. لمس خدها برقة: "أنا أحبك. أنا آسف."

أبعدت يديها عن وجهها، وقبّلته على جبينه. "أووه يا طفلي الصغير. ما الذي سيحلّ بنا؟"

وفي أول الصباح حضر سائق العربة لاصطحابهما. كان يحمل في يده هراوة ويراقبهما بحذر، وهو يأمرهما بالصعود إلى القفص. أغلق باب القفص وأقفله. صعد إلى مقعده، وأمسك سوطه وفرقعه

فوق رؤوس البغال. انطلقت العربة إلى الأمام، ثم قعقعت وهي تخرج من بوابة فناء سوق مزاد العبيد. ارتجف ماركوس عندما مرت العربة بمنصة المزاد، حيث وقفا في اليوم السابق. عاش شعور الرعب ذاته للحظة. لقد خبر فكرة أن يفترق عن أمه. كانت سوق النخاسة فارغة ما خلا بعض الشحاذين الذين ينامون تحت أقواس المدخل. وعندما مرّا عبر بوابات المدينة، ونزلا شارعاً عريضاً تحف به عن الجانبين بيوت صغيرة، شعر بيد أمه تلكزه برفق.

"يجب أن نهرب. همست في أذنه وهي تنظر بعصبية نحو السائق. يجب أن نجد طريقة للخروج من هنا."

"كيف سنستطيع ذلك؟"

ابتسمت أمه بفتور، وقالت: "هناك نقطة ضعف." وأومأت برأسها نحو السائق. نظر ماركوس إلى الرجل الجالس على مقعد العربة، كتفاه العريضان محدبان قليلاً إلى الأمام وهو يشد الرسن، ومن حين لآخر، يفرقع بلسانه ليحث البغال على مواصلة جريها.

"السائق؟" رفع ماركوس حاجبيه دهشة. "إنه أكبر من أن نتغلب عليه. لسنا قويين كفاية."

"هناك طريقة يا ماركوس. لكن يجب أن تفعل بالضبط ما أقوله لك."

8

سرعان ما اجتازت العربة حي الفقراء الذي يحيط بالمدينة، وخرجت إلى الريف المفتوح. تقع ستراتوس على ضفة نهر ينتهي مجراه في بحر لونيان. على ضفتي النهر بطيء الجريان، تمتد حقول من القمح حتى سفوح التلال شديدة الانحدار، التي تغطيها الغابات. ثم بدأت العربة تصعد بصعوبة الدرب الضيق، الذي شُق على منحدر تلة. ووفرت أشجار الصنوبر الباسقة على جانبي الدرب ظلاً لطيفاً، وامتلأ الهواء الدافئ برائحة الأشجار. كان الدرب مرصوفاً بكثافة بأوراق الصنوبر الابرية بنية اللون، وتتخلله عناقيد نبات السرخس، وبعض الصخور هنا وهناك. لم يكن في مرمى النظر أي مخلوق آخر، كما لم يصادفوا أحداً على طول الطريق حتى الآن. لكن ماركوس وأمه متوتران.

دمدمت ليفيا: "هذه المنطقة مناسبة. ماركوس، سأتظاهر بالمرض.

سأبذل جهدي كي أبدو مقنعة. لكن ينبغي أن تقوم بدورك. يجب أن تقنعه أنك تعتقد أني أحتضر. هل يمكنك فعل ذلك؟"

أومأ ماركوس برأسه: "سأفعل كل ما يمكنني فعله."

"إذاً لنأمل أن يكون ما يسعك فعله جيداً كفاية." ثم ابتسمت مشجعة. "سيتوقف ويأتي ليلقي نظرة عن كثب. يجب أن تقنعه بفتح باب القفص. لقد راقبته وهو يفعل ذلك، عندما أحضرنا من ستراتوس. أعتقد أن نظره ضعيف، لأنه ينحني إلى الأمام كي يرى شق المفتاح في القفل. تلك هي اللحظة المناسبة لرفس الباب. عندما أقول لك: الآن. نرفس معاً باب القفص باتجاه وجهه، بكل ما لدينا من قوة. فإن تمكنت من مباغتته عندها نستطيع أن نهرب من هنا، قبل أن يصحو."

"وماذا بعد ذلك يا أمي؟"

"عندئذ نركض كالريح."

"كلا. قصدت أين سنذهب؟"

عبست قليلاً وقالت: "سنفكر بذلك لاحقاً. من الأفضل أن نستطيع الوصول إلى الجنرال بومبيوس، ينبغي أن أفكر. إن اقتنع أحد ما ببراءتنا فسيكون بومبيوس. إنه يتمتع بقوة كبيرة بالإضافة إلى أنه مدين لتيتوس بخدمة."

سأل ماركوس: "وما هي هذه الخدمة؟"

لقد أنقذ تيتوس حياة الجنرال بومبيوس في المعركة الأخيرة ضد سبارتاكوس. ولا بد لبومبيوس أن يردّ الدين. حركت ليفيا نفسها بعيداً عن جانب القفص، وأحنت جسدها فوق قش الأرضية

الملوث بالطين. "هل أنت جاهز؟"

أومأ ماركوس برأسه لكنه لم يكن واثقاً. صار قلبه يضرب بسرعة أكبر الآن.

جمعت أمه بعض البصاق في فمها، ثم بدأت تخرجه من بين شفتيها على شكل فقاعات زبد. تكورت على نفسها، وأمسكت معدتها بيديها. غمزت لماركوس، ثم قلبت عينيها إلى الأعلى، وبدأت ترتجف وهي تطلق أنين حيوان خفيض. كان تأثيره مروعاً على ماركوس، فبالرغم من أنه يعرف أنها كانت تمثل، لم يستطع أن يسيطر على ذعره. أمسكها من كتفها بقوة، وصرخ بنبرة فزع: "أماه؟ أماه؟" ثم ارتفع صراخه إلى صيحات هلع: "أماه!"

التفت السائق إلى الوراء: "أنت هناك. أغلق فمك."

صرخ ماركوس: "أمي مريضة. إنها مريضة جداً. يجب أن تساعدها!"

بدأت أمه ترتجف بعنف، وتتقلب من جنب إلى آخر، وهي تئن في ألم واضح.

تنهد السائق بإحباط وشد رسن البغال. "هووها! هووها. اثبتي!"

توقفت البغال في مكانها. خفض السائق الرسن واستدار إلى الوراء ونظر إلى القفص. ما هي مشكلتها؟

"إنها مريضة." قال ماركوس وبلع ريقه بعصبية وتصنّع نظرة هلع. "أعتقد أنها تحتضر. أرجوك. ساعدها!"

"تحتضر؟" نظر السائق شزراً وقال: "إنها لا تحتضر. سترتاح عندما نتوقف ليلاً."

رد ماركوس بيأس: "إنها مسافة طويلة. وهي تحتاج إلى مساعدة فورية."

"مساعدة؟ حسناً. ماذا أستطيع أن أفعل؟ أنا مجرد سائق عربة حقير."

فكر ماركوس بسرعة وقال: "إن ماتت عليك أن تواجه ديسيموس. سأقول له إنك جلست تتفرج عليها وحسب."

عبس السائق ثم نزل عن العربة وسار إلى الوراء. كانت هناك خشخشة ضعيفة، لأن أم ماركوس كانت ترفس بصندلها على قضبان باب القفص الحديدية. توقف السائق عندما وصل إلى مؤخرة القفص.

"ما هي مشكلتها إذاً؟"

رد ماركوس بقلق: "لا أعرف. إنها بحاجة إلى الظل والماء."

"ممممممممممم." همهم السائق وهو يهرش رأسه متشككاً.

بدأت ليفيا تصدر صخب فواق وتقيؤ.

زمجر السائق قائلاً: "لا تتقيئي وتمرضي. لا تتقيئي في هذا الحر، وتجبريننا على احتمال رائحة نتن القيء طوال الرحلة."

قال ماركوس بصوت حاد: "إذاً، دعها تخرج قبل أن تتقيأ هنا."

فكر السائق للحظة، وقال: "حسناً شرط أن تخرج وحدها. أنا أخرجها من القفص، وتبقى أنت في الداخل."

أومأ ماركوس برأسه.

دس السائق يده تحت ياقة تونيكه، وراح يتلمس بحثاً عن المفتاح

المعلق حول رقبته. شزرهما ثانية، وانحنى إلى الأمام ليدخل المفتاح في القفل. شد ماركوس عضلاته، وقلبه يضرب بقوة. في الوقت نفسه جاهد كي يبدو أن أمه هي كل همه، فحمل يديها بين يديه. سُمعت قعقعة معدنية عندما أدار السائق المفتاح في القفل، وبعدها طقة صاخبة مع انزلاق المزلاج إلى الوراء.

صرخت ليفيا: "الآن." وهي ترفس باب القفص، بكل ما أوتيت من قوة. ورمى ماركوس نفسه على بوابة القفص، واصطدم بها بقوة. اندفعت قضبان الباب الحديدية إلى الوراء، صافعة وجه السائق. صرخ السائق من شدة الألم والمفاجأة وسقط على الدرب. قفز ماركوس من القفص إلى الأرض، متجنباً الاصطدام بالسائق الذي كان ممدداً على ظهره، والدم ينزف من أنفه. أمسكت ليفيا بجانبي باب القفص ودفعت بنفسها إلى الخارج، ورطمت الأرض بقوة بجانب ماركوس. أمسكت بيده وجذبتها: "هيا. اركض!"

اندفعا إلى جانب الدرب، مخلفين وراءهما السائق وهو يحاول الوقوف على قدميه، وهو يصرخ: "قفا!"

كانت ردة فعل حمقاء، سمحت لماركوس وأمه أن يزيدا سرعتهما، كسباً لبعض المسافة قبل أن يبدأ ملاحقتهما. كان صندلها الثقيل يخشخش فوق آثار العجلات في الدرب، فاتجهت نحو جانب الدرب، وراحا يجريان منزلقين فوق أكوام إبر الصنوبر الناعمة التي تغطي الطريق.

كان السائق يصرخ وراءهما: "قفا! قفا الآن. وإلا سأفقأ أعينكما عندما أمسك بكما!"

خاطر ماركوس بالنظر إلى الوراء، ورأى أن السائق على بعد ثلاثين قدماً وراءهما. كان يسبق أمه قليلاً فأمسك بيدها وجذبها: "هيا. أسرعي!"

كشرت ألماً. كانت تجاهد كي تتغلب على صعوبة الطريق. ومن حولهما كان المنحدر مرقطاً ببقع ضوء الشمس التي تمر من بين أغصان أشجار الصنوبر. وكان التباين بين الضوء والظل، يزيد في صعوبة التركيز على الطريق أمامهما.

هكذا كان الوضع عندما أصيبت.

بصرخة مفاجئة تشقلبت أم ماركوس إلى الأمام، بعد ما اصطدمت قدمها بحجر كانت تحجبه أوراق الصنوبر الناعمة. سقطت على الأرض بقوة، زافرة من أعماق رئتيها وهي تتدحرج فوق المنحدر. ركع ماركوس على ركبته بقربها.

همست من بين أسنانها المطبقة بقوة: كاحلي! أوههه! كاحلي.

نظر ماركوس إلى كاحلها، فرأى أن اللحم قد شق بالطول من جانب حذائها، والدم يتدفق منه. أمسكت بيد ماركوس بقوة، وهي تحاول أن تقف. لكنها ما إن وقفت على قدميها حتى أطلقت صرخة ألم، وتهاوت على الأرض من جديد.

حدقت في ماركوس، وهي تعضّ على آلامها وقالت: "اهرب يا ماركوس. اهرب!"

هزّ ماركوس رأسه بجنون. "كلا! لا أستطيع أن أتركك."

أفلتت يده ودفعتها بعيداً عنها: "اهرب."

كان السائق على مسافة قصيرة منهما الآن وفي عينيه نظرة

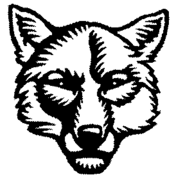
انتصار. بادل ماركوس أمّه التحديق وقال: "لا أستطيع أن أتركك. لا أستطيع!"

صرخت به. "اهرب!" ودفعته بعيداً عنها ثانية وهي تجاهد لتقف على ركبتيها، و تنظر صوب السائق. تقهقر ماركوس بضع خطوات إلى الوراء، ثم استدار وركض هارباً. كان الخوف على أمه يملأ قلبه، لكنه عرف في الوقت نفسه، أنها كانت محقة في تصرفها. فإن بقي سيأخذهم السائق معاً. لكن إن هرب قد يستطيع بعدها أن يجدها وينقذها. نظر وراءه لآخر مرة، فرأى أمه ترمي بنفسها على ساقي السائق. وطوقت ركبتي الرجل بذراعيها. صرخت عالياً: "اهرب يا ماركوس."

بعدها صار صوتها أضعف فيما كان السائق يحاول دفعها جانباً. ركض ماركوس نازلاً المنحدر، واتجه إلى حيث كانت أشجار الصنوبر أكثر كثافة، ما سيجعل ملاحقة السائق له أكثر صعوبة. صرخت أمه ثانية، وكان صوتها يزداد بعداً، ويختفي في الغابة: "اهرب!"

صرخ السائق: "قف أيها السافل الصغير!"

وصل ماركوس المنطقة الكثيفة من الغابة، واندفع فيها مباعداً الأغصان الفتية من أمامه، غير آبه بالجروح والخدوش التي تتركها على يديه وذراعيه. أصبحت الصيحات وراءه أضعف تدريجياً، حتى لم يعد يسمع سوى صوت قدميه يجرجرهما بين إبر الصنوبر، وهسهسة الأغصان وتنهدات اليأس العميقة التي تصدر عنه وهو يهرب، مبتعداً عن أمه أكثر فأكثر.



9

بعينين طافحتين بالدموع، ركض ماركوس مسافة ميل أو أكثر. كان قلبه يضرب بقوة، وحرارة شمس الصباح تحت أغصان الصنوبر جعلته يتصبب عرقاً. كما إن الجري وسط الغابة الكثيفة، تسبب بخدوش كثيرة على يديه ووجهه، فكانت كلها تنزف. كما بدأت عضلاته تؤلمه من كثرة الجهد. مع ذلك لم يكن ألم الخدوش والأوصال يذكَر، بالمقارنة مع ألم الأسى الذي يعتصر قلبه. توقف وانحنى إلى الأمام، مسنداً يديه على ركبتيه وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه. أصاخ السمع ترقباً لصوت مطارده، لكنه لم يسمع سوى صخب دفق الدم في رأسه، ونعيب الغربان الضعيف الذي يلف الغابة.

حاول ماركوس بعد ما استعاد أنفاسه، أن يفكر في وضعه. غير أن مخيلته المزدحمة بصور أمه المصابة تحت رحمة سائق العربة، جعلت الأمر ضرباً من المستحيل. فلا تزال صرخاتها عليه أن يهرب

تدوي في رأسه. انتصب واقفاً واستدار ليحدق في الطريق فوق التلة. شعر أنه جبان، كما شعر بخوف من الوحدة، أكثر من خوفه من العقاب الذي توعده به سائق العربة، بسبب ما فعله به. مع شهيق عميق وحاد، قرر ماركوس ما يتوجب فعله. تلفت حوله باحثاً في أرض الغابة حتى وقع بصره على غايته. إذ رأى على مقربة منه جذع شجرة على الأرض. انتزع منها الغصن الأكبر الذي يستطيع حمله. جرّده من الفروع الصغيرة، أمسكه من إحدى نهايتيه، وبدأ يؤرجحه أمامه يمينا ويساراً، بعدها ضرب به جذع شجرة كبيرة ضربة قوية جداً، ارتجت لها ذراعاه لكن الغصن لم ينكسر.

"هذا يفي بالغرض." برطم لنفسه، وانطلق صاعداً المنحدر نحو التلة، في الاتجاه الذي هرب منه. عرف أن فرصته ضئيلة في مواجهة سائق العربة الضخم الجثة، ما لم يستطع أن يجد طريقة ما يفاجئه بها. إن استطاع ماركوس مباغتته، قد يكون قادراً على إفقاده الوعي أو حتى قتله. عندها يستطيع أن ينقذ أمه، ويأخذ العربة إلى مكان ما يحصل فيه على المساعدة. هدأت أفكاره للحظة.

هل كان بوسعه حقاً أن يفقد سائق العربة وعيه؟

"نعم. زمجر لنفسه. سوف يفعلها، إن اضطر إلى ذلك."

عندما خرج ماركوس من بين أشجار الصنوبر الكثيفة، التي لجأ إليها للهروب من سائق العربة. قرفص قليلاً وبدأ يمشي فوق سجادة الصنوبر الإبرية التي تغطي الدرب، من دون أن يصدر أي ضجيج. جاهدت عيناه وأذناه، لالتقاط أي إشارة للحياة أمامه على الطريق. لكن لم يكن هناك إلا السكون المطبق، وومض الضوء والظل على

الأرض. عندما وصل الى المكان الذي ترك فيه أمه، سجد على ركبتيه. كانت إبر الصنوبر مبعثرة وآثار دمها على الحجر. حدق في دمها للحظة اجتاحت فيها جسده موجة قلق. بلع ريقه، أحكم قبضته على الهراوة المؤقتة، وزحف صاعداً الدرب. وعندما استوى بصره مع مستوى الدرب المحفَّرة، توقف ونظر بحذر من جهة إلى أخرى. كانت الدرب خاوية، ولاأثر للعربة.

صعد الدرب ووقف ساكناً يحدق في الاتجاه الذي سلكته العربة. لم يعرف ماذا ينبغي أن يفعل؟. ليس لديه أدنى فكرة عما ينبغي فعله. دفعته غريزته الأولى للجري وراء العربة، والتفكير في خطة لمهاجمة السائق وإنقاذ أمه. لكن الهلع والخوف اللذين سيطرا عليه من قبل، بدآ يتراجعان وأصبح الآن أكثر قدرة على التفكير بوضوح. كان بوسعه اللحاق بالعربة، وانتظار الفرصة المناسبة ليضرب. لكن سائق العربة سيكون أكثر حذراً الآن، بعد ما خُدِعَ في المرة الأولى. وإن وقع ماركوس بين يديه، فسيكون الأمر مجاناً، وسيحكم على أمه أن تعاني الموت في عملها كأَمَة في مزرعة ديسيموس. وخامره شك ضئيل في أن السائق سيضربه ضرباً مبرحاً أيضاً، قبل أن يعيده إلى القفص.

كانت أمه محقة. يجب أن يحصل على المساعدة. ينبغي أن يجد من يُصغي إلى قصته، وينصفه هو وأمه، ويعاقب ديسيموس. اضطرمت في صدره شرارة غضب من الرجل، الذي سلبه حياته السعيدة ووالديه. لن يكون العقاب كافياً لديسيموس، بل يجب أن يدفع حياته ثمناً لذلك.

بقلب مثقل، استدار وبدأ طريق العودة نحو ستراتوس. لا نقاش في العودة ودخول المدينة من جديد. إن عرفوه سيقبضون عليه ويضعونه في زنازين الدلّال، ريثما تصل الرسالة إلى ديسيموس بأنهم ألقوا القبض على عبده الهارب. بدلاً من ذلك، قرر ماركوس أن يسلك الطريق إلى النهر، ثم يواكبه حتى يبلغ البحر، حيث يستطيع أن يجد مرفأً. ومن هناك سيضطر إلى ركوب سفينة متجهة إلى إيطاليا، حيث يستطيع أن يجد الجنرال بومبيوس، ويخبره بكل ما جرى. لكن حتى عندما صمم على تنفيذ هذه الخطة، أدرك أن الطريق أمامه صعبة وخطرة.

أزاح الهراوة على كتفه، وزاد في سرعة خطواته على طول الدرب القاسي. كانت الشمس في كبد السماء، والحر الحارق يتموج وهجه فوق ظهر الأرض المشوية الممتدة أمامه. ما إن خرج من غابة الصنوبر حتى لاحت أمامه مدينة ستراتوس في أسفل الوادي والشريط الفضي العريض للنهر، يتلوى كالأفعى عبر قعر الوادي قبل أن يمر بين بعض التلال البعيدة. غادر ماركوس الطريق وسلك طريقاً أخرى عبر قرية باتجاه النهر. اجتاز اثناء طريقه بحذر، بعض بساتين الزيتون والكرمة. ومن حين لآخر كان يمر ببعض الناس لكنه بقي بعيداً عنهم. لم يكن واثقاً من إمكان طلب المساعدة من أي شخص يعيش بالقرب من ستراتوس. ربما كانوا يعرفون ديسيموس وأملوا في مكافأة لقاء إعادة عبده الهارب منه.

عندما وصل ماركوس الى النهر، كانت حنجرته يابسة من الجفاف. وجد بقعة هادئة ينمو فيها قصب كثيف على طول ضفة

النهر، فقرفص ليشرب. كوّب يديه في الماء البارد ورفعهما إلى فمه. عندما ارتوى وانتعش، خلع جزمته ونزل الى النهر. وهناك خلع تونيكه وغسلها في الماء الجاري بلطف، أزال عنها الوسخ الذي علق بها خلال الأيام التي قضاها في القفص. وبعدما انتهى من غسلها نشرها على ضفة النهر، لتجف في أشعة الشمس. جلس بالقرب منها في ظل أجمة قزمة، واسترخى. خفف الاستحمام في النهر قليلاً من إجهاد الأيام السابقة، وجرفه تدريجياً إلى نوم عميق.

عندما استيقظ، كان الليل يلف العالم من حوله. صمتٌ مطبق لا يكسره سوى الصرخات الحادة لزيزالحصاد. كان الهواء بارداً. مد يده وتناول تونيكه. كانت جافة، وما إن دفع رأسه داخلها شعر بارتياح كبير. انتعل جزمته وشد رباطها وهو ينظر حوله. كان الهلال في السماء يضفي طيفاً خفيفاً من اللون الأزرق. شعر ماركوس بالجوع، فهو لم يتناول أي طعام منذ الليلة ما قبل الماضية. قرفص على ضفة النهر، كوَّب يديه وغرف الماء وشرب ملء بطنه قبل أن ينطلق.

بقي ماركوس يسيرقرب النهر قدر المستطاع نازلاً مع التيار. في البدء وجد الأمر مثيراً للأعصاب، كانت أي خشخشة في العشب، أو طقطقة أغصان، تجعله يجفل ويقرفص كالبطة، فيبقى ساكناً بعض الوقت. قلبه يضرب بقوة، وتتحفز أذناه وعيناه لأدنى أمارة مطاردة. لكن عندما اقتنع أن هذه الأصوات تصدر عن بعض الحيوانات، تابع طريقه من دون أن يتخلى عن حذره.

مرَّ خلال تلك الليلة، بقريتين صغيرتين معششتين على ضفة

النهر. سار بحذر حول تلك البيوت والأكواخ الصغيرة المعتمة، لم ير أي بصيص ضوء فيها، و لم يسمع أي حركة، ما خلا كلباً في القرية الثانية نبح وعوى قليلاً ثم صمت. مع بزوغ أول ضوء باهت للفجر الزاحف من فوق الأفق، وصل ماركوس إلى القرية الثالثة. كان الجوع ينهش معدته، فقرر على مضض أن يغامر بالحصول على ما يأكله. لم تكن لديه أي فكرة عن كيفية استجابة أهل القرية، لرؤية صبي روماني أمام بابهم. ينبغي أن يسرق الطعام. شغلته فكرة سرقة الطعام للحظة. لكن والده زرع في ذهنه، أن السرقة أمر مشين، وأن الإنسان الذي يسرق رفاقه، يجب أن يؤدب بقسوة. برغم ذلك، إنه جائع جداً وألم الجوع يشتت تفكيره. منذ سنة مرض لدرجة أنه كان يتقيأ كل ما يدخل جوفه، و لم يتناول الطعام بضعة أيام. وهكذا عرف أنه إن لم يأكل في أقرب وقت، سيتسبب له الجوع بالدوخة والضعف. لا مجال لتجنب ذلك. لا بد أن يحصل على طعام بأي طريقة.

اقترب ماركوس بحذر من بيت كبير على حافة القرية. أمام مدخل البيت، كانت شعلة لهب صغيرة تتراقص في مجمرة نحاسية. وفي ضوء هذه الشعلة، شاهد ماركوس رجلاً يفترش الأرض مكوماً على نفسه. توقف طويلاً حتى أقنع نفسه أن الرجل نائم، ثم اقترب ببطء. كان على جانبي البيت الكبير، بناءان منخفضان ورائحة الماعز الواخزة تملأ هواء الليل. خمن ماركوس أن هذه هي السقائف حيث تحفظ الماشية والمواد الغذائية الأخرى. وصل إلى نهاية البناء الأقرب، ووقف ملتصقاً بحائطه الجصي الخشن.

بقي ساكناً لحظة وهو يصغي إلى أي حركة، لكنه لم يسمع سوى حركة عنزة فوق قش الأرضية من تحتها، ثم خيّم صمت من جديد. تحسس ماركوس طريقه على طول الجدار حتى وصل إلى الباب. رفع المزلاج ببطء وجفل عندما صرّ. كان الباب معلقاً على مفصلات خشبية ثقيلة، وصرّ عندما فتحه بما يكفي لحشر نفسه إلى الداخل. دخل شعاع خفيف من ضوء القمر وأضاء أرضية المخزن. وفي ضوئه استطاع ماركوس، أن يرى باباً آخر في الجدار المقابل. إلى جانب الباب هناك معالف للدواب، وضعت فيها جرار محكمة السد. تقدم ماركوس حتى بلغ بعض الرفوف. تلمست أصابعه بخفة الأشياء المخزنة فوقها. بعض جذور النباتات، وأكياس ملئت حنطة. بعدها وقعت يده على أشياء قاسية بحجم حصاة كبيرة. عصرها في راحته فانهرست. التقط واحدة منها، كانت خفيفة الوزن. قربها من أنفه وشمَّ. إنه خبز! التقط المزيد من الأرغفة الصغيرة وتابع البحث على الرف التالي، وجد بعض الجبن فأخذ أكبر قطعة استطاع حملها، ثم تناول قربة ماء فارغة معلقة بقرب الرف، يمكن أن يملأها بالماء من النهر. هذا ما قرره وهو يمشي عائداً إلى الباب الذي جاء منه، سعيداً بما لقيه.

أسرع الخطى للخروج، فاصطدمت قدمه بشيء صلب. سمع صوت مشبك وسرعان ما تلاه تحطم جرّة ثقيلة على الأرضية الصلبة. طش السائل وأصاب ساقيه، وامتلأ الهواء برائحة زيت الزيتون. شعر بدفقة خوف جليدي من رقبته إلى أسفل ظهره. كان صوت التحطم كافياً لإيقاظ عامل المزرعة. لا شك في ذلك.

حاول الجري نحو الباب، لكن الزيت المسفوح جعل الأرضية الصلبة زلقة وكان مضطراً أن يتحرك بحذر. سمع ماركوس صراخاً من المبنى الرئيسي في المزرعة، فخرج من الظل إلى ضوء القمر ليرى أن الرجل الذي كان نائماً قرب النار، قد نهض واقفاً ويطلق الإنذار. قرفص وراء كومة حطب للموقد في الظل، كي يبقى بعيداً عن الأعين. وبرغم أن الوقت ليل، كان ضوء القمر كافياً ليراه الحارس. انصفق الباب منفتحاً إلى داخل الممر وبعد لحظة، انضم رجلان آخران إلى الأول.

سأل أحدهما: "ما الذي يجري؟"

"سمعت شيئاً يتحطم في أحد المخازن."

"هل هو حيوان؟"

"سنعرف ما هو فوراً! تعالا."

خفض الرجل الأول مشعلاً وقرّبه من المجمرة النحاسية، وفي الحال علا اللهب من قطعة القماش المبللة بالزيت المربوطة إلى رأس المشعل. اتجه الرجال الثلاثة صوب المخزن الذي أضاءته بركة الضوء البرتقالية المتراقصة على رأس المشعل. أدرك ماركوس أنهم سيرونه في غضون لحظات. لن يستطع الهروب منهم وهو يحمل هذا الحمل من الطعام، لكن في المقابل كان يتضور جوعاً. عرف أنه لن يكون قادراً على الاستمرار من دون طعام. نظر حوله يائساً. بعدئذ تسمرت عيناه على بركة الزيت التي تلمع في مدخل المخزن. نهض من وراء كومة الحطب، وركض عائداً إلى الباب.

"إنه هناك!" قال الرجل الذي يحمل المشعل وأشار بيده. "إنه ولد."

"لص صغير! لنقبض عليه!"

اندفعوا راكضين. نظر ماركوس حوله ثم انحنى مختبئاً في الظل.

صاح أحد الرجال مبتهجاً. "هاها! لقد علق الآن."

"لقد نلنا منه."

بحذر سار ماركوس عبر بقعة الزيت باتجاه الباب في الجهة الأخرى البعيدة. كان مقفولاً بمزلاج بسيط لكنه قاس وصرّ قليلاً عندما جاهد ليسحبه إلى الوراء. ملأ الضوء المخزن عندما وصل الرجال إلى الممر. حاول ماركوس ألا يهلع، جاهد مع المزلاج. كان قلبه يضرب بقوة من الخوف من فكرة وقوعه بين أيديهم. عندئذ فقط، ارتد المزلاج إلى الوراء فدفع الباب.

"قف مكانك يا ولد!" صاح الرجل عبر الغرفة.

نظر ماركوس إلى الوراء وقال: "أمسكني."

ثم ركض خارجاً إلى عتمة الليل. سمع وراءه الرجال يدخلون المخزن ومن ثم صرخة تحذير وسَقطة على الأرض، تلتها أخرى. لقد انزلقوا ووقعوا في بقعة زيت الزيتون.

صاح صوت: "انتبه إلى ذلك المشعل، أيها الحمق!"

ركض ماركوس مبتعداً عن القرية، قاصداً أمان الظل تحت أقرب بستان زيتون، على بعد مئة خطوة. لم يجرؤ على النظر وراءه عندما كان مطاردوه يصرخون هلعين. لكن عندما بلغ أشجار الزيتون توقف ونظر من فوق كتفيه. كان الباب مرئياً بوضوح، مضاءً بقوة

الوهج الأحمر والبرتقالي من داخل المخزن. خرج منه أحد الرجال متعثراً، بدا كظل أمام وهج النار في الداخل. لا بد ان المشعل قد أضرم النار في المخزن وألسنة اللهب تنتشر الآن بسرعة. أيقظت صرخات الرجال مزيداً من الناس في المنزل. كان صدر ماركوس يعلو ويهبط وهو يحاول التقاط أنفاسه. راقب الطريق لحظة، وعندما اقتنع أن لا أحد يلاحقه. أخذ قطعة من رغيف الخبز وبدأ يمضغها بسرعة. ارتفع أول ألسنة اللهب من سقف المخزن بينما العديد من الأشخاص يصبون دلاء الماء على النار.

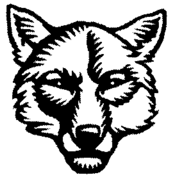
شعر ماركوس بموجة إحساس بالذنب من هذا المنظر. لقد أراد أن يأكل فحسب وقد صدمه تصاعد اللهب. عندما تنطفئ النار، من المؤكد أن يرسل أصحاب المزرعة الرجال للبحث عن المذنب. يجب أن يتحرك بسرعة ويبتعد أكثر ما يمكنه عن هذا المكان قبل بزوغ الفجر. قضم مزيداً من الخبز، استدار وانطلق مسرعاً بين أشجار الزيتون. مشى بأقصى سرعته. لم يجرؤ على الركض خوفاً من أن يتعثر في الظلام ويلوي كاحله. بعد ما ابتعد مسافة ميل عن المزرعة انعطف باتجاه النهر وتابع سيره مع التيار.

مع أول خيوط الضوء شاهد ماركوس النهر يجري عبر ممر ضيق، واضطر أن يسلك طريقا شديد الانحدار يصعد إلى جانب التلة. عندما بلغ القمة وهو يلهث من الجهد، توقف كالصنم. فعلى الجهة الأخرى من التلة، تنحدر الأرض بشدة نحو شريط سهل ساحلي ضيق. وفي الأسفل في ظل التل مرفأ كبير. وما وراء الجدران الحجرية السميكة، متاهة مربكة من أسطح قرميدية باهتة اللون تمتد باتجاه

الساحل حيث يوجد خليج واسع. حوالى عشرين أو ثلاثين سفينة ربطت بجانب الرصيف وسفن أخرى كثيرة رمت مراسيها في الماء.

للمرة الأولى، شعر ماركوس بمعنوياته ترتفع وهو يحدق في السفن في الأسف. مؤكد سيبحر بعضها إلى إيطاليا، وسيجد طريقة للصعود إلى متن إحداها. سيجد طريقه إليها أو إذا اضطر، سيختبئ فيها ويقفز منها ما إن ترمي مرساتها بالقرب من شاطئ إيطاليا. بعدها يجب أن يذهب إلى روما ويعثر على الجنرال بومبيوس. عرف ماركوس أن أمامه طريقاً طويلة، ويجب أن يسيرها وحده ويتغلب بنفسه على المخاطر التي ستواجهه. تمنى لو أن والده لا يزال حياً وهو معه الآن هنا. كان سيعرف ما الذي ينبغي فعله. لقد كان قوياً بما يكفي للمساعدة. ارتاب لوهلة قصيرة في مقدرته على القيام بذلك، لكن عندما تذكر أمه، امتلأ قلبه بتصميم متجدد على إنقاذها.

أكل ماركوس نصف رغيف خبز وبعضاً من الجبن، بعدها انطلق نازلاً التلة نحو المرفأ.



10

"تريد أن تنضم إلى طاقم سفينتي؟" قال قبطان السفينة فيرويند مبتسماً وهو ينظر إلى ماركوس في الأسفل. "كانا واقفين على ظهر سفينته في ميناء ديراسيوم ومن حولهما عمال السفينة يتسلون بالنظر إلى هذا الشخص الصغير."

ابتلع ماركوس ريقه بعصبية قبل أن يجيبه. "نعم يا سيدي."

تخصّرالقبطان واضعاً يديه على وركيه وقال: "أفهمك. إذاً، قل لنا أي خبرات تملك؟"

"خبرات؟"

"إبحار سفينة مثل هذه." قال القبطان وأشار بيده إلى سطح السفينة.

في هذه اللحظة وضعت حمولة على السفينة. فرق حمالين يصعدون بثبات فوق معبر خشبي مؤقت، فوق ظهورهم بالات

تحتوي على مواد نفيسة. يأخذ عمال السفينة البالات منهم وينزلونها إلى بعض البحارة في العنبر،[1] ثم يرتبونها بعناية. وفوقهما يرتفع صاري السفينة، والشراع الملفوف عليه يتدلى منه بزاوية طفيفة والحبال تشد الصاري والشراع في كل الاتجاهات.

أخذ ماركوس نفساً عميقاً محاولاً أن يبدو واثقاً وهو يخادعه: "لقد عملت على ظهر سفينة من قبل يا سيدي. أنا واثق أني سأتذكر كل الأشياء."

حك القبطان حنكه ثم سار نحو الصاري. سحب أحد الحبال وأحنى رأسه إلى ماركوس.

"حسناً. إذاً، ما اسم هذا يا بحاري الصغير؟"

نظر ماركوس إلى الحبل، ثم تبعه ببصره إلى أعلى الصاري حتى لم يعد قادراً على تمييزه من بين الحبال والبكرات الأخرى الكثيرة. شعر بقلبه يهوي في قاع سحيق وهو يعود ببصره إلى القبطان ثانية. "لا أستطيع أن أتذكر اسمه."

فقال ماركوس: "لكن يجب أن أذهب إلى روما! أنا عامل مجتهد ولا آكل كثيراً."

هز القبطان رأسه وقال: "ربما. لكن ليس على متن سفينتي. لا حاجة لي بك أيها الصبي. ليس قبل أن يكون لديك خبرة في الإبحار. والآن غادر سفينتي قبل أن أجلدك."

---

1 العنبر (وجمعها عنابر): هي المستودعات تحت سطح السفينة التي تخُزن فيها البضائع المشحونة.

أومأ ماركوس برأسه وهو يتراجع إلى الوراء باحتراس. ثم استدار ونزل المعبر الخشبي مسرعاً إلى رصيف الميناء. كان الوقت عصراً، وكانت أحجار رصيف الميناء تلتهب حرارة. أسرع الخطى إلى ظل أحد مخازن البضائع. رائحة توابل خفيفة تنافس رائحة السمك ورائحة العرق والمجارير. برغم شدة الحر كان الرصيف يضج بالحياة. فهو كان يعج بالبحارة والتجار والباعة الجوالين والصيادين على شارع الرصيف بجوار الماء. راقبهم ماركوس برهة ثم نظر عالياً إلى الصواري وحبال الأشرعة المحلقة فوق رؤوس هذا الحشد الخليط. لا يوجد نقص في السفن. المشكلة الوحيدة هي في إيجاد طريقة للحصول على نقل مجاني إلى إيطاليا. فإذا تبين انه ضرب من المحال. عندها قرر ماركوس أنه لا مناص من الاختباء على متن إحدى السفن.

أمضى ماركوس معظم هذا الصباح، متنقلا من سفينة إلى أخرى، باحثاً عن تلك المتجهة عبر البحرالأدرياتيكي. يسأل إن كان بوسعه السفر معها، عارضاً العمل على السفينة كمقابلٍ. لكن لم يجد بينهم من يحتاج إلى خدمات صبي في العاشرة. بينما رفضه بعضهم بفظاظة، وآخرون شكّوا في أمره. سأله أحد القباطنة بوضوح إن كان هارباً من العبودية. أنكر ماركوس الاتهام. قدم اعتذاره وغادرالسفينة في الحال. وقرر بعدها أن يكون أكثر حذراً. لا بد أن ديسيموس قد وضع جوائز لمن يعيد إليه عبده الهارب. وأصحاب المزرعة بالمثل راغبون في إيجاد اللص الذي تسبب باحتراق المستودع.

لا يزال بحوزته رغيف خبز وبعض الجبن، أخرجها من تونيكه وبدأ يمضغ من دون شهية. عندما ينتهي الطعام لن يتبقى شيء بحوزته وما لم يستطع أن يجد طريقة ما ليكسب بعض المال، أو ينضم إلى طاقم سفينة، سيُجبر على السرقة من جديد. شعر بالإثم عندما فكر في هذا الاحتمال. شتم ديسيموس وهذه ليست المرة الأولى، لأنه السبب في كل معاناته. بعد ما فرغ من طعامه، ملأ قربته الجلدية بالماء من نافورة عامة ثم جلس في مدخل دكان مسقوف ليهضم طعامه ويرتاح قليلاً.

أصبح قيظ العصر أكثر قوة، وغدا رصيف الميناء أقل ازدحاماً مع انسحاب الناس إلى الراحة ساعة أو ساعتين. وانسحبت فرق الحمالين إلى الظل داخل المخازن، حيث جلس بعضهم يلعبون النرد، بينما الآخرون أكلوا أوناموا. وعلى متن السفن ارتاح العمال أيضاً، بعضهم تمدد خارجاً على السطح حيث وجد مكاناً ظليلاً. سرعان ما هدأ كل شيء، ما عدا حفنة من الناس تابعت أعمالها جيئة وذهاباً على طول الرصيف. لاحظ ماركوس أنه ربما هذه هي اللحظة الأنسب للصعود إلى متن إحدى السفن، بينما يغفو العمال. نفض فتات الخبز عن تونيكه ونهض واقفاً. بدت سفينة فيرويند قبالته مهجورة، فسار متسكعاً على طول الرصيف، وهو ينظر إلى السفينة من طرف عينه. لقد اكتشف أنها متجهة إلى بونديزيوم، المرفأ المزدحم مقابل ساحل غريسيا مباشرة. إنها خياره المثالي.

عندما كان يمر ببطء بجانبها، استطاع أن يرى أن معظم طاقم السفينة كانوا يستلقون تحت ظلةٍ مُدَّتْ فوق مؤخرة سطحها، حيث

مقصورة عامل الدفة تشرف على جانب السفينة. كان في مقدمة السفينة رجل واحد فقط، وكان يشخر شخيراً عالياً. كان باب عنبر الحمولة مفتوحاً إلى يمين المعبر المؤقت. ألقى نظرة سريعة حوله، ليتأكد أن أياً من عمال السفينة لايراقبه. عاد ماركوس إلى المعبر الخشبي وعبره بثقة، وكأنه أحد عمال السفينة يعود إليه. وذلك تحسباً إذا كان أحد ما على الرصيف يراقبه. عندما وصل إلى الفتحة في درابزين السفينة انزلق إلى الأسفل ثم زحف إلى السطح. توقف ناظراً في كلا الاتجاهين. لا يزال شخيره يهدر لدرجة أن ماركوس أقسم إنه شعر باهتزازته، في أرضية سطح السفينة الخشبية تحت قدميه. نظر إلى الجهة الأخرى، فرأى أن لا أحد يتحرك تحت الظل. تمتم لنفسه: حتى الآن الأمور جيدة جداً. كان حاجز فتحة الشحن الخشبي المرفوع يبعد عنه أقل من ستة أقدام. اقترب منه بحذر زاحفاً على يديه وركبتيه، وهو يجفل من حرارة السطح. عندما وصل إلى الفتحة نظر من فوق الحافة إلى الأسفل، إلى داخل العنبر. بدا أن حمولة السفينة تتألف بشكل رئيسي من البالات، التي رتبت بعناية باتجاه مؤخرة العنبر، بينما ملئت المقدمة بألواح من الخشب الغامق وغالباً الأسود. كان هناك مكان صغير، ولاحظ ماركوس أن فيرويند ستنتهي من شحن بضائعها قريباً ثم تبحر. إنه وضع مثالي. قال لنفسه.

استرخى على حافة الحاجز البالية، ثم أسقط جسمه سَقطة طفيفة فوق بالة صوف كبيرة. سكن قليلاً مصغياً إلى أي أمارة تدل على أن أمره قد انكشف. وبعدما اطمأن، تسلق فوق البالات باتجاه

مؤخرة العنبر. اختار بقعة بالقرب من القمة، في منتصف الطريق عبر عارضة السفينة.

هناك حرّك إحدى البالات إلى الخارج، وهو ينوء تحت ثقل وزنها، سحبها إلى بقية الكومة تحت الفتحة. تسلق إلى الأعلى إلى الثغرة التي صنعها. وجذب بالة أخرى ووضعها بعناية تحت الثغرة. ثم انزلق إلى داخلها وجر بالة ثالثة إلى الأمام، ثم دفعها ليخفي الفراغ الذي صنعه على قمة البالات. كان هناك شق صغير في أحد الجوانب، لكنه يكفي كي ينحشر فيه. ومن الجهة الأبعد منه يستطيع أن يرى كل العنبر من الداخل، وعندما يوضع مشبك فتحة العنبر في مكانه سيبقى الضوء والهواء متوفرين له، طوال الرحلة عبر البحر.

كانت الحرارة خانقة في العنبر. عندما استلقى هناك بانتظار أن يستكمل تحميل البضائع، شعر ماركوس بالعرق ينضح من كل مسامات جسده. وسرعان ما شعر بالعطش لكنه قاوم إغراء الشرب من قربته الجلدية. إذ ينبغي أن يحافظ على الماء لفترة طويلة. فإن نفد الماء منه، أو بدأ يتضور جوعاً وأصبح الوضع سيئاً بالنسبة له، عندها قرر أن يسلم نفسه لطاقم السفينة، وأمل ألا يعيدوه إلى غريسيا. والأسوأ من ذلك، أن يعيدوه إلى ديسيموس عندما يكتشفون هويته.

بعد مرور ساعة على حد تخمينه لمرور الوقت، سمع ماركوس وقع الأقدام على سطح السفينة فوقه، بعد ما نهض طاقم السفينة لاستكمال مهامهم.

هدر صوت القبطان: "عودوا إلى العمل! وأنتم هناك! أنتم

أيها الحمالون احملوا الشحنة الأخيرة إلى السفينة. يجب أن تبحر السفينة قبل الغسق. حركوا أنفسكم!“

بعد فترة قصيرة عاد ماركوس إلى المراقبة، من خلال الثغرة الصغيرة التي تركها لنفسه. ترافق هذا مع نزول عاملين إلى العنبر وترتيبهما بالات البضائع الأخيرة في أماكنها. سمع فوق رأسه وقع الأقدام الثابتةعلى السطح. وبعدها أُنزِلت من فتحة العنبربعض الصناديق الخشبية، وبضعة أقفاص شحن فيها جرار كبيرة، لتكتمل الشحنة، ثم صعد الرجلان إلى سطح السفينة. سمع دمدمة عميقة بينما كان المشبك يوضع فوق فتحة العنبر. تنفس ماركوس الصعداء لكونهم لم يكتشفوا وجوده، وتمطط في الفراغ الصغير الذي صنعه لنفسه. على الأقل مع كل هذه المواد الجيدة من حوله، سيكون لديه سطح مريح يسترخي فوقه. المشكلة الرئيسية في شدة الحر في العنبر والعطش الذي كان سلفاً يستبد بحنجرته.

بعدما اكتمل تحميل شحنة البضائع على متن فيري وند، جأر القبطان آمراً طاقمه بالاستعداد للإبحار. رُفع المعبر الخشبي المؤقت إلى متن السفينة. أُنزل الشراع ومُدَّت المجاديف من على جانبي السفينة، لتدفعها بعيدا عن رصيف الميناء. على إيقاع الصرير المنتظم للمجاديف وطرطشة المياه، دفعت المجاديف الطويلة السفينة إلى خارج الميناء عابرة حوض انتظار الشحن، ومن ثم إلى البحر المفتوح. شعر ماركوس بالتغيير المفاجئ في حركة السفينة، وهي تواجه الأمواج الطويلة الخفيفة، في البحر المفتوح خارج الميناء. في الحال بدأت معدته تجيش، وشعر بدوخة مرعبة تجتاح جسده، أطبق

يديه على فمه وحاول ألا يمرض. لأن آخر ما أراده هو أن يكمل الرحلة وسط قيئه.

استطاع من خارج مخبئه أن يسمع الصرخات المكتومة، بينما كان القبطان يصدر أوامره للطاقم أن يشدوا الشراع ويضعوا السفينة في مسارها، في هذا البحر الفسيح الذي يفصل غريسيا عن إيطاليا. وعندما بدأت فيري ويند تجتاز الأمواج الطويلة، وتنقض نازلة عنها، تكوّر ماركوس على نفسه وأنَّ. شعر بمعدته تضطرب، واضطر أن يستخدم كل ما لديه من طاقة ضبط النفس كي لا يتقيأ. في النهاية، لم يستطع أن يقاوم الباعث على التقيؤ أكثر من ذلك. حرك بالة الصوف جانباً. اتكأ على يديه ومد جذعه نحو قاع العنبر وتقيأ. عاوده دوار البحر مراراً، وسرعان ما أفرغ كل ما كان في جوفه. برغم ذلك بقي يتجشأ وتشنجت معدته بشكل مؤلم، حتى انتهت نوبة القيء وتركته مبللاً بعرقه. عرف ماركوس أنهم سيلاحظون القيء عندما تدخل السفينة إلى ميناء، لكنه أمل أن يعتبروه من أحد عمال السفينة الذي لم يكن قادرً على الوصول إلى جانب السفينة في الوقت المناسب. مع حلول الغسق أخذ أول رشفة ماء، تمضمض وبصق الماء، قبل أن يشرب ملء فمه جرعة ماء عذب. وبعد ما تأكد أنه غطى المدخل إلى مخبئه، تكور على نفسه ثانية، وحاول أن يخرج بعقله من نوبة دوار البحر هذه، بالتفكير بخطواته الثانية. ما إن تصل السفينة إلى برونديزيوم، ينبغي أن يغادر السفينة من دون أن يراه أحد. ثم عليه أن يشق طريقه إلى روما ويجد الجنرال بومبيوس.

للحظة سيطر عليه خوف هائل من أنه قد تنطح لمهمة مستحيلة

لحظة. ففي نهاية المطاف هو مجرد صبي صغير ولوحده أيضاً. لقد ولد وترعرع في مزرعة والده، ولم يبتعد عن منزله قط أكثر من عشرين ميلا إلا أخيراً. ولا تزال الطريق أمامه طويلة ليقطعها قبل أن يصل إلى روما. وحتى عندها يجب أن يجد طريقة للوصول إلى الجنرال بومبيوس. إذا كان الجنرال عظيماً وقوياً كما قال له والده، لن يكون من السهل الوصول إليه. وفيما كانت هذه الشكوك والمخاوف تشق طريقها إلى ذهنه، اشتعلت فجأة صورة والدته في أفكاره. أطبق قبضته بقوة، ونفض همومه غاضباً وقال لنفسه إنه مجرد جبان. لو كان والده هنا لشعر بالعار منه. انسحب إلى زاوية مخبئه، وأغمض عينيه محاولا أن يقاوم مخاوفه من مستقبله ودوار البحر، الذي بدأ يتصاعد مع حركة السفينة.

أمضى الليلة وكل النهار التالي في مخبئه، لا يخرج منه إلا لقضاء حاجته جوف العنبر، محترسا كي لا يراه أحد من خلال الشبك المعدني الذي يغطي فتحة العنبر. وبحلول الليلة التالية، كان ماركوس قد بدأ يتغلب على دوار البحر، لكن الماء نفد من قربته والجوع ينهش معدته. استلقى فوق بالة الصوف بضع ساعات في الظلام غير قادر على النوم. وفي ساعات الصباح الأولى صحا على صوت القبطان الواقف بجانب الصاري أمام فتحة العنبر.

"ما هذه الريح المجنونة، أيها المعاون!"

سمع ماركوس وقع خطوات هادئة على سطح المركب، تبعه صوت أحد رجال الطاقم يقول: "حاضر سيدي."

"لقد غيرت الريح اتجاهها من جديد. أريد أن تشدوا الشراع

جيداً. قل لعامل الدفة أن يواكب اتجاه الريح، بقدر ما يستطيع السيطرة على السفينة. وما لم تتغير هذه الريح سنتأخر يوماً عن الوصول الى الميناء."

"نعم، سيدي. أعتقد ذلك."

"هيا انطلق."

استدار معاون القبطان وذهب يستدعي الحارس الليلي، فسمع ماركوس صراخاً ووقع أقدام على سطح السفينة، وبعد لحظات، صعدت السفينة فوق موجة أعلى قليلاً هذه المرة. أصبحت الحركة اقل استقراراً مع اصطدام مقدمة السفينة بالأمواج. شعر ماركوس أن قلبه يهوي، عندما سمع الحوار المقتضب في الأعلى. لقد تأكد تأخر السفينة بضعة أيام. إن كان القبطان مصيباً في كلامه، فهذا يعني أن السفينة لن تصل الميناء قبل بضعة أيام إضافية. عرف ماركوس أنه لا بد أن يحصل على ماء وطعام قبل ذلك، إن أراد أن يبقى حياً وقوياً على إكمال الرحلة، سعياً وراء الجنرال بومبيوس. ليس أمامه سوى حل واحد، أن يغادر العنبر ويحاول أن يجد ما يأكله ويشربه. ومن الأفضل أن يفعل ذلك الآن، خصوصاً أن الظلام ستار ويقلل من احتمال أن يراه أحد.

انتظر قليلاً كي يمنح طاقم السفينة الوقت ليستقروا في أماكنهم، ثم زحف خارجاً من مخبئه. كان العنبر يضج بأصوات صرير الخشب، وصوت حركة الماء في البراميل داخل العنبر فوقه. وبين قضبان الشبك الحديدي الكثيفة التي تسد العنبر، رأى فتحة مربعة الشكل واسعة بما يكفي لشخص مثله أن يخرج منها. خمن ماركوس أنها

تركت على هذه الحال، كي يستطيع طاقم السفينة أن يتفقد حال العنبر، من دون الحاجة إلى رفع الغطاء كاملاً. زحف ماركوس بهدوء فوق بالات الصوف، وصناديق الجرار المربوطة بإحكام، حتى وصل الفتحة. وكان ارتفاع البضائع في العنبر كافياً، ليساعده على وصول الفتحة بسهولة. تطاول حتى أمسك بحافة الفتحة، تقلصت عضلاته استعداداً، ثم رفع جسده. وعندما وصلت عيناه إلى مستوى الحافة الخارجية للفتحة الصغيرة، تلفت حوله مستكشفاً سطح السفينة.

كانت أولى ومضات الفجر ترشح من فوق الأفق. عند مؤخرة السفينة رأى رجلاً واقفاً ممسكاً بالذراع التي تتحكم بدفة توجيه السفينة الضخمة، وحفنة من الرجال، يفترشون سطح السفينة أمامه. وعلى مقربة من فتحة العنبر، رأى مجموعة أشخاص مكومين على بعضهم، بالقرب من جانب السفينة. وعندما تحرك أحدهم، سمع ماركوس صليل سلاسل، فأدرك أنهم عبيد بالتأكيد. أصبح الآن جزءاً من عنبر السفينة. يبدو أن لا أحد رآه فتنفس الصعداء، أطلق تنهيدة ارتياح خفيضة. بعدها وقع بصره على بعض السلال وبرميل بجانب قاعدة الصاري. رفع ماركوس جسده عالياً فوق حافة الفتحة، ثم إلى سطح السفينة. أبقى جسده منخفضاً قدر الإمكان، وانزلق عبر ألواح الأرضية الخشب المهترئة حتى وصل قاعدة الصاري. تلمست أصابعه موجودات السلة الأقرب إليه، فاصطدمت بشيء صلب مدور. تفاح! ابتسم لنفسه وأخذ أربعاً منها، ووضعها في تونيكه. لكن وبرغم سروره بلقيته هذه، أدرك أن التفاح وحده لن يسكت جوعه.

سمع شخيراً مفاجئاً أجفله وجعله ينط متلفتاً حوله مرعوباً. على

بعد خطوات منه كان أحد عمال السفينة نائماً متكوراً على نفسه. برطم الرجل بضع كلمات وبدأ يتنفس بصعوبة. كان ماركوس على وشك أن يعود بانتباهه إلى السلة، عندما لمح على الأرضية قرب الرجل، نصف رغيف خبز وبعض السجق. تلمظ شفتيه من فكرة أن يو لم لنفسه، بطعام عامل السفينة غير المنتهي. استدار سريعاً ليرى إن كان لم يلفت انتباه أحد، دفع جسده إلى جانب البحار الذي يشخر. توقف على مقربة منه، مد يده خلسة وسحب نصف رغيف الخبز ثم السجق، بابتسامة ارتياح خفيفة لأن الرجل لم يستيقظ، استدار ماركوس عائداً باتجاه العنبر. كان متحمساً جداً للعودة إلى مخبئه ليو لم لنفسه، قبل أن ينبلج الضوء أكثر ويكشف سره. كان على وشك الوصول إلى فتحة العنبر، عندما دوى صوت رجل الدفة الجهوري فوق سطح السفينة: "تبديل الحراسة! تبديل الحراسة! نوبة الصباح أفردوا الشراع الرئيسي."

بدأ طاقم السفينة يتحرك، والرجل الذي سرق ماركوس بقية طعامه أطلق زفيراً صاخباً عبر منخريه. نهض جسمه بتعب متلمساً بيديه بحثاً عن بقية طعامه. فتح عينيه ونظرمباشرة إلى ماركوس. رمش عينيه وعبس ثم لمح السجق والخبز في يد ماركوس، فاتسعت عيناه دهشة.

"لص! صاح، وهو يدفع جسمه بيديه فوق سطح السفينة باتجاه ماركوس."

11

رفس ماركوس بجزمته الجلدية، فأصاب نعلها الجلدي المليء بالمسامير وجه البحار. صرخ الرجل ألماً، وأطبق يديه على أنفه الذي بدأ ينزف دماً. نبه صراخ البحار بقية الرجال القريبين فالتفتوا يراقبون.

صاح أحدهم: "من هو هذا الصبي؟"

فأجابه صوت آخر: "من الواضح أنه ليس مسافراً." وضحك بعض الرجال على ظهر السفينة: "يبدو أن لدينا مسافرين متهربين على متن السفينة، يا أصدقاء."

تراجع ماركوس إلى الوراء، مبتعداً عن الرجل الذي رفسه في وجهه ثم وقف القرفصاء. قضم قطعة كبيرة من السجق، ومضغها بعصبية وهو يراقب الرجال على متن السفينة بحذر. استند إلى درابزون السفينة المقابل لهم. تقدم المزيد من عمال السفينة إلى

الأمام بدافع الفضول. في هذه الأثناء برز القبطان من فتحة صغيرة عند مؤخرة السفينة، تفضي إلى حفنة قمرات صغيرة في الأسفل. كان يتبعه رجل ضخم يلبس تونيكاً أحمر صعد إلى جانب عامل الدفة ليرى المشهد بوضوح أكبر.

جأر القبطان: "ما هذا الهراء؟ ما الذي يجري هنا؟"

قال أحد البحارة وهو يشير إلى ماركوس: "مسافر متهرب، أيها القبطان. لا بد أنه كان مختبئاً في العنبر وأخرجه الجوع، وهكذا ذهب وسرق طعام سبيرو."

جفف الرجل الذي تلقى رفسة ماركوس، الدم عن أنفه ووقف مزمجراً. ثم هسهس من بين أسنانه: "حسناً، أيها الولد. ستدفع ثمن ذلك كله. أتعتقد أنك تستطيع أن تسرق حصة سبيرو من الطعام وتهرب بها. إيه؟"

مد يده إلى خصره وسحب خنجره من تحت حزامه الجلدي العريض. زان ماركوس الوضع في عقله مباشرة. لم يكن البحار طاعناً في السن كما كان أبوه، يتدلى شعره الأسود الأشعث حول وجهه. وانفرجت شفتاه عن نخرة عنيفة، كاشفة أيضاً عن حفنة من الأسنان غير منتظمة. تأرجح قليلاً عندما رفع خنجره عالياً. قضم ماركوس قطعة أخرى من السجق وهو يراقب البحار عن كثب.

تحولت نخرة الرجل إلى زمجرة غضب. "لص!"

ركض باتجاه ماركوس، خنجره يلمع نصف لمعة في ضوء الفجر الشاحب. في اللحظة الأخيرة تفاداه ماركوس هارباً ناحية اليسار

فاصطدم البحار بدرابزون السفينة. ضحك بعض الرجال الآخرين، وجأر سبيرو متلفتاً حوله قبل أن يقع بصره على ماركوس ثانية.

"تظن أنك ذكي؟ حسناً. سأقطعك إرباً بسبب فعلتك هذه."

عرف ماركوس من نبرة صوت الرجل أنه في خطر ماحق. قد يقتله الرجل إن أتيحت له الفرصة. للحظة شعر أن يداً جليدية أمسكته من مؤخرة رقبته. لقد شعر بخوف لم يشعر بمثيله طوال حياته. أسقط الخبز والسجق من بين أصابعه وقرفص، مستعداً للوثب جانباً. كان يفكر سلفاً بالخطوات التالية، تسارعت فطنته بدافع معرفته أنه في مواجهة معركة بقاء.

صاح بحار: "هيا، يا سبيرو! أره أي رجل أنت."

مزيد من الضحك، لكن ماركوس لاحظ أن التعليق قد زاد في غيظ البحار. قفز البحار صوب ماركوس وهو يلوّح بخنجره في الهواء. قفز ماركوس جانباً، وسمع هسيس نصل الخنجر الضئيل وهو يشق هواء الصباح البارد بالقرب من أذنه. فركض إلى منتصف سطح السفينة واستدار ليواجه سبيرو، بينما تقدم البحار نحوه وانحنى إلى الأمام.

"اركض يا ولد. سأحشرك في زاوية ما عاجلاً أم آجلاً."

نظر ماركوس جانباً نظرة سريعة، ورأى الخطوط المظلمة لحبال الصاري متدلية إلى الأسفل باتجاه سلسلة من الدبابيس الخشبية الثقيلة. نظر إلى الوراء ثانية في الوقت المناسب ليرى سبيرو يشن هجومه الثاني، منحنياً إلى الأمام ويدفع برأس خنجره المدبب صوب ماركوس. مال ماركوس جانباً وتفاداه، لكنه اضطر بعد

ذلك للتراجع إلى الوراء ثانية، عندما جرحه سبيرو في وجهه. تفرقت جمهرة المتفرجين على الجانبين عندما راح البحار يطارد فريسته إلى مؤخرة السفينة.

صاح صوت: "خذ أيها الصبي. وِنْ!" وقرقع على سطح السفينة صوت واستقرت سكين على الأرضية بالقرب منه. "التقطِها."

التقط ماركوس السكين وتفادى الهجمة الجديدة. شجعه بعض البحارة هذه المرة، وقد أعجبتهم طريقته السريعة في تفادي هجمات سبيرو. لكن ماركوس عرف أن الوقت كان في صالح البحار. سيجد طريقة ليحشره وعندها سينتهي أمره. سيقطعه البحار إرباً حيث يحشره ويرمي بجسده إلى البحر. تفادى ماركوس البحار دائراً حوله وقفز جانباً إلى حيث حبال الشراع تلتف مستقرة فوق سطح السفينة، واستدار ليواجه الرجل ثانية. تقدم سبيرو بخطى ثابتة صوب ماركوس، وهو يتنفس بصعوبة من شدة الإجهاد. هز رأسه ساخراً، وهو يزيح جانباً جديلة شعر تدلت فوق إحدى عينيه.

"لديك سكين الآن. لكن هل تعرف كيف تستخدمها؟"

بلع ماركوس ريقه بعصبية وقال: "لم لا تقترب أكثر وتتأكد بنفسك؟"

تظاهر سبيرو بالهجوم بخنجره. فدفع ماركوس سكينه أمامه بكلتا يديه ليتفادى الهجوم، وتراجع إلى الوراء مستنداً إلى درابزون السفينة. نقل السكين إلى يده اليسرى، وترك اليمنى تتدلى إلى جانبه، وتحسس وراءه بحثاً عن أحد الدبابيس ورفعه من جورته.

وقف البحار أمامه على بعد ذراع واحدة. مد ذراعه على طولها وكأنه يريد أن يقبض على ماركوس كيفما حاول الهروب.

ونخر قائلاً: "حان الوقت لتدفع ثمن سرقتك."

بلع ماركوس ريقه بعصبية. لقد حان وقت توجبه الضربة. وبرغم ذلك أدرك أنه يجب أن يشتت انتباه البحار في اللحظة المناسبة. خفض يده اليسرى.

وتوسل إليه بلطف: "أرجوك لا تؤذني. أنا أستسلم." ورمى خنجره على سطح السفينة إلى ما وراء البحار. نظر الرجل بشكل غريزي حوله وإلى الأسفل. كانت خصلات شعره تتدلى أمام وجهه كالستارة. انتزع ماركوس الدبوس، قفز إلى الأمام وضرب الدبوس الخشبي الثقيل على صدغ سبيرو. فسقط البحار على ركبتيه وهو يئن، رأسه يترنح إلى الوراء وفمه مفتوح على آخره. سقط خنجره من بين يديه، وحدق في ماركوس بعنين أصابهما الدوار قبل أن يسقط أرضاً.

خيّم صمت قصير قبل أن يكسره صفير خافت من قبل أحد البحارة. فتبعه آخر مهللاً، وانضم إليه آخرون في كورس الصيحات المستحسنة فعل ماركوس. نظر ماركوس حوله إلى وجوههم ورأى تعابير السرور على وجوه العديد منهم. فشعر بموجة زهو تجتاح جسده وطفح قلبه بشعور النصر. نظر إلى الرجل الممدد على سطح السفينة عند قدميه. منذ لحظات كان هذا البحار يهاجمه ليقتله ومن دون شفقة. نظر إليه ماركوس بحقد بارد. ثم انحنى إلى الأمام والتقط السكين التي كان قد رماها باتجاهه عن الأرضية.

توقف للحظة غير مدرك ماذا يفعل. اندفع من أعماقه باعث مظلم يحثه على الانتقام. لم يكن انتقاماً من البحار، بل رغبة في الانتقام من كل أولئك الذين أوصلوه إلى الحال التي هو فيها الآن، مُبعداً عن أمه، عن بيته ودفئه، عن احتضانه المحبب لحياة العطالة التي عاشها في مزرعتهم. أخذ نفساً عميقاً ورفع السكين جاهزاً لغرزها في قلب البحار.

"كلا. لن تفعل هذا!" زمجر صوت من ورائه. وقبضت يدٌ قوية على رسغه. "ارم السكين من يدك."

التفت ماركوس ليرى القبطان يطل عليه من فوق. حاول ماركوس أن يحرر ساعده، لكن القبطان كان أقوى بكثير من أن يسمح له بذلك فتركه يحاول قليلا، بعدئذ وبنظرة احتقار رفعه عالياً ليجد نفسه يتدلى فوق سطح السفينة. شعر ماركوس بألم حارق في كتفه بسبب الإجهاد القوي على مفصل الكتف والعضلات، فأطلق صرخة ألم حاد.

أحنى القبطان رأسه حتى أصبح في مواجهة وجه الصبي. لم يكن في نظرته أدنى حد من الرحمة عندما زمجر قائلاً لماركوس: "قلت لك: ارمِ السكين من يدك يا ولد. هذا إنذار أخير."

عرَفَ ماركوس أن الوضع ميؤوس منه. لكن القبطان ارتكب خطأً عندما رفعه عن سطح المركب. فأرجع ماركوس ساقيه إلى الوراء وركل رِكبة القبطان بجزمته. فارتدت قدمه عن ملطوم صلب. جفل القبطانَ وانحنى إلى الأمام مطلقاً أنيناً. حاول ماركوس إثر ذلك أن يحرر نفسه من قبضة القبطان، لكن الرجل شد قبضته أكثر، حتى

عندما أغمض عينيه قليلاً في محاولة لمقاومة الألم. وأصبح غضبه أوضح من أن تخطئه العين.

نخر قائلاً: "أيها الخنزير الصغير. لقد لهوت. والآن جاء دوري أنا."

سار القبطان باتجاه جانب السفينة، وهو لا يزال يرفع ماركوس عالياً على ارتفاع ذراعه.

وعندما اقتربا من درابزون السفينة قال لماركوس ساخراً: "تستطيع أن تسبح بقية الرحلة."

رفعه القبطان عالياً بكلتا يديه، وجعله يتدلى خارج السفينة فوق البحر. نظر ماركوس إلى الأسفل وشاهد البحر الحليبي الأبيض المزبد يلطم جانب السفينة بلطف. لا يوجد في الأفق ما يدل على وجود يابسة قريبة، وارتعب ماركوس من احتمال الموت وحيداً في البحر. وتشبث بيده الحرة بطيات تونيك القبطان.

وإذ بصوت عميق يصدح عالياً: "انتظر. أيها القبطان. أصغِ إليّ!"

نظر ماركوس من فوق كتف القبطان ورأى الرجل ذا التونيك الأحمر. أدار القبطان رأسه ناحية مسافره. "ماذا؟ ما الذي سأصغي إليه؟"

قال الرجل بصوت هادئ: "وَفّر حياة الصبي. لا يمكنك أن ترميه في البحر."

"لا؟" وابتسم القبطان بفظاظة. "لِمَ لا؟ إنه مسافر متهرب. ولص، وعنيف. كان يجب أن أدرك هذا عندما رأيته أول مرة

هناك في مرفأ دبرهاسيوم. إنه جرذ رصيف مثالي. هؤلاء حثالة لا يستحقون الحياة.“ والتفت ثانية إلى ماركوس وشد عضلاته استعداداً ليرمي الصبي إلى الأمواج.

فقال الرجل: ”دعه يحيا وسأشتريه منك.“

توقف القبطان ممزقاً بين رغبته في الانتقام لنفسه بسبب الرفسة التي ألحقها ماركوس بكرامته وبين فرصة ربح المال. فتنحنح وقال: ”كم ستدفع؟“

”ما هو السعر الذي تريده؟“

”أهاه؟“ قطب القبطان جبينه، غير واثق من السعر الذي سيطلبه. وبعد برهة من الزمن استدار وأسقط ماركوس إلى سطح السفينة، بينه وبين الرجل ذيالتونيك الأحمر.

تنفس ماركوس الصعداء عندما شعر بقدميه تلامسان الأرضية الصلبة تحت ظهره. فقد أُنقذ للحظة وشعر بدفقة أمل عندما حدق في المسافر الذي عرض أن يشتريه. كان الرجل قوي البنية ذا شعر أسود متقن التسريحة. كان يلبس واقيتي سهام في معصميه المشعرين. وقف متخصراً وانتظر رد القبطان.

”لماذا تريد أن تشتري الصبي، يا لوسيوس بورسينو؟ إنه مجرد قزم تافه. ثم أومأ القبطان نحو الرجال المقيدين بالسلاسل، الجالسين على سطح المركب. أنت تتاجر بالمصارعين.“

نظر الرجل إلى ماركوس أرضاً وهز كتفيه باستهزاء. ”لقد أظهر قوة. ويبدو لائقاً تماماً لسنوات عديدة قادمة. لكنني أشك في أنه قد يكون أفضل من عبد يعمل في المطبخ. لذلك حدد سعرك.“

"سأدفع ثمناً معقولاً."

زرّ القبطان عينيه وقال: "ثلاثمئة ديناري."

"ثلاثمئة ديناري؟" رفع بورسينو حاجبيه مندهشاً. "أستطيع أن أشتري بهذا المبلغ رجلاً ناضجاً. لن يستطيع هذا أن يفي بنفقات وجوده قبل سنوات عديدة." "أتعني ثلاثمئة ديناري. حقاً!" هز رأسه وأشار بإبهامه فوق البحر، "من الأفضل إذاً أن ترميه في البحر. بالتأكيد لن أدفع ثلاثمئة ديناري."

استدار الرجل وبدأ يشق طريقه نحو مؤخرة السفينة، إلى الفتحة المؤدية إلى القمرات في الأسفل. شيّعه ماركوس بعينين يائستين، وقلب ثقيل مثل صخرة في صدره. عض القبطان شفته ونادى على الرجل.

"مئتا ديناري!"

توقف بورسينو، في منتصف خطوته، واستدار ببطء. نظر إلى ماركوس ثانية وحك ذقنه الخشنة مفكراً، وقال: "سأدفع لك مئة ديناري. وأنا أسرق نفسي عندما أقدم لك هذا السعر."

قرر القبطان محاولة أخيرة. "مئة وخمسون، إذاً."

"اشتريت." قال بورسينو للقبطان. ثم بصق في يده ومدها إلى القبطان.

أخذ القبطان يده وتصافحا أمارة على إتمام الصفقة.

شعر ماركوس بموجة ارتياح. لقد كان ممتناً للرجل الذي أنقذ حياته. ابتسم بفتور عندما نظر إليه بورسينو نظرة لا ود فيها ولا

صداقة. لا شيء فيها يوحي أنه أنقذ حياة ماركوس بدافع مساعدة كائن بشري آخر. إنها نظرة تاجر محترف.

صاح بورسينو: "بيزو." وطقطق براجم أصابعه.

خرج من بين حلقة البحارة الذين احتشدوا للفرجة، رجل نحيل قوي البنية يلبس تونيكاً بنياً.

التفت بورسينو إليه قائلاً: "خذ الصبي وقيّده مع البقية."

"حاضر سيدي." قال بيزو وأحنى رأسه.

التفت القبطان في هذه الأثناء إلى رجاله صارخاً بهم أن يتفرقوا، وأن يعود الحراس إلى نوبة الحراسة. وعندما ذهب الرجال، التفت القبطان إلى بورسينو قائلاً: "أريد النقود قبل أن نصل إلى الميناء. إيه؟"

أومأ بورسينو برأسه. ألقى الكابتن نظرة أخيرة إلى ماركوس قبل أن يشق طريقه إلى مؤخرة السفينة وهو يعرج. لم يستطع بورسينو أن يقاوم تكشيرة الفرح الصغيرة وهو يلاحظ انزعاج القبطان. لكن سرعان ما عادت ملامح القسوة إلى وجهه، عندما عاد ينظر إلى بيزو. تأكد من إحكام قيد الصبي. "لا أريده أن يهرب منا عندما نصل إلى بروندیزيوم."

"كلا سيدي."

نظر بورسينو إلى ماركوس ثم قال: "أحضر له بعض الطعام والماء."

"حاضر سيدي."

نفخ بورسينو خديه. "آمل أنك تستحق الثمن الذي دفعته بك، أيها الصبي."

بلع ماركوس ريقه وأجاب بهدوء. "شكراً يا سيدي." ضحك بورسينو قائلاً: "لقد اشتريتك عبداً أيها الصبي لا صديقاً. فلا تنس هذا أبداً."

انحنى بيزو إلى الأمام والتقط ماركوس عن سطح السفينة. وبينما كان يجره بيزو إلى مجموعة العبيد الصامتين، فكر ماركوس أنه قد خادع الموت ليقع في العبودية ثانية.

12

وصلت فير ويند إلى بروانديزيوم في فجر اليوم الثاني من تأخيرها. وما إن سقطت أولى خيوط الشمس مائلة على سطح السفينة، حتى أصدر القبطان أوامره بلف الشراع. وتحركت السفينة كشبح آخذة مكانها بين السفن الراسية على المرساة. وقام عامل الدفة بعناية بتوجيه مسارها نحو مرسى فارغ على طول رصيف الميناء، بينما وقف بحارة آخرون بلباس النوم، مستعدين لإنزال الحبال المقطرنة إلى الرجال المنتظرين على الرصيف.

جاهد ماركوس للوقوف على قدميه، واتكأ على درابزون السفينة وهو يتلفت حوله. كان ميناء بروانديزيوم أكبر كثيراً من الميناء الذي خلفوه وراءهم في غريسيا. على صخرة بارزة نحو الميناء، بُنيت قلعة وربطت إلى اليابسة بوساطة طريق ضيقة معبدة. غصت المياه على جانبي القلعة بسفن الشحن، وأسطول سفن حربية

ربطت جميعها إلى مرسى بالقرب من مدخل الميناء. وعلى الشاطئ شاهد المخازن، المعابد، الأبنية المدنية ومباني شقق للإيجار تنتشر متزاحمة في الاتجاه المعاكس للميناء، وقد حجبها قليلاً سديم الدخان العالق في الهواء فوق الميناء.

كانت رائحة المجارير المدنية والعرق والطعام الفاسد التي زكمت أنف ماركوس في ديراسيوم، أكثر حدة ونفاذاً هنا. نظر إلى الماء الهادئ في الميناء فوجده مغطىً بالأوساخ والأسماك الميتة، وجيفة كلب منتفخة تتمايل مع الماء بالقرب من سفينتهم. جعّد أنفه تقززاً وتساءل: كيف لأي شخص أن يحتمل العيش في المدن والموانئ التي رآها منذ أن غادر مزرعتهم. شعر بغصة ألم عندما تذكر الهواء النظيف العبق برائحة الصنوبر في جبال موطنه الأصلي.

نأى ماركوس بعقله بعيداً عن هذه الذكريات، وفكر بدلاً من ذلك برفاقه. هناك ستة آخرون مقيدون بالسلاسل معه. كانوا شباباً وقويي الأجسام وكلهم اشتراهم بورسينو من سوق نخاسة في غريسيا. كان ثلاثة منهم من ثراس متعاضدين معاً، وقد اتخذوا من العبيد الآخرين موقفاً متغطرساً. وكان اثنان آخران من أثينا والأخير من إسبرطة.

في البداية تجاهلوه جميعاً، عندما وضع بيزو الأصفاد في كاحليه، ثم مرر نهاية السلسلة عبر مزلاج الحلقة حول كاحله الأيمن. لكن بعد ما أنهى بيزو عمله وسار متهادياً، ليتناول وجبة الفطور المؤلفة من الخبز وحساء السمك، لكز الأثيني ذا الأنف المسطح قائلاً:

"لقد أريت ذلك البحار قيمته الحقيقية، والقبطان أيضاً."

وابتسم قائلاً: "أنا من بيلينوس في أثينا." وأومأ برأسه نحو الرجل الثاني، وكان عملاقاً ملتحياً. "وهذا من فيروس، في أثينا أيضاً."

دمدم العملاق: "من رهودس كما أخبرك. كنت من روهدوس حتى جرى بيعي إلى امرأة أثينية." أطرق بعينيه أرضاً وتابع دمدمته، لكن ماركوس لم يستطع أن يلتقط أي كلمة من كلماته.

غمز بيلينوس. "لا تصدقه. لقد عاش لحظته السعيدة. وهي أكثر مما استطعته أنا." ومال مقترباً أكثر من ماركوس وتابع كلامه همساً: "الإسبرطي لا يتكلم برغم أن بيزو يظن أن اسمه باتروكلوس. أما بالنسبة إلى التراثيانيين..." هز كتفيه مستهجناً، "فهم يبقون معاً. لا يتحدثون إلي أو إلى فيروس. وماذا عنك أنت. أيها الصبي؟ ما اسمك؟"

"ماركوس كورنيليوس بريموس."

"أهو اسم روماني؟"

أومأ ماركوس برأسه. "كان أبي قائد مئة."

أومأ بخبث قائلاً: "أرى ذلك. لكن ما الذي يفعله ابن قائد مئة متسللاً إلى قاع عنبر سفينة شحن؟"

تساءل ماركوس في نفسه كيف يشرح الأمر. لم يكن واثقاً مما سيحدث إن تبين أن ديسيموس ادعى أنه ملكه. فقرر أنه من الأفضل أن يتكتم حول بعض تفاصيل ماضيه حتى يتبين الأمر. "لقد قُتل والدي. كانت جريمة من قبل مرابي. وسُبيَت أمي وأنا هربت. والآن أنا أبحث عن قائد والدي القديم، لأرى إن كان بوسعه أن يساعدنا أنا وأمي، في الحصول على العدالة."

أومأ بيلينوس متعاطفاً. "ومن يمكن أن يكون هذا القائد؟"

"إنه الجنرال بومبيوس."

"بومبيوس؟" رفع بيلينوس حاجبيه. "أهو بومبيوس العظيم؟"

"نعم، هكذا كان يدعوه أبي. هل تعرفه؟"

"ومن لا يعرفه؟" ابتسم الأثيني ثم هز رأسه. "حسناً يا ماركوس الصغير. إن كنت تظن أن أحداً مثل بومبيوس العظيم سيحرك ساكناً لينقذ عائلة أحد ضباطه القدامى. فهذا يعني أنك تؤمن في العدالة الرومانية أكثر مني."

عبس ماركوس وقد شعر بكرامته تهان: "لقد كان أبي أحد أشجع رجاله. وأحد جنوده الموثوقين. حتى إن بومبيوس أهداه سيفاً خاصاً عندما تقاعد من فيلقه."

"طبعاً سيساعدنا بومبيوس." نظر ماركوس إلى قدميه وأضاف: "كل ما علي هو أن أجده."

"هوه." قاطعه فيروس من دون أن يتلفت حوله. "وكيف ستجده أيها الشاب؟" وحرك قدميه بحيث قعقعت القيود على سطح السفينة. "أنت مجرد عبد الآن."

رد ماركوس بعنف: "كلا. لا يملك سيدك بورسينو الحق في شرائي. سأنتظر حتى ننزل عن السفينة، بعدها سأشرح له كل شيء." وأضاف ماركوس متأملاً: "قد يكون في الأمر مكافأة له إن هو ساعدني في العثور على بومبيوس."

ضحك بيلينوس. "من الأفضل أن تتعرف على بورسينو قبل أن تبني آمالك عليه. لا أظنه بطريقة أو بأخرى سيهتم بقصتك."

رد ماركوس: "أنا مواطن روماني، ولا يمكن أن يحدث هذا لي."

نظر إليه الأثيني نظرة إشفاق. "لقد حصل وانتهى. من الأفضل لك أن تعتاده أيها الفتى."

صمت ماركوس متجهماً لبرهة قبل أن يتكلم من جديد. "هذا الرجل بورسينو. أهو تاجر عبيد؟"

هز بيلينوس رأسه. "كلا. ليس تاجر عبيد. إنه لانيستا."

ردد ماركوس متعجباً: "لانيستا؟"

فتطوع بيلينوس بالشرح. "لانيستا أي مدرب مصارعين. إنه يدير مدرسة للمصارعين بالقرب من كابوا. وفقا لما قاله بيزو. إنه من أفضل المدربين في هذا المجال. لذلك أعتقد أنك ستكون ممتناً لهذا على الأقل."

"ممتناً!" كاد ماركوس يكذب ما سمعته أذناه. لقد سمع عن المصارعين من والده وعرف بالأخطار الفظيعة التي واجهوها في كل مرة دخلوا فيها الميدان أمام حشود جاءت لتستمتع بقتالهم الدموي حتى الموت. "لماذا يجب أن أكون ممتناً؟ كل ما جرى أني أُنقذت من الموت غرقاً حتى أُستعبَد في مدرسة مصارعين. أنا لا أريد أن أموت فوق رمال حلبة مصارعة." وهز كتفيه مستهزئاً بالفكرة.

"لماذا لا تفكر بالأمر بالطريقة التالية: إن كنت مضطراً أن تتدرب كمصارع، قد يكون من المفيد عندها أن تتدرب على يد المدرب الأفضل. وقد يكون هذا بحد ذاته امتيازاً للمرء عندما يضطر للقتال."

قد يكون الأثيني على حق. لكن لا نيّة لدى ماركوس أن يكون

ملكاً لمدرب مصارعين فترة طويلة حتى يكتشف ذلك. سيتحدث إلى بورسينو ما إن يجد الوقت لذلك ويشرح له الظلم الذي وقع عليه وعلى عائلته. لكن قبل أن يتحدث إليه، من الحكمة أن يعرف أي نوع من الرجال هو بورسينو.

سأل ماركوس بيلينوس: "أي نوع من الرجال هو؟"

"تقصد بورسينو؟" زم الأثيني شفتيه. "إنه رجل قاس. ومن الطبيعي أن يكون هكذا بعد أن حافظ على حياته فترة طويلة في حلبة المصارعة قبل أن ينال حريته. لكنه رجل عادل. فإن فعلت ما تُؤمر به وبالسرعة المطلوبة، فسيحسن معاملتك."

خيم عليهما ظل، فرفع ماركوس بصره ليرى بيزو فوقهما. رمى بيزو في حضن ماركوس رغيف خبز بائت وكتلة لحم مقدد.

"كلها." قال بيزو بسلاسة، واستدار ومشى مبتعداً.

أسرع ماركوس ينهش الخبز. كان مستميتاً لإشباع جوعه. نظر من طرف عينه إلى رفاقه وصلى في نفسه أن يكون بيلينوس مخطئاً. يجب أن يقنع بورسينو بتحريره. فحياة أمه مرهونة بذلك. هو وحده القادر على إنقاذها من موت طويل الأمد، في مزرعة عبيد ديسيموس.

ما إن رُبطت السفينة بشكل آمن إلى رصيف الميناء، حتى أعطى الكابتن أوامره بإنزال المعبر الخشبي المؤقت، وفتح عنبر السفينة. بينما كان القبطان يعقد صفقة مع أحد زعماء عمال الميناء لإفراغ البضائع من العنبر، جاء بيزو وغير الأصفاد مبدلاً القيود حول كواحلهم بأطواق حديدية أكبر وضعت حول رقابهم. كانت هذه

الياقات المعدنية ثقيلة ومزعجة على كتفي ماركوس، لكنه أدرك أنه من الأفضل ألا يتذمر بحضور بيزو، فهو يحمل بيده هراوة خشبية ثقيلة. في هذه الأثناء نزل بورسينو إلى الشاطئ لإجراء بعض الترتيبات لشروط نقلهم إلى كابوا. وعندما عاد بورسينو أومأ بيزو للسجناء المقيدين. "على أقدامكم! هيا تحركوا."

استجاب ماركوس بسرعة وطاعة، وجرجر الآخرون أقدامهم وراءه. عندما انتظموا جميعاً واقفين، دفع بيزو ماركوس باتجاه المعبر الخشبي المؤقت، الأمر الذي جعل ماركوس يتعثر لأن السلسلة انشدّت كثيراً بينه وبين الآخرين. تقدم بيلينوس إلى الأمام في الوقت المناسب لينقذ ماركوس من السقوط على رأسه. مع رنين سلسلة الأصفاد الرتيب س"تينك تينكل تينك"، جرجر السجناء السبعة أقدامهم على المعبر الخشبي المؤقت نزولاً إلى رصيف الميناء. كان بورسينو بانتظارهم. امتطى بورسينو سرج حصان صغير رُبطت إليه ثلاثة بغال محملة بسلال الخبز، وقطع اللحم المقدد المقطعة وفق التعليمات. ومن حزام خصره يتدلى سيف ومن إحدى قرني السرج تتدلى هراوة خشبية.

بورسينو في المقدمة وبيزو من ورائهم، انطلق رتل السجناء الصغير على طول الرصيف إلى الشارع الرئيسي عبر الميناء. لم ينج ماركوس من نظرة ثانية من قبل كل من مروا بهم حتى شعر بقلبه يهوي، عندما أدرك أن هؤلاء الناس سيعرفون أنه مظلوم. بالنسبة إلى هؤلاء كان واحداً من عدد كبير من العبيد الذين نزلوا في ميناء برونديزيوم على مدار العام. تساءل في نفسه إن كان يجب أن يصرخ

طالباً النجدة. إن كان ينبغي أن يصرخ عالياً بكل المظالم التي حلت به. وفي اللحظة التي أبطأ فيها خطواته، وفي الوقت ذاته يقوي نفسه كي يصرخ عالياً أنه قد خُطف، سار بيزو على جانب الرتل ونخسه برأس الهراوة.

"حافظ على سرعتك يا ولد! لا تتباطأ."

تعثر ماركوس قليلاً، ثم انتظمت خطواته وكذلك خطوات السجناء الآخرين وهم يمرون عبر بوابة المدينة. بعد خروجهم من بروندیزیوم، سلك بورسينو الطريق الساحلية متجهاً شمالاً. كان البحر عن يمينهم متألقاً وجذاباً الآن، لكونهم بأمان على الشاطئ. وعن يسارهم يمتد منظر جبلي ساحر. وبمحاذاة الطريق مزارع وبعض الأراضي الزراعية الواسعة. بالقرب من المرفأ حركة سير لا تنقطع: عربات كبيرة وصغيرة تحمل بضائع للتصدير، أو محملة ببضائع مستوردة من خارج الإمبراطورية.

مع حلول المساء كانوا قد مروا بخمسين حجر مسافة على طول الطريق، وكان ماركوس مرهقاً. وقد التهبت قدماه بسبب السرعة الثابتة التي أجبر على تحملها، على امتداد الطريق الصلبة. قادهم بورسينو بعيداً عن الطريق، حتى وصلوا الى حدود غابة صنوبر صغيرة.

"سنمضي الليلة هنا. بيزو، أجلسهم وأطعمهم."

"أمرك سيدي."

تهاوى ماركوس والآخرون على الأرض. حلّ ماركوس رباط جزمته وتفحص قدميه، جفل عندما وجد أن أصابع قدميه امتلأت

بالبثور. وفكر إن ساروا المسافة ذاتها يوم غد وبعده، سوف تكون معاناته كبيرة.

تمدد بيلينوس والعبيد الآخرون على الأرض، واستراحوا وقتاً قصيراً، حتى وصل بيزو مع سلة جلبها عن ظهر احد البغال. وأعطى كلاً منهم بعض الخبز وقطعة جبن وبعض اللحم المقدد. كان ماركوس آخر من حصل على الطعام، فأومأ رأسه إيماءة شكر صغيرة، ثم تحدث إلى بيزو بصوت منخفض.

"أريد أن أتحدث إلى بورسينو."

نظر إليه بيزو مندهشاً. "أنت ماذا؟"

"قلت أني أريد أن أتحدث إلى بورسينو."

"العبيد لا يأمرون. لذلك اصمت وتناول طعامك. إيه؟"

هز ماركوس رأسه. "أنا لست عبداً ويجب ألا أكون هنا. يجب أن أتحدث إلى بورسينو وأشرح له وضعي."

تلفت بيزو حوله إلى سيده. كان مدرب المصارعين يوقد ناراً على مسافة قصيرة، وقد أحنى بقامته القوية فوق العيدان التي كان يكسرها ويجمعها في حزمة. ابتسم بيزو لنفسه وعاد ينظر إلى ماركوس.

"حسناً إن كنت مصراً، فسوف أحضره لك."

رد ماركوس مبتسماً: "شكراً لك."

جلس ماركوس وراقب بيزو يقترب من سيده، يحني رأسه و يهمس بضع كلمات لم يستطع ماركوس أن يسمعها. نظر بورسينو

باتجاه ماركوس وأومأ. ثم نهض واقفاً، مطط ظهره وسار نحو السجين المصفد.

قال بورسينو بنبرة محايدة: "أنت أيها الصبي، قف على قدميك. لقد أخبرني بيزو أنك تريد أن تخبرني شيئاً."

"هذا صحيح." أومأ ماركوس وقد كبرت آماله بفرصة شرح ورطته أخيراً. "تعرف أنني خُطفت و..."

ارتفعت يد بورسينو وانهالت بصفعة قوية على صدغ ماركوس. فانفجر بصره في غيمة شرر أبيض باهر. ترنح إلى الوراء لكن بورسينو سحبه من مرفقه، وضربه ثانية فهوى أرضاً على ظهره وهو يعنّ. انحنى بورسينو أطبق قبضته على شعر ماركوس وهزه بعنف، وهدر في أذنه:

"عندما تتحدث إلي، تقول يا سيدي. وإن نسيت هذا ثانية، فسأحطم أسنانك. أتفهمني؟"

"نعم." قال ماركوس ولا يزال دائخاً من اللكمات.

شدت القبضة شعر ماركوس وفتلته بعنف. "قلها ثانية!"

"نعم يا سيدي."

"قلها بصوت أعلى أيها الصبي."

"نعم يا سيدي!"

وما إن أفلته بورسينو حتى سقط على ظهره ثانية، وهو يلهث من الألم في رأسه. انحنى بورسينو فوقه ويداه مقبوضتان بقوة وهو يحملق فيه.

"هذه آخر مرة أرأف بك. ومهما كان وضعك من قبل. أنت الآن عبدي."

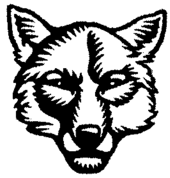
"هذه آخر مرة أعاملك فيها برحمة. ومهما كان وضعك من قبل فأنت الآن عبدي. ملكي تفعل ما أريده. تناديني سيدي وتفعل أي شيء أطلبه منك في الحال ومن دون أي سؤال. هل فهمت؟"

"نعم يا سيدي."

زرّ بورسينو عينيه للحظة، ثم انتصب وشد قامته وأرخى يديه. "ثم لن أسمح بمزيد من هذا اللغو. فإن سمعت ثانية أنا أو بيزو أي كلمة أخرى عن قصة اختطافك السخيفة، سأضربك ضرباً مبرحاً حتى إن أمك لن تعرفك بعده."

استدار ومشى عائداً ليشعل ناره. حدق فيه ماركوس مرتعباً. شعر بيد تشده من كمه.

"هيه! خذ." قال بيلينوس بلطف وهو يناول ماركوس طعامه. "كله. ستحتاج لكل ذرة قوّة لديك. لا يزال أمامنا رحلة طويلة."



13

تابعوا سيرهم صاعدين الشريط الساحلي في الأيام التالية. وعندما كانوا يتوقفون ليلاً، كان بورسينو وبيزو يتناوبان على حراسة السجناء. وعندما أتيحت الفرصة لماركوس تفحص جيداً ياقة الأصفاد والوصلة التي من خلالها أوثقته السلسلة إلى الآخرين. كان الحديد صلباً والمسمار الذي يغلق الياقة محكماً، وعجز عن زحزحته من مكانه. وبعد تفحص طويل خلص إلى أنه لن يستطيع الإفلات من هذه الياقة ما دام مربوطاً مع الآخرين. فلا مناص أمامه من أن يترقب وينتظر فرصة وصولهم إلى وجهتهم. فعندما تنزع ياقة القيد من رقبته، يمكنه أن يفكر في الهرب ثانية.

كان عزاؤه الوحيد الذي جنبه الغرق في الإحباط من حاله تلك، أن كل خطوة كانت تقربه أكثر من روما ومن الجنرال بومبيوس. واستطاع أن يعرف من بيزو أن مدرسة المصارعين هي خارج بلدة

تدعى كابوا في منطقة كامبانيا، على بعد مئة ميل فقط جنوب روما. لذلك كان ماركوس واثقاً بأنه إن سنحت له فرصة الهروب، سيكون قادراً على الأقل أن يصل إلى المدينة العظيمة بنفسه.

في اليوم الخامس من مغادرتهم الميناء، وصلوا إلى بلدة فينتولوس الصغيرة، حيث غادر بورسينو الطريق الساحلية وأخذهم في طريق تفضي إلى اليابسة. وسرعان ما أفسحت الأراضي الزراعية الدرب إلى التلال، ومن ثم إلى الجبال عندما ساروا غرباً. كان الصيف في نهايته وبدأت الأمسيات تميل إلى البرودة، وهذا ما جعل ماركوس يجد صعوبة في النوم، متكوراً على نفسه فوق الأرض وأسنانه تصطك. واستغرق بعض الوقت قبل أن يسمح له إرهاق الرحلة وخدر اليأس المتزايد أن ينام أخيراً بضع ساعات.

أخفى طوال الوقت غضباً يجيش في نفسه ضد بورسينو، وأقسم إنه سيصفي حسابه معه ذات يوم. في هذه الأثناء تجنب نظرة مدرب المصارعين و لم يجرؤ أبداً على مخاطبته ثانية بشكل مباشر. في الليالي الأكثر برودة، عندما عبرت الطريق أعلى النقاط في الجبال التي تنحدر عن العمود الفقري لإيطاليا، أشعل بيزو لهم ناراً.

بينما كان السجناء متحلقين حول وهج ألسنتها، فكر ماركوس لأول مرة بالطريقة التي جاء بها معظم مرافقيه إلى هنا. ربما لكل منهم قصة ظلم كقصته. فالتفت إلى بيلينوس وسأله:

"كيف أصبحت أحد عبيد بورسينو؟"

ضحك بيلينوس ضحكة خفيفة وقال: "أنت تريد أن تعرف المزيد عن حياة العبد يا صبي؟ بخلافك أنت أيها المواطن الإيطالي

الحر، لقد ولدت أنا في العبودية، في ماخور في حي الفقراء في أثينا. تربيت مع حفنة أخرى من الأولاد الذين كانت أمهاتهم يعملن هناك. وما إن كبرنا ما يكفي، أرسلنا العبد الذي كان يدير المكان بالنيابة عن المالك، إلى الطرقات لنسرق لصالحه أيضاً. نسرق المجوهرات والأشياء الأخرى الثمينة من أكشاك السوق. كما كنا نسرق محافظ نقود المواطنين الأغنى في المدينة، عندما يسيرون في الشوارع المزدحمة." ابتسم الأثيني وهو يتذكر، ثم تجهمت قسماته وهو يسرد قصته. "وذات يوم رفضت أمي عروض ذلك العبد. نتيجة ذلك، انتقم العبد مني أنا وبقي يرهبني باستمرار، في النهاية عضضته. كنت في الرابعة عشرة، عندما هاجمته أخيراً باللكمات. كان عراكاً قصيراً. حدث ذلك في مطبخ الماخور والنساء يزعقن مذعورات من حولنا وهرب الزبائن. ربحت المعركة وضربته حتى أدميته، وبعد أيام عديدة توفي بسبب الكدمات التي سببتها له."

سأل ماركوس مندهشاً: "قتلته بيديك العاريتين؟"

أومأ بيلينوس: "ليس أذكى ما فعلته في حياتي. فعندما سمع المالك بالأمر، أراد أن يجعلني أمثولة. فأمر بقتلي. في أي حال، تبين لي أن أحد الزبائن الذين شهدوا القتال، يمتلك فريقاً من الملاكمين فقرر أن لدي إمكانية جيدة. وهكذا اشتراني ودربني حتى بلغت الرجولة، ومنذ ذلك الوقت وأنا أقاتل في مباريات الملاكمة عبر جنوب غريسيا، ولم أخسر إلا حفنة من المباريات خلال عشر سنوات. وكلها جرت في حلبات ملاكمة أمام جمهور من التجار الأثرياء، حيث رآني بورسينو وقرر أن مواهبي قد تكون أفضل

بكثير، إذا ما استخدمت في حلبات المصارعة." وأضاف بيلينوس مؤكداً سبب اعتزازه بنفسه، "لقد دفع ثمناً مرتفعاً. والآن أنا أتلهف للقتال أمام جمهور روما."

نظر إليه ماركوس بفضول. "أتعني حقاً أنك تريد أن تصبح مصارعاً؟"

"لم لا؟"

لم يستطع ماركوس أن يخفي ابتسامة الذهول على وجهه. "لأنك ستخاطر بحياتك في كل مباراة."

"كنت أقاتل قبل ذلك."

"لكن وكما قلت لي لم تربحها جميعاً."

"صحيح."

"لكن إن خسرت جولة في حلبة المصارعة، فقد تكون جولتك الأخيرة. تبدو لي المصارعة هنا أكثر خطورة من الملاكمة."

أجاب بيلينوس: "الخدعة إذاً ليست في ألا تخسر، فإن تدربت جيداً وتعلمت كل الخدع، ستكون لدي كل فرص الربح."

"إلا إذا قابلت مصارعاً أقوى منك."

زمّ بيلينوس شفتيه. "عندها ستكون مسألة تقديم قتال أفضل. فإن نجح المرء في ذلك، قد يرغب الجمهور في إنقاذه. فإن عشت طويلاً وربحت الكثير من جولات المصارعة، سيكون بانتظاري مكافآت." وحدق في النار وابتسم بشوق. "حتى إني قد أفوز بحريتي ذات يوم، وأكون قد ادخرت نقوداً كافية لشراء مزرعة، أو تجارة صغيرة، وأعيش ما تبقى من حياتي مرتاحاً."

لم يعرف ماركوس الكثير عن حياة المصارع، لكن ما قاله بيلينوس له أشعل فكرة في ذهنه. فإن لم يستطع أن يهرب من وضعه الحالي وحكم عليه بالعيش كمصارع، كيف سيكون الأمر إن استطاع أن يعيش فترة طويلة ليجمع ثروة؟ بوسعه العودة إلى غريسيا ويشتري حرية أمه، ويعيدها إلى المزرعة إلى الوضع الذي كان قبل أن يدمر بلطجية ديسيموس حياتهم. إن سنحت له الفرصة، سيكون مقاتلاً من الطراز الرفيع لينتقم ويهزم الذين قتلوا والده. لكن الأفضل من كل شيء أن يجد ديسيموس ويقتله. توقف عند هذا التصور قليلاً، حتى استفاق على حديد الياقة الذي يقرّح عظم الترقوة، فرفع حافة ياقة تونيكه لتحمي الجلد تحت الحديد.

أعاده الألم إلى الواقع. مهما تكن أحلام بيلينوس، فإن لحظة الحقيقة الحالية هي أنهم جميعاً عبيد. إنهم ملك مدرب المصارعة بورسينو، وعليهم العمل وفق مشيئته. وبينما كان يفكر في الأمر، قرر أن الأفضل له أن يكمل خطته الأولى. مهما كانت الخطة صعبة، يجب أن يحاول الهروب ويجد الجنرال بومبيوس، وهذا أفضل من أن يمضي السنين يتدرب ليصبح مصارعاً، ومن ثم يخاطر سنوات إضافية بحياته في حلبة المصارعة، كي يربح حريته والمال حتى يستطيع إنقاذ أمه، إن بقيت حية حتى ذلك الوقت.

كانت النار قد بدأت تخمد. وتمدد الثراثيان والإسبرطي أرضاً بقربها محاولين النوم. لحقهم فيروس مطلقاً تنهيدة عميقة وهو يتكور على نفسه كطفل. وبعد قليل ملأ شخيره العميق الهواء، لكن نومه

بقي قلقاً وغالباً ما كان ينتفض، ويبرطم بعض العبارات التي لم تكن مفهومة جيداً لماركوس.

أومأ ماركوس نحو العملاق ذي النوم الخفيف وسأل: "وماذا عنه؟ ما هي قصته؟"

نظر بيلينوس إلى مرافقهم بتعبير شفقة.

"مسكين فيروس. ما كان ينبغي أن يكون هنا. ربما يمتلك قوة دب لكنه لا يملك جرأة مصارع. أخشى عليه عندما يصل إلى كابوا ويدخل مدرسة المصارعة!"

فكر ماركوس بصوت عال: "لا بد أن بورسينو يعتقد أن لديه إمكانات، وإلا لماذا اشتراه؟"

نظر بيلينوس حوله سريعاً ليرى إن كان سيده أو بيزو في مرمى السمع، لكنه برغم ذلك خفض صوته. "بورسينو يرى فقط حجمه وقوته. لكنه لا يرى الإنسان داخله. في أي حال أنا أعتقد أنه طفل أكثر منه رجل."

"وكيف حدث أن اشترى بورسينو فيروس؟"

جذب بيلينوس ركبتيه إلى صدره، وأحاطهما بذراعيه الطويلين قويتي العضلات. "وفق ما قاله لي عندما كنا موثوقين إلى بعضنا، فقد كان فيروس صبياً صغيراً جداً عندما أُحضر إلى أثينا. كان ملكاً لتاجر عبيد أثيني، وتربى عنده كعبد منزلي، حتى رزق التاجر وزوجته بطفل. فجعلا فيروس عبداً لطفلهما. في الواقع هو الذي ربى الطفل، وأحبه كأخ له. وعندما كبر الطفل وبدأ يبادل فيروس مشاعر الأخوة، بدأتً الأم تشعر بالغيرة وطلبت من زوجها أن

يبيع فيروس. لم يكن لدى الأب رغبة في بيعه، لأنه لاحظ كم كان فيروس العبد يعني لابنه، وعرف أنه سيكسر قلب ابنه إذا استجاب لزوجته. وقد علمت أن الأم زعمت ذات يوم أن سواراً ثميناً من أساورها قد فقد. وأصرت على تفتيش كل زاوية في المنزل. نظر بيلينوس إلى ماركوس وابتسم بحزن. ويمكنك أن تخمن ما الذي حدث."

فكر ماركوس قليلاً وهز رأسه. "لقد وجدوا السوار في حجرة فيروس؟"

"نعم وجدوه تحت فراشه. وأقنعت الأم زوجها أن يبيع فيروس. لقد انكسر قلبه لمفارقة الصغير. باعوه في مزاد في سوق النخاسة في أثينا. وقف فيروس وسط العبيد الآخرين، كما يمكن أن تتخيل. تأثر بورسينو لهذا المنظر فقرر شراءه. ثم نظر بيلينوس إلى فيروس. أشك بأنه سيؤذي ذبابة، وأخاف عليه. أشك بأنه سيحيا طويلاً بعد أن يصل مدرسة المصارعة."

فكر ماركوس قليلاً وهو يحتضن ركبتيه. منذ أن انتزع من المزرعة وهو تستهلكه مشاكله الخاصة. لم يكن يعنيه سوى الظلم الذي لحق به وبأسرته. بدا وكأن بقية العالم مكان قليل الأهمية، يسكنه بشر لا يعرفون شيئاً عن آلامه. لقد اعتقد أن معاناته هي أسوأ ما يمكن أن يحدث لأي شخص. وإن استمع الآخرون لقصته فسيشاركونه اعتقاده هذا، وسيفعلون كل ما يستطيعون ليساعدوه على تقويم هذا الظلم الشديد الذي لحق به.

فهم ماركوس الآن أن العالم مليء بالمظالم، وأن آخرين أمثال

فيروس عانوا بدورهم أيضاً. لم يكن حالاً استثنائية ليحتمل أقسى أنواع الألم وأكثره وحشية. هناك آخرون قصصهم مماثلة، ينوؤون تحت ثقل أحمال مماثلة. لم يكن ماركوس واثقاً من شعوره حيال ذلك. وكان لفكرة وجود ناس كثيرين يعانون مثله تأثير رعب مخدّر. وبرغم ذلك، شعر لأول مرة منذ أن ألقى رجال ديسيموس القبض عليه، أنه ليس وحيداً. كان في هذا الاكتشاف راحة له.

رفع رأسه وقال بهدوء. "وماذا عن الآخرين؟ التراشيانيين والإسبرطي؟"

حك بيلينوس ذقنه. "لا أعرف الكثير عنهما. أعرف فقط ما قاله لي بيزو. وهي مجرد تعليقات. كان التراشيانيان من أفراد عصابة قطاع طرق، كانت تسطو عندما اصطدما بعمود روماني كبير. والاسبرطي كذلك هو لغز من الألغاز. يقول بيزو إنه منبوذ. أخزى نفسه وسط ناسه فحكموا عليه بالعبودية".

"أخزى نفسه؟ كيف؟"

"من يعرف؟" هز بيلينوس كتفيه، ونظر إلى الاسبرطي النائم بحذر قبل أن يكمل. "إنهم ليسوا حضاريين مثل الأثينيين. الاسبرطيون شعب خشن. لا بل أعتقد أنهم الأمة الأكثر خشونة في غريسيا. فهم لا يزالون حتى الوقت الحاضر يربون أولادهم أن أهم شيء في الحياة، أن يكونوا قساة ومستعدين للذهاب إلى الحرب. الأرجح أنه نظر إلى زوجة رجل آخر بشكل غير لائق؛ أو أنه لم يستطع مواجهة رهط ذئاب، ويداه مربوطتان وراء ظهره، فوصفوه بالجبان." وابتسم بيلينوس بسرعة ليظهر لماركوس أنه كان يمزح.

"في أي حال هو لا يتحدث عن أي شيء. وإن تحدث فباقتضاب، فقط ليرد على بورسينو أو بيزو، بجملة أو بكلمة واحدة. يبدو أن الاسبرطيين لا يجيدون الأحاديث القصيرة."

فقال ماركوس: "لكنهم يعرفون كيف يحاربون. هذا ما قاله لي والدي. قال إنه كان يخدم مع جيش بومبيوس، وكان يقاتل معهم بعض الاسبرطيين المرتزقة. وقال إنهم أقسى الرجال الذين قابلهم." واستعاد ماركوس نبرة الإعجاب بصوت والده، وهو يتحدث عنهم. "وأكثر الناس الذين لا يعرف الخوف طريقاً إلى قلوبهم."

قال بيلينوس مازحاً: "حسناً. لكن صديقنا الاسبرطي يحتاج كل تلك المواصفات، إن أراد أن يبقى حياً في حلبة المصارعة. طبعاً، سيحتاج إلى صفات أخرى أيضاً. سيحتاج إلى ردود الفعل السريعة وسرعة التفكير. والتفكير لا يأتي الاسبرطي بسهولة."

"ولا حتى النوم أيضاً." هدر صوت عميق. "ليس عندما يوجد أثيني يبقيك مستيقظاً طوال الليل بثرثرته."

جفل بيلينوس ثم نظر هو وماركوس من بين ألسنة اللهب المتخامدة، إلى حيث كان الاسبرطي مستلقياً، وعيناه مفتوحتان. أغمض عينيه ثانية من دون أن ينطق أي كلمة أخرى. وبقي ساكناً كما هو. راقبه الآخران للحظة، غير واثقين إن كان مستيقظاً أم نائماً. بعد انتظار طويل قال بينيلوس: "من الأفضل أن نرتاح قليلاً. أمامنا غداً مسير طويل بالتأكيد."

أومأ ماركوس، وهو لا يزال يراقب الاسبرطي. بعدها انزلق

متمدداً على جنبه، مقوساً ظهره ليجعله أقرب ما يمكن إلى النار، وبأقصى ما يمكن أن يحتمله من وهجها. فكر لبرهة بمرافقيه. لقد كان معظمهم رجالاً قساة ذوي تجارب في القتال. كانوا يمتلكون الكثير مما يمكن أن يتعلمه منهم. وكان قد بدأ يدرك أنه يحتاج إلى التعلم بسرعة، من أجل أن يبقى حياً إن هو أراد أن يبدأ حياة جديدة في مدرسة بورسينو لتدريب المصارعين.

14

في اليوم التالي تركوا الجبال وراءهم، ونزلوا إلى سهل كامبانيا. امتدت أمامهم رقعة واسعة من الأراضي الزراعية، ذهل ماركوس من عدد الملكيات الزراعية الكبيرة، والفيلات الضخمة التي استطاع أن يراها من سفوح التلال. من الواضح أن رومانيي إيطاليا أغنياء جداً، كما أخبره والده قد من خلال مشاهداته في أسفاره عبر مركز الإمبراطورية.

أثر المشهد الرائع في قلب بيزو أيضاً، فرفع هراوته عالياً وأشار بها إلى بقعة على السهل الممتد أمامهم وقال: "تلك هي كابوا. وطننا جميعاً الآن يا شباب!"

حاول ماركوس أن يتبع الاتجاه الذي أشار إليه بيزو، لكنه رأى بلدات عديدة. في المدى رأى كتلة ضخمة لجبل كبير تلوح من بعيد، كطيف هائل لجبل كبير يحجب الأفق.

"ما هذا؟ سأل ماركوس وهو يشير إليه."

"تقصد الجبل؟ إنه الأب الكبير فيزوفيوس. إنه منظر مهيب. أليس كذلك، أيها الصبي؟ ستكبر وتعتاده. ويمكنك أن تراه بوضوح من مدرسة المصارعة." قال بيزو كلامه هذا بطلاقة، ولاحظ ماركوس أنها المرة الأولى التي يرى فيها هذا العبد في مزاج بهيج. التفت نحو بيلينوس ورفع حاجبه. ابتسم له الأثيني وهو يوجه كلامه إلى بيزو.

"تبدو مرحاً هذا الصباح يا بيزو."

"طبعاً فأنا عائد إلى البيت. ولم أر زوجتي وبناتي منذ أكثر من أربعة أشهر."

"ألديك زوجة؟"

"نعم. لماذا؟ رد بيزو وهو ينظر إلى بيلينوس مقطباً."

"لا شيء البتة. لأني لم الحظ هذا الجانب فيك من قبل. هذا كل ما في الأمر."

استعادت قسمات وجه بيزو عبوسها المعتاد. وقال: "أسرعوا الخطى هناك. لا تتسكعوا! يريد السيد أن نصل مدرسة المصارعة قبل حلول الظلام. هيا تحركوا!"

وسَّع العبيد المقيدون بالسلاسل خطواتهم، بينما كان يتقدمهم بورسينو بعشرين خطوة على صهوة حصانه، وهو يأكل تفاحة.

أفضت الطريق المهترئة أمامهم إلى جزءٍ معبَّدٍ وهم ينزلونه من التلال، وينطلقون عبر السهل في خط مستقيم. كان الهواء دافئاً معظم النهار، لكن ومع اقتراب العصر من نهايته، تلبدت السماء

فوقهم بالغيوم وأصبح الجو حاراً ومشحوناً، فتعرق السجناء بغزارة مع إصرار بيزو على أن يسرعوا الخطى. ومع تقدم الغسق عبر المشهد، بدأت تظهر ومضات برق في الأفق باتجاه فيزوفيوس. حركت هبة نسيم خصلات شعر ماركوس، وبرّدت وجهه قليلاً. وبعد أن تجاوزوا حجر مسافة على مقربة من كابوا، انحرف بورسينو عن الطريق الرئيسية وقادهم نازلاً درباً ضيقاً بين أشجار حور. وبدأت قطرات المطر الأولى تتساقط مع اقترابهم من نهاية الدرب، الذي ينحدر بلطف إلى واد. رأى ماركوس في الظلام أمامهم مدرسة المصارعة!

حائط من الجص بارتفاع عشرة أقدام، يحيط بمجموعة كبيرة من الأبنية، الحظائر وحلبات التدريب. مباشرة وخارج الحائط توجد حلبة خشبية بيضوية الشكل، ربما بعرض مئة قدم متصلة بالمدرسة بواسطة طريق مغطاة. وما وراء الحلبة بعض الإسطبلات والأقفاص الكبيرة. شاهد ماركوس في القفص الأقرب إليه هيئة ذئب رمادي، يتحرك داخل القفص جيئة وذهاباً من دون توقف. وعلى مسافة ليست بعيدة تمتد فيلا كبيرة بحديقة خلفية، خمن ماركوس لا بد أنها مقر معيشة بورسينو. وعلى زوايا الحائط الأربعة توجد أربعة أبراج قوية، حيث يقف الحراس يراقبون مدرسة المصارعة ونزلاءها.

قاد بورسينو رتله الصغير نازلاً الوادي، ثم صعوداً إلى البوابة الرئيسية لمدرسة المصارعة. باب خشبي ثقيل مدعمّ بألواح خشبية من الخارج، وفيه قنطرة كبيرة كافية لدخول عربة كبيرة مغطاة. ومع اقتراب اللانيستا مدرب المصارعين ظهر ستة حراس من باب

في جانب البوابة الرئيسية. كان كل منهم يلبس خوذة ودرعاً ضيقة ومن كتفه يتدلى حزام سيف. يبدو أنهم جنوده. من الواضح أن بورسينو يحرس مدرسته جيداً. فكر ماركوس أنه من الأصح تسمية مدرسة المصارعة هذه بالسجن.

سحب الحراس الدعامة الخشبية الثقيلة عبر حواملها الحديدية المثبتة إلى الباب، ودفعوها داخل المجرى الخاص بها في البوابة قبل أن يفتحوا الباب. ثم وقفوا إلى جانب الباب وأحنوا رؤوسهم عندما مر سيدهم على صهوة حصانه. وما إن دخل البوابة آخر سجين في هذا الرتل الصغير حتى أُغلقت البوابة، وسمع صوت مشبك ثقيل بينما كانوا يعيدون الدعامة الخشبية الثقيلة إلى مكانها ليقفلوا البوابة.

نظر ماركوس حوله وشاهد أنهم يمرون بين أبنية منخفضة. وهبت من أحد الأبواب المفتوحة رائحة طعام شهي، ولمح في الداخل حفنة عبيد يعملون بين بعض القدور التي يتصاعد منه البخار، وهم يسكبون فيها مكعبات الخضار واللحم. على الجانب الآخر كانت منطقة المخازن، تسورها قضبان معدنية قوية. في الداخل على الرفوف والأوتاد، مختلف أنواع الأسلحة: سيوف، رماح، رماح ثلاثية الرؤوس، خناجر، بلطات، وصولجانات قتال، وهناك نماذج خشبية من كل هذه الأنواع معلقة بالقرب منها. جفل ماركوس لدى رؤيته كل هذه الأسلحة، خصوصاً عندما تخيل الأذى الذي يمكن أن تلحقه بجسده وعظامه. في غرفة المخزن الثانية شاهد

الدروع، الخوذ، التروس، دروع الأذرع، دروع الساقين، ودروع الصدر، كلها مرتبة بأناقة على الرفوف.

قادهم بورسينو بين الأبنية إلى حلبة مصارعة مفتوحة، حيث الأرض قد رُصَّت جيداً وفُرِشت بالحصى الناعم. شد اللانيستا لجام حصانه وأداره ليقف مقابل السجناء، الذين أبطؤوا الخطى حتى توقفوا في رتل مستقيم، بينما كان يحدق فيهم. بدأ المطر يهطل بغزارة، وسرعان ما تبلل ماركوس والآخرون، وهم واقفون في صمت بانتظار أن يخطب فيهم السيد.

انتصب بورسينو فوق صهوة حصانه، أخذ نفساً عميقاً ثم تحدث بصوتٍ عالٍ ليسمعه الجميع، برغم صخب زخات المطر.

لوح بيده حتى شملت كل المكان وقال: "هذا هو بيتكم الجديد. هذا هو بيتكم الوحيد من الآن فصاعداً. منبتكم الأصلي أصبح مجرد ذكرى، وسيكون الأمر أهون عليكم إن حاولتم أن تنسوا حياتكم الماضية. الماضي كله قد مات بالنسبة لكم الآن. و لم يتبق لكم سوى أن تتعلموا كيف تقاتلون لتبقوا أحياء. فإن تعلمتم تلك المهارات قد تعيشون سنوات طويلة، وقد ينال بعضكم حريته ذات يوم. لن أدّعي أن الاحتمالات هي في صالحكم. ليس الأمر كذلك. فمعظم الذين عبروا بوابة مدرستي هذه، سيجدون الموت في حلبة المصارعة. قلة منهم ستموت هنا، أثناء التدريب. إنها حياة قاسية. ستدفعون إلى حد الإعياء. ستتعلمون تحمل الألم. ستتعلمون القتال باستخدام كل مهارات مصارعي النخبة. ولا حاجة للقول إنها ستكون عملية تدريب طويلة وصعبة. إن بقيتم أحياء ونجحتم

ستقاتلون وقد تموتون، كرجال حقيقيين. لكن إن فشلتم هنا، فهناك فقط الموت على الرمل، أو الموت حياً بالنسبة لمن يُكسر، أو لكسيح مثير للشفقة، الذي يحالفه الحظ بأن يباع إلى سيد جديد."

توقف بورسينو قليلاً ليترك الفرصة لهم لاستيعاب كلماته، ثم تابع بالنبرة القاسية ذاتها. "ستُحكم حياتكم هنا بقوانين صارمة. تخرقونها على مسؤوليتكم الخاصة. الخرق البسيط للقوانين عقوبته الجلد بالسوط. لكن من يرفع قبضته في وجه أي مدرب، أو يحاول الهرب أو يُسمع أنه يحوك المؤامرات ضدي، أو ضد أي من المدربين فسوف يضرب حتى الموت، على يد زملائه المتدربين. أطعنا واعمل بجد تلقَ منا المكافأة من حين لآخر. تعلم كل ما تستطيع واستعمله بشكل جيد ربما تكافأ بشهرة مطلقة، العظمة والغنى التي ما كنت لتحصل عليها كرجل حر. فكروا في كل هذا الليلة، وفي الصباح سيبدأ تدريبكم."

هز ماركوس كتفيه. ذلك هو جوهر الأمر. لا هروب.

التفت بورسينو إلى بيزو وأومأ برأسه: "فك قيودهم. وخذهم إلى مسكنهم. أطعمهم وأعطهم تونيكات جديدة."

"أمرك سيدي."

أحنى بيزو رأسه بينما أدار بورسينو حصانه، وحثه على السير باتجاه البوابة الرئيسية. سار بيزو باتجاه رتل السجناء أخرج مطرقة مسامير التثبيت من جعبته. بدأ من نهاية السلسلة وأجبر ماركوس على الفرجة بينما كان المطر يسيطهم. اختفى آخر شعاع ضوء في السماء ولم يتبق سوى وهج القمر الضئيل، الذي يلوح من حين

لآخر، من وراء الغيوم السابحة عبر السماء. في أبراج المراقبة وحول الأبنية كان العبيد منهمكين في إشعال المشاعل والمجامر التي ستزود المكان بالنور خلال الليل.

كان ماركوس مبللاً ويرتجف وهو واقف يستمع إلى الضربات القوية الرنين الصادرة عن مطرقة بيزو، و يزيل مسامير تثبيت ياقات السجناء الحديدية، الواحد بعد الآخر. وكان الجميع يفرك رقبته وكتفيه، حيث كانت الحلقات الحديدية تحفر في بشرتهم. أخيرا فرغ بيزو من بيلينوس وبدأ بمسامر ياقة ماركوس.

أمره بيزو: "أمل رأسك جانباً."

فعل ماركوس ما طلب منه. وجفل قليلاً عندما أمسك بيزو الياقة بخشونة، متحسساً رأس المسمار وسط الظلام. رفع مطرقته عالياً وحدد هدفه بحذر. بدت الطرقة الأولى قريبة جداً من أذن ماركوس، حيث بدا وكأنها كانت داخل رأسه. لم يستطع منع نفسه من جذب رأسه وكتفيه إلى الجهة الأخرى.

هدر بيزو صائحاً: "اثبت مكانك." وجذب الياقة بعنف صوبه ليعيد ماركوس إلى الوضعية المطلوبة.

أنّ ماركوس. "أووووووووو!"

"اصمت يا ولد."

فترة صمت وتوتر ريثما وجد بيزو المسمار ثانية، واستعدّ للضربة التالية. كان ماركوس هذه المرة يتوقع التأثير والصخب المُصِمَ في أذنه. أبقى رأسه مائلاً، لكنه نجح في الحفاظ على ثبات رأسه وجسده بينما طرق بيزو المسمار.

"انتهى." قال بيزو وهو يتراجع إلى الوراء المطرقة في يد والياقة الحديدية في اليد الأخرى.

كان ماركوس قد تصالح مع ثقل الياقة الحديدية، واستمتع الآن بشعور الارتياح المفاجئ لغيابه. رفع يديه وفرك بلطف الجلد حيث كان الحديد يستقر.

"شكراً."

جمع بيزو الياقات والسلسلة لماركوس والآخرين الواقفين تحت المطر. "اتبعوني!"

استدار ومشى عبر حلبة التدريب، باتجاه بنائين منخفضين. كان الأقرب منهم أكبر من الثاني وأمامه عمودان تعلوهما ظلة. تفتح الأبواب في أوقات منتظمة في كل البناء. مر القادمون الجدد بحفنة رجال ضخام الأجسام.

"شباب جدد. إيه؟"

لم يرد بيزو، وتابع مقطباً بينما استمر الرجل في كلامه: "أولئك الذين على وشك الموت، ألقوا التحية علينا!"

قهقه رفاقه في ضحك مرح.

نظر ماركوس إلى الرجال وهو يمر أمام الباب. كانوا في وضع مهيب، وكلهم ذوو أذرع قوية العضلات. وكانت على وجوه بعضهم جروح طازجة. ووضعت ضمادة كبيرة على عضلة زند أحدهم. تسارعت ضربات قلب ماركوس عندما فكر أن لا بد أنهم مصارعون، نخبة مصارعي العالم الروماني.

قال بيزو بنبرة حادة: "ماركوس لا تتلكأ يا ولد. وإلا جعلتك تقف تحت المطر طوال الليل."

أسرع ماركوس الخطى ليلحق بالآخرين. كانت بعض الغرف مضاءة بمصابيح الزيت، ولمح بينها غرفاً بسيطة مريحة المنظر.

تمتم فيروس مخاطباً بينيلوس: "لا تبدو حياة صعبة بالنسبة لي. ظننت حياة المصارعين أكثر قسوة."

"وكذلك أنا. رد زميله الأثيني بصوت مرتبك."

قهقه بيزو على نحو كريه، عندما سمع هذا الحوار المقتضب. "تلك ثكنات المصارعين الذين أتموا تدريبهم. لقد حصلوا على امتيازاتهم. أنتم لا تزالون في الدرك الأسفل مع بقية المتدربين. تعالوا من هنا!"

قادهم متجاوزاً الثكنات إلى البناء الثاني. كان أكثر بساطة وليس فيه أبواب على الجوانب، ولا ظلة فوق أعمدة أمامه، حفنة من النوافذ فقط. وباب كبير في إحدى نهايتيها. يحرسه حارسان مدرعان كأولئك الذين يحرسون البوابة الرئيسية. وبجانب الباب صف من الأوتاد يتدلى منها سلاسل وأصفاد ضخمة. رمى بيزو حمله أرضاً أمام الباب وأومأ إلى أحد الحارسين.

"افتح الباب، واجلب لهم بعض الطعام."

أومأ الحارس، ونظر خطفاً عبر شبكة صغيرة قبل أن يضع مفتاحه في القفل، ويديره فاتحاً الباب بما يكفي لبيزو والآخرين أن يدخلوا. عندما تحركوا للدخول إلى المبنى تنحى جانباً، ثم أغلق الباب وراءهم. كان البناء من الداخل عبارة عن صالة طويلة، فيها

مرابط[1] على طول كل حائط. وفي نهايتي البناء فوق حاملتي مصابيح عاليتين، وضع مصباح زيت بضوء شحيح يكفي ليرى ماركوس أنه لا يوجد في المرابط أسرة أو فرش مطوية، بل مجرد قش. وفي الممر بين المرابط، يوجد أنبوب ماء ومرحاض بستة كراسي فوق بالوعة مفتوحة تتجه خارجاً عبر الجدار البعيد. أشكال غير مرئية بوضوح تحركت في المرابط الأخرى لتتفحص الواصلين الجدد.

أشار بيزو إلى اثنين من المرابط الفارغة بقرب الباب.

"الثراثيان في المربط الأول. الإسبرطي، الأثيني والولد في الثاني." وأشار إلى خابية الماء والمراحيض. "لديكم كل ما تحتاجونه هنا ولكم وجبتان في اليوم."

"هذا هو مسكنكم حتى تجتازوا، أو إذا اجتزتم، اختبار اللياقة الأساسي والتدريب على الأسلحة. من الأفضل أن تناموا قدر ما تستطيعون قبل أن يبدأ التدريب صباح الغد."

استدار ونقرعلى الباب. فتح الحارس الباب وناول بيزو كيسين خشنين، صناعة يدوية.

"هذه وجبتكم المسائية." قال بيزو مكشراً ثم قهقه وناول أحد الكيسين إلى التراشيانيين، والآخر إلى فيروس الذي أشغل أصابعه بالبحث عن ربطة الكيس. خطف بيلينوس الكيس من بين يديه.

"تصبحون على خير يا أولاد."

أغلق بيزو الباب وراءه، وسمعوا بعد ذلك القفل يطق مقفولاً.

---

1 المربط: في الإسطبلات عموماً، وهو المكان المخصص لكل حيوان على حدة.

بينما لحق ماركوس رفاقه إلى المربط الذي أشار إليه بيزو، رأى النزلاء الآخرين يراقبونهم بحذر. لم يحاولوا أن يلقوا التحية على الواصلين الجدد، ولا حتى أمارة على أنهم يعتبرونهم كرفاق بأي طريقة كانت. مجرد وجوه متجهمة، سكون يبعث على الكآبة، ووجوه خالية من أي تعبير. والمطر في الخارج يطرق قرميد سطح المبنى، ويتسرب من أي شق يجده وينقط على العبيد بإيقاع ثابت مثير للشفقة. وعندما وصلوا المربط المخصص لهم، تهاوى ماركوس والآخرون على فُرَشِ القش. فتح بيلينوس الكيس ودس يده فيه ليجد أنه يحتوي على بعض قطع الخبز البايت، القاسي والمقزز. وزعها عليهم. تناول ماركوس حصته وارتمى في الزاوية، وبدأ يمضغ بينما أسنانه تصطك وجسده المبلل يرتجف بطريقة يتعذر السيطرة عليها.

حزم أمره بأنه لا بد أن يخرج من هذا المكان. لا بد من وجود طريقة ما للهرب. وسيلة ما للخروج من هذا المكان البغيض. ثم يتابع البحث حتى يصل إلى روما ويجد الجنرال بومبيوس. قبل أن يفوت أوان إنقاذ أمه.

15

كسر نوم ماركوس صخب شديد. انتفض جالساً في مربطه وجفل عندما شعر بتصلب رقبته وأوصاله. نظر حوله، وهو يرمش، فرأى رفاقه أيضاً يتحركون.

استوى فيروس أيضاً وهو يفرك وجهه ويدمدم. "ما هذه الجلبة؟"

تلفت ماركوس حوله ورأى شاغلي المرابط الأخرى يهرولون مضطربين نحو الباب الرئيسي للبناء. سمع طقطقة القفل وبعدها صرير الباب فوق مفصلاته، عندما فتحه الحراس من الخارج. وكان أحدهم يحمل سلسلة طويلة ويضرب عليه بوجه سيفه، وهو يصيح:

"هيا، تحركوا! آخر الخارجين سيناله الضرب!"

"هيا، تعال." قفز بيلينوس واقفاً، وجذب ماركوس من قدميه وجره وراءه نحو الباب وهو يقول: "أسرع، يا فيروس!"

اندفعوا خارجين من المربط. وانضموا إلى مد الأجساد البشرية

المتزاحمة نحو الباب. كان معظم السجناء الآخرين رجالاً، لكن كان بينهم أيضاً بضعة أطفال بعمر ماركوس أو أكبر قليلاً. رأى التراثيانيين أمامهم، ينحشران وسط الحشد المتزاحم حول الباب. ثم غابا وسط أجساد الراشدين الطويلة التي تضغط من حولهم. اجتاحت ماركوس رعدة خوف. ماذا إن سقط أرضاً الآن؟ لا بد أنه سيسحق تحت الأقدام. أمسك بحافة تونيك فيروس وحشر نفسه ملتصقاً بجسمه الضخم.

"ما هذا؟" نظر فيروس مكفهراً من فوق كتفه. لكن عندما رأى ماركوس وضع ساعده حول جسد الصبي ليحميه، وقال له: "ابق واقفا بالقرب مني." ثم هدر وهو يشق الطريق بكتفه. "سأهتم بأمرك أيها الصبي."

ساراً معاً باتجاه الباب ببطء. انحشروا وسط الآخرين، شم ماركوس رائحة عرقهم الوسخة. شعر بخوفهم وهم يتزاحمون وكل واحد منهم لا يريد أن يكون آخر الخارجين. ثم لاحت أمامه عارضة الباب الخشبية، التي تفصلهم عن ضوء الصباح الشاحب. كان وراءه حفنة من الرجال، وعندما خرج من الباب شاهد الإسبرطي لا يزال واقفا بقرب المربط وهو ينظر إلى المتدافعين للخروج نظرة احتقار، بعد ذلك سار ببطء نحو الباب.

"قف هناك، أيها الصبي!"

دفعه فيروس إلى الأمام. التفت ماركوس ورأى أن بقية العبيد كانوا يشكلون رتلاً أمام مبنى الزنازين هذا. وشاهد رجلاً طويلاً، ذا وجه ذكوري حاد القسمات، وبنية عضلية هزيلة. وقف يحملق

في العبيد وهم يشكلون الرتل. كان يلبس درّاعة جلدية فوق تونيكه الأحمر، درعاً جلدية في كل ساعد وجزمة حربية ثقيلة مثل تلك التي كان والده يفضلها. وفي يده عصا كرمة ينقر بها عقب قدمه وهو يقف متفرجاً. جاء بيزو مهرولاً وفي يده لوح شمعي كبير، ووقف ملاصقاً كتف الرجل. نظر ماركوس إليه بحذر وهو يلحق فيروس، ويتخذ مكانه إلى جانب بيلينوس وينتظر وصول آخر النزلاء للانضمام إلى الرتل. تأخر الإسبرطي قليلاً قبل أن يخطو عبر الباب بهدوء باتجاه الرتل.

بخطى واسعة ووجه غاضب، تقدم الرجل الذي كان يراقبهم وهم ينتظمون في الرتل. وقف أمام الإسبرطي ومد رقبته إلى الأمام حتى كاد أن يلتصق انفه بأنف الإسبرطي.

هدر في وجه الإسبرطي: "ما نوع هذه السرعة؟ عندما تسمع نداء التجمع الصباحي، ينبغي أن تركض إلى هنا بأسرع ما تستطيع. أتفهمني؟"

اكتفى الإسبرطي بالتحديق إلى الرجل بوجه يخلو من الخوف، بل حتى من دون اهتمام.

تلفت الرجل حوله. "بيزو! تعال هنا بسرعة!"

انطلق بيزو راكضاً. "نعم، يا سيد توروس قائد المئة؟"

نخس توروس الإسبرطي بسبابته وهدر. "من هذا الرجل الصغير المريع؟ أهو واحد من الدفعة الأخيرة التي جلبها بورسينو؟"

"نعم يا سيد. إنهم آخر دفعة تردنا. لقد اشتراه السيد من مزاد في إسبرطة. اسمه باتروكلوس."

"إسبرطي. إيه؟" التفت توروس إلى الإسبرطي، وضع إحدى يديه على ورك، وقبض بالأخرى عصا الكرمة بقوة.

"لا بد أنه يعتقد نفسه رجلاً قاسياً. هل يتكلم اللاتينية؟"

أومأ بيزو برأسه. "هذا ما فهمته يا سيدي. لكنه ومنذ أن اشتراه سيدي، نادراً ما كلمني، وإن تكلم فباليونانية فقط."

"أفهمك." نخر توروس باحتقار، وهو ينظر إلى الإسبرطي قائلاً: "إذاً أتخيلك تفكر أنك بالتأكيد انبعاث للملك الدموي ليونيداس[1]. أقصد الطريقة التي خرجت بها من الزنزانة. حسناً؟"

حملق الإسبرطي مباشرة في عيني توروس، من دون أن يقول شيئاً. وفجأة ضرب توروس معدة الإسبرطي برأس عصا الكرمة. انحنى الإسبرطي على نفسه وهو يطلق صراخاً مدوياً.

جأر توروس: "كيف تجرؤ ألا ترد عليَّ! كيف تجرؤ على المشي إلى حلبة تدريبي بهذه اللامبالاة. هذا لا ينفع! وانهال بعصاه على كتف الإسبرطي." جفل ماركوس عندما سمع تكسر الضربة على بعد أقدام عن يمينه. خاطر باستراق النظر إلى الجانبين فرأى الإسبرطي جاثياً على ركبتيه. عض باتروكلوس على أسنانه، ثم نهض ثانية ووقف في مواجهة مهاجمه.

"ألم يكفك ما نلت؟" وصفعه بوحشية بقفا يده على وجهه، أتبعها بصفعة أخرى براحته.

---

1 ملك إسبارطة (ليونيداس) أو ابن الأسد الذي وقف ضد رغبة آلهة اليونان وتجاهل نبوءات الأوراكل ليواجه هو وثلاثمائة محارب من خيرة أبناء إسبارطة، جيش كسرى المكون من مئات الآلاف من الجنود، في المعركة الفاصلة التي عرفت باسم معركة (ثيرموبلاي).

رمش باتروكلوس، لكن وجهه بقي محايد الملامح بينما فتح فمه ليبصق دماً.

"ووه! سأجعلك حطاماً متناثراً يا صديقي. سترى الآن." زمجر توروس وتراجع خطوة إلى الوراء، وهو ينظر خطفاً إلى الرتل. أبطأ ماركوس في الإشاحة ببصره، فالتقت عيناه بعيني توروس. وبلمح البصر اقترب منه توروس، ولكزه بعصا الكرمة في صدره، ليجبره على خطوة إلى الوراء.

"ما هذا؟" قال توروس وهو يبحث بنظره عن بيزو. "هل يخطط بورسينو لمصارعة بين الأقزام؟"

ضحك بيزو والآخرون بدافع الواجب، بينما التفت توروس إلى ماركوس ثانية. "ما اسمك؟"

"ماركوس كورنيليوس، يا سيدي." رد. ثم فكر بسرعة وأضاف:

"ابن تيتوس كورنيليوس، قائد المئة في الفيلق السادس عشر."

تجهم وجه توروس. "كان والدك جندياً؟"

"قائد مئة يا سيدي."

"والآن أنت عبد. إيه؟" تمتم توروس. حظ سيّئ أيها الصبي. من الآن وصاعداً أنت ماركوس البسيط. هذا هو الاسم الذي ستعرف به حتى نجد لك اسماً حربياً، إن عشت إلى ذلك الوقت."

كان على وشك الانصراف عنه، لكن ماركوس الذي لم يستطع أن يصدق أن الفرصة التي أتيحت له ليشرح الظلم الذي نزل به ستضيع الآن.

"انتظر!"

تجمد توروس في مكانه. "ماذا؟ هل قلت شيئاً ما؟"

رد ماركوس بسرعة: "ينبغي ألا أكون هنا. لقد اختطفت بغير حق وجرى بيعي كعبد."

لم ير ماركوس لكمة توروس، لكنه شعر برأسه يميل بسرعة، والدنيا تدور به وهو يتقهقر إلى الوراء من قوة اللكمة، وتوروس يصرخ في وجهه.

"إياك أن تتحدث ثانية فيما لم تُسأل عنه أيها العبد! أسمعتني؟ لا يهمني أي حمار هو والدك، ولا ما قد تكون حكايتك. هل فهمت ذلك؟ أنت مجرد عبد، وخَبَث الأرض، وأنا أكره منظرك. أملك الوحيد الآن، أن أدعك تصبح مصارعاً ذات يوم. وحتى ذلك الوقت أنت لا شيء. وإذا ما دعوتك إلى الكلام يجب أن تسبق كلمة سيدي، أي كلام ترد به. هل فهمت؟"

"نعم يا سيدي." برطم ماركوس من دون تفكير. كان رأسه لا يزال يطنّ وشعر بالدوخة إلى حد المرض. فقاوم نوبة الغثيان وهو يترنح فوق قدميه.

"هذا أفضل." قال توروس واستدار مبتعداً إلى وسط ساحة التدريب مخاطباً رتل الرجال. "الآن وقد حضر الجميع يمكن أن نبدأ التدريب. وسأبدأ ببعض التعليمات. أنا أولوس توليوس توروس رئيسكم المدرب. دربت جنوداً قبل أن أدرب العبيد، وقبل ذلك كنت مشغولاً بقتل برابرة روما. سأدربكم كي تصبحوا قتلة، في النهاية. قبل ذلك، يجب أن تصبحوا لائقين بدنياً وعديمي الخوف، ولذلك

سأدربكم حتى تسقطوا أرضاً، وسأضرب أي واحد منكم يتذمر أو يسقط وراء الآخرين، كما ضربت صديقنا الإسبرطي الأحمق ذاك. ومن حين لآخر سنتشرف بحضور بورسينو، اللانيستا صاحب هذه المدرسة. يجب ألا يخاطبه أحدكم ما لم يخاطبكم هو أولاً. عندها تدعونه سيدي. ثانياً، هناك مساعدي بيزو. إنه عبد، لكنه بخلاف الكثير منكم قد أثبت نفسه في ميدان التدريب. وبيزو مسؤول عن توزيع العدة والطعام والمكافآت، ولذلك يجب أن تعاملوه باحترام." والتفت توروس ليشير إلى أربعة رجال يقفون جانباً. "هؤلاء هم مدربوكم الرياضيين. تخاطبونني أنا بلقب سيدي. بيزو ومدربو الرياضة يخاطبوني بلقب سيد[1]. وأنتم بدوركم تخاطبونهم بلقب سيد. ومن ينسى منكم هذا القانون البسيط سوف يضرب. وهناك قانونان آخران. افعل ما يطلب منك بدقة وفوراً. العصيان أو التلكؤ سيعاقبان بمنتهى القسوة."

توقف قليلاً ليمنحهم جميعاً الوقت الكافي لاستيعاب تعليماته. "وعلى مدى الأشهر الأربعة القادمة، ستتدربون لبناء قوتكم البدنية. بعد ذلك، ستبدأون التدريب على الأسلحة الرئيسية. وسأراقبكم عن كثب. وفي غضون الأشهر الأربعة التالية، سأختار لكل منكم نوعية القتال التي تناسبه. بعضكم سيقاتل في صفوف المشاة الثقيلة. وبعضكم سيسلح تسليحاً خفيفاً. بينما سيُدرب الآخرون على قتال

1 يا سيدي: يقابلها بالإنكيزية master؛ سيد: يقابلها sir؛ ولهذا سنستعمل المفردتين بحسب ورودهما في النص الأصلي.

الحيوانات. سنكلف الصغار منكم بأعمال في المطبخ، ومهام تنظيف منزلية حتى أقرر أنكم كبرتكم بما يكفي لاستعمال السلاح. عندما تصبحون جاهزين لخوض معارككم الأولى الحقيقية، سننقلكم من براكات الجنود الأغرار إلى مساكن أكثر راحة. لتعملوا عندها."

أنهى كلامه فجأة وفرقع بإصبعه الوسطى وسبابته، مشيراً لبيزو أن ينضم إليه. "لقد حان وقت تحديد مجموعات التدريب."

"نعم يا سيد."

عندما فتح بيزو سجله الشمعي وأخرج قلماً نحاسياً، هرول مدربو التربية البدنية الأربعة الآخرون ووقفوا متباعدين أمام رتل العبيد. بينما كان ماركوس يراقبهم بوجه محايد، وعقله غارقاً في ذكريات حزينة عن حياته في المزرعة خارج نيدري. حيث كان ينعم بالحب والعناية، وكان سعيداً هناك. أما الآن وهنا، فهو يخضع لقانون مدرسة المصارعة القاسي وتساءل: كم سيستطيع احتمال حياته الجديدة المروّعة. سار توروس وبيزو إلى النهاية الأخرى من الرتل وبدءاً بجولتهما الاستطلاعية. كان توروس يتوقف قليلاً أمام كل رجل أو صبي، يتفحص قليلاً ثم يخبر بيزو باسم المجموعة التي سيضعه فيها. وعندما وصل إلى التراثيانيين، راقبه ماركوس وهو يعصر أكتافهم وأذرعهم، وفيما بعد يتفحص أيديهم وأرجلهم.

"مجموعة السلاح الخفيف." قرر ثم انتقل إلى فيروس.

"هذا له بنية دب. ألم تقتل أحداً بهذين الكفين الكبيرين؟"

"كلا يا سيدي." دمدم فيروس.

"عار عليك. لكنك ستفعل ذلك قريباً. مجموعة المشاة الثقيلة. لا نقاش في ذلك."

وتابع توروس ليتفحص بيلينوس بعد نظرة سريعة إلى السجل الشمعي الذي مده له بيزو. ووقف الأثيني بثبات وهو يُنخس ويُجَس، ثم عاد توروس إليه وشزره بنظرة لاذعة وهو يحك ذقنه. - "عضلات ممتازة. كما يمكن أن تتوقع من ملاكم. وستكون خفيف القدمين، كما أتخيل. ويمكن أن تكون أيضاً مصارعاً بشبكة أو مصارعاً جيداً. مممممممم. ضعه في المجموعة المختلطة الآن."

أومأ بيزو برأسه وكتب في السجل بسرعة، بينما تحرك توروس إلى ماركوس. ثبت ماركوس نظره إلى الأمام و لم يجرؤ على إظهار أي تحد، خشية أن ينال لكمة أخرى من مشرف التدريب.

"آه هنا ابن قائد المئة ثانية." انحنى توروس إلى الأمام وضغط كتفي ماركوس بين أصابعه الشبيهة بالملزمة، وهو يتكلم بنبرة ساخرة. "ماذا نفعل به؟ ربما نصنع منه مصارعاً ثقيلاً؟ لولا أنه قد ينهار تحت ثقل العدّة. ذو الشبكة[1]! لا. لا. لن ينجح إلا في شبك قدميه في الشبكة. حسناً. إذاً نضعه في مجموعة الصغار. هذا هو التصنيف الملائم له في الوقت الحاضر."

"أمرك يا سيد."

شعر ماركوس بوجهه يلتهب من الارتباك، وتمنى لو أنه تجرأ

---

1 مصارع روماني يحمل شبكة يلقي بها على خصومه.

على الكلام ليخبر توروس أين يمكنه أن يغير رأيه. لكنه آثر الصمت والنظر إلى الأمام وهو يكظم غيظه.

عندما وصل توروس إلى نهاية الرتل، نظر توروس إلى الإسبرطي نظرة خاطفة ونطق حكمه. "ضعه في القائمة المختلطة. فإن عاش طويلاً، لن يكون فالحاً في شيء سوى مصارعة الحيوانات."

"سأصارعك يا سيدي." قال الإسبرطي ببرود. "الآن إن كنت تمتلك الشجاعة الكافية."

"تصارعني؟" نظر إليه توروس ساخراً. "لا أعتقد ذلك. إن فكرت في رفع يديك علي، عندها سأضطر إلى صلبك خلال ساعة. من الأفضل لك أن تتذكر ذلك."

صمت توروس قليلاً، ثم رفع صوته عالياً كي يسمعه كل المجندين الجدد في مدرسة المصارعة. "هذا ينطبق عليكم جميعاً. القدر الوحيد الذي ينتظر أياً منكم إن ضربني أنا أو أي مدرب آخر هو الموت البطيء المؤلم. لا فرصة أخرى أمام المصارع. تذكروا ذلك جيداً إن أردتم أن تعيشوا. إن نسيتموه فمن المؤكد أنكم ستموتون. ثم أومأ للإسبرطي بعبوس. طلبك مرفوض."

16

كان في مجموعة الصغار ثلاثة وعشرون صبياً إضافة إلى ماركوس، تحت إمرة مدرب عجوز هزيل يدعى أماتيوس. وكان أماتيوس النحيل قوي العضلات، مصارعاً رامي شبكة لمدة خمسة عشر عاماً. لقد ربح معظم معاركه، وأنقذه الجمهور من الموت في قلة قليلة من المعارك التي خسرها. لكنه فشل في تمييز نفسه كفاية ليربح الحظوة والمكافآت التي حققها العديد من معاصريه. وهكذا حُكم عليه أن يعيش ما يتبقى من عمره، عبداً يدرب المجندين الجدد في مدرسة بورسينو للمصارعة.

كان ماركوس الأصغر سناً في المجموعة. قد يكون الأصغر سناً، لكن تنشئته في المزرعة وتشجيع والده المستمر له جعلاه أكثر قوة ولياقة بدنية بالنسبة لعمره. بقية الصبية جاؤوا من أماكن متفرقة من الإمبراطورية بألوان بشرة وسمات مختلفة، و لم يستطع ماركوس

التواصل إلا مع قلة منهم كانوا يتكلمون اليونانية أو اللاتينية. جميعهم وصلوا إلى المدرسة في غضون الشهر الماضي وقد أُرسيت الآن العلاقة التراتبية.

كان فيراكس قائد مجموعة الصغار المنتخب ذاتياً، صبياً سلتياً كبير الجسم من احدى القبائل التي عاشت بالقرب من الألب. وكان أكبر من ماركوس بأربع أو خمس سنوات، وأطول منه وأضخم. كان يتحدث اللاتينية بنبرة خشنة، ويمشي بتأرجح واضح وهو يقوم باستعراض الصغار الصباحي. ومن البداية اتخذ موقفاً عدائياً من ماركوس، منذ أن تحدثوا قليلاً بعد وصول ماركوس بفترة قصيرة. كان ماركوس قد خرج من المرحاض وسار عائداً إلى مربطه عندما وقف فيراكس وأزلامه الأربعة في طريقه.

قال فيراكس مستهزئاً: "أنت ابن قائد مئة روماني. إيه؟ تبدو لي كابن جرذ البالوعة."

ضحك أزلام فيراكس. وحملق ماركوس بعينين تقدحان شرراً، مستجمعاً قبضتيه بقوة. لم يرغب في قتال الصبي الأكبر منه، لكنه لا يريد في الوقت نفسه أن يبلع الإهانة.

"إن كنت لا تعرفني، اسمي فيراكس." قال السلتي وهو يشير بإبهامه إلى صدره، وهذه عصابتي. ثم أشار إلى صبيين أشقرين إلى جانبه. "هذان سلتيان مثلي." وأومأ برأسه إلى الآخرين النحيلين الداكني البشرة، "وهذان التقطا من حي فقير في سوبورا في روما. حالات صعبة." تقدم إلى الأمام ومد رقبته حتى كاد وجهه يلاصق وجه ماركوس وقال: "دعني أقول لك القوانين هنا، يا جرذ البالوعة.

أنا وأزلامي نأخذ الحصص الأولى من الطعام. وعندما أريد. ستقوم أنت والآخرون بواجباتنا نيابة عنا بعد انتهاء يوم التدريب، كأن تجلبوا لنا الماء أو تنظفوا عدتنا."

فرد ماركوس: "يمكنك أن تحضر ماءك بنفسك."

"أووه!" قهقه فيراكس. "لدينا صبي صلب العود هنا، يا أولاد! أفضل أن أحذّرك أن آخر صبي رفض القيام بما أمرته، نال ضرباً مبرحاً. وما إن شاع الخبر حتى أصبح الجميع طيّعين كالذهب. لذلك، افعل ما آمرك به كي لا تواجه المتاعب. وإلا." تراجع فيراكس خطوة إلى الوراء ورفع قبضته أمام وجه ماركوس قائلاً: "ستشعر بهذه تكسر أنفك. هل فهمت؟"

بقي ماركوس ساكناً في مكانه يحدق إلى فيراكس بصمت. أومأ فيراكس برأسه ثم التفت إلى أزلامه. "حسناً. انتهت التحية. لنتركه في حال سبيله."

عندما غادروا، زم ماركوس شفتيه. كان فيراكس شرساً. سيتوجب عليه الحذر منه وتجنبه قدر الإمكان. برغم أنه يشعر برغبة قوية في مواجهته.

لكن ليس الآن. لاحقاً. عندما يكون قد تدرب على القتال وعرف كيف يعامل خصمه. عندها سيختبر كم هو صلب هذا السلتي.

بينما كان الرجال يتدربون طوال النهار، كان الشبان الصغار وبعد انتهاء حصص تدريبهم يُكلفون بأعمال الطبخ والتنظيف. أوكلت إلى ماركوس مهمة المطبخ. وكان عملاً شاقاً ووضيعاً،

لكنه قام به من دون أي تذمر، فيما كان كل تفكيره متمحوراً حول ضرورة الهرب من هذه المدرسة، ومواصلة طريقه إلى روما. كما كان يفكر في أمه، المحكوم عليها بالعمل الشاق في مزرعة ديسيموس. كان التفكير فيها يفطر قلبه، وعرف أنها ستكون قلقة عليه بدورها.

وفكر بحزن أنها لن تعرفه بسهولة إن رأته. لأنه ككل الذين أخرجوا من زنازينهم في صباح اليوم الأول في هذا المكان، أعطي تونيكين رماديين وجزمتين، كلاهما يحمل رقماً متسلسلاً حفر بالنار على كعبها. أخذت منهم كل ملابسهم الحياتية. وبيع الجيد منها إلى تاجر محلي، فيما أُحرقت البقية. وحلق شعر رأسه من منبته. والآن يبدو كل المتدربين قساة ومتوحشين، ومن الصعب تمييز أحدهم من الآخر، مثل عصابة الرجال المحكومين التي أرسلت مقيدة إلى المناجم. لقد كره ماركوس أن يُحلق شعر رأسه. إضافة إلى أن العبد الذي قام بالمهمة، لم يعبأ كثيراً بحركة مقصه مما تسبب لماركوس ببعض الجروح في أماكن مختلفة. لكن حتى ذلك التعذيب لم يكن ذا شان بالمقارنة مع ما أعقبه.

ما إن خرج الصبيان من القفص المُسيَّج حيث جُزّ شعرهم، دائخين ودمهم ينزف من الجروح والخدوش في فروة رؤوسهم، حتى قادهم أماديوس إلى ورشة الحداد في ركن من أركان المدرسة. كان بانتظارهم دزينة من حراس المدرسة، ووراءهم يقف عبدٌ يتصبب العرق من وجهه، وهو يعمل فوق كير صغير وضع فوقه مقبض حديدي طويل.

"فليتقدم الصبي الأول." أصدر أماتيوس أمره، مومئاً إلى أحد النوبيين. ارتعد الصبي من الخوف، لكن وقبل أن يحاول الرجوع إلى ما وراء رفاقه، أمسك اثنان من الحراس بذراعيه وحصراه بينهما، ثم جراه إلى داخل ورشة الحداد وهو يقاوم بضراوة بين قبضاتهما. تناول أماتيوس خرقة مبللة وأمسك بها المقبض الحديدي. وعندما سحب القضيب الحديدي المتجمِّر، ظهر في نهايته وسم حديدي على شكل حرف P، كبير فوق نصلين متقاطعين يتوهج باللون البرتقالي والهواء الساخن يتموج حوله. اقترب من الصبي النوبي، الذي كان يتلوى الآن يائساً بين قبضتي الحارسين.

"ثبتاه جيداً." أمرهما أماتيوس، فثبت الحارسان أقدامهما في الأرض ومنعا الصبي من الحركة. جذب أماتيوس تونيك الصبي وضغط الوسم الحديدي على صدره فوق جانب القلب. صرخ الصبي في الوقت الذي سُمع فيه صخب النسيس وامتلأ الهواء برائحة اللحم المحروق. انتهى الأمر في غضون لحظة، وتراجع أماتيوس إلى الوراء بينما سقط الصبي كخرقة على الأرض. سحبه الحارسان خارج ورشة الحداد ورمياه أرضاً.

"التالي! صاح أماتيوس."

سُحب الصبية الواحد تلو الآخر، ووسموا بعلامة مدرسة بورسينو للمصارعة. كانوا ينظرون واحدهم إلى الآخر بعصبية وهم ينتظرون دورهم، وكان بعضهم يهرب إلى آخر الرتل محاولين تأجيل العذاب. لكن ذلك بقي بعيداً عن المنال، إذ كان الحراس يعيدونهم إلى أماكنهم. وكان رعب ماركوس من فكرة الوسم يتعاظم مع كل

صرخة ألم تصدر من ورشة الحداد. لكنه بقي صامتاً و لم يحاول الهروب إلى ما وراء المجموعة. كان ينظر حوله خطفاً ويقابل تحديقة فيراكس.

بادله السلتي التحديق، ورأى ماركوس أنه كان خائفاً أيضاً. كان فيراكس يرتجف عندما التقت نظراتهما، لكنه بدا غاضباً الآن ويحدق إلى ماركوس بغيظ. أخذ نفساً عميقاً، واندفع إلى مقدمة المجموعة ووقف متطاولاً بقدر ما أسعفه طوله. كتّف ذراعيه فوق صدره وانتظر دعوته للدخول. وعندما حمل آخر ضحية إلى الخارج، أعاد أماتيوس الوسم الحديدي إلى الكير كي يتجّمر من جديد. ثم التفت إلى الصبية المتبقين وصاح. التالي!

تقدم فيراكس خطوة، لكن ماركوس اندفع من دون تفكير، وقال: "أنا! أنا التالي!"

أومأ أماتيوس برأسه فتقدم الحارسان إلى الأمام ليمسكا بذراعيه. شعر ماركوس بقلبه يخفق بقوة وهو يتقدم صوب الكير. لم تكن لديه أي فكرة عن سبب قيامه بهذا، سوى أنه كان يحاول أن يثبت أمراً ما لفيراكس والآخرين، من دون ذكر أماتيوس والحراس. وبينما كان يتقدم من كير الحداد، أمسك بياقة تونيكه وجذبها نحو الأسفل ليكشف عن صدره.

أومأ أماتيوس للحارسين. "أمسكاه."

تركهما ماركوس يمسكان بذراعيه لكنه بقي ساكناً، عضلاته مشدودة وأسنانه تصر بقوة لدرجة أنه شعر بالألم في فكه. اندهش أماتيوس وتوقف قليلاً قبل أن يخرج الوسم من الكير ثانية.

"حسناً. يبدو أن أحدكم على الأقل يمتلك بعض الصلابة."

وابتسم له ابتسامة خفيفة. "استجمع قواك، أيها الصبي. فهذه ستؤلمك كما لم تتألم على الإطلاق."

رفع قضيب الوسم. اتسعت عينا ماركوس وهو يرى الشكل البرتقالي المتوهج. وضع أماتيوس يده اليسرى على صدر ماركوس ليثبته ورفع قضيب الوسم عالياً. في اللحظة الأخيرة أغمض ماركوس عينيه بقوة. حلّت لحظة شعر فيها بالحرارة، ثم انفجر عالمه في ألم حرقة ورعب جارفين. بدا له وكأنه قد تلقى نطحة كبش، ثم شعر بطعنة حارقة تخترق جسده. شم رائحة لحمه يحترق حادة ولاذعة، لدرجة جعلته يشعر بالدوخة والغثيان. استمر النسيس وأزيز الاحتراق للحظة. بعد ذلك خف الضغط عندما أبعد أماديوس الوسم عن جسده. لكن الألم استمر في الازدياد. نفرت الدموع من زاويتي عين ماركوس، وانفلت أنين قسري من بين أسنانه المطبقة.

وسمع أماتيوس يقول: "لم يعذبنا هذا. إن الصبي شجاع، وسأبلّغ عن شجاعته هذه."

عندما أخرجه الحارسان من ورشة الحداد، وضعاه بهدوء على الأرض وأسندا له ظهره على حائط من الجص. فتح عينيه ونظر حوله محدقاً إلى الآخرين. قلبه لا يزال يضرب بسرعة، واستهلك الألم كل طاقته العقلية بينما جلس متيبساً يكز على أسنانه. كان صراخ وأنين الصبي الذي وُسِم قبله لا يزالان يدوّيان في أذنيه. نقل بصره جانباً فرأى فيراكس ينظر إليه. كان السلتي مغتاظاً وقد زمّ شفتيه بتعبير كريه. بعد ذلك أمسكه الحارسان وجرّاه إلى الداخل

وهو يقاوم بين أيديهم. لم يراقب ماركوس العملية لكنه سمع أنين غضب وألم الحيوان عندما وسمه أماتيوس. فجأة تصاعد الألم فوق قدرة ماركوس على الاحتمال، وبالكاد نجح في الاتكاء جانباً وتقيأ مراراً حتى أفرغ كل ما في معدته. ثم استرخى على الجدار وغاب عن الوعي.

عندما صحا كان مستلقياً على القش ويحدق إلى الأعلى في عوارض سقف الزنزانة. شعر فجأة بوخزة ألم الحرق فوق صدره، وأنّ محاولاً النهوض على مرفقيه.

"على مهل." قال بيلينوس بصوته المطمئن وانحنى فوقه. كان يحمل في يده خرقة مبللة قدمها لماركوس. "جرب هذه تساعد في تسكين الألم قليلاً."

أخذ ماركوس الخرقة منه ونظر إلى صدره. كان الحرق أحمر ومنقطاً بقروح صغيرة شاحبة تنزّ. لمس الحرق برفق فشعر بموجة ألم جديدة. "آآآآآآآآآآآآه." بدا أن الخرقة المبللة تجعل العذاب أسوأ، واضطر أن يقاوم موجات غثيان قبل أن يعيد الخرقة إلى بيلينوس مع إيماءة شكر.

إنها مؤلمة. أليست كذلك؟ قال بيلينوس وهو يأخذ نفساً حاداً.

"وأنت أيضاً؟" سأل ماركوس مومئاً إلى صدر الأثيني.

"كلنا. برغم أن البعض قاوم كثيراً." وأومأ إلى فيروس، الذي كان يجلس في الجانب الآخر من المربط محملقاً بانشداه. ولاحظ ماركوس أن وجهه كان مليئاً بالكدمات الزرقاء وإحدى عينيه متورمة.

”احتجنا إلى ستة أشخاص من أجل تثبيته.“ قال بيلينوس بابتسامة خفيفة. ”لا يعرف الشاب مقدار قوته.“

اكفهر وجه ماركوس. ”أنت ثبّته أرضاً؟ ساعدتهم ليسموا فيروس؟“

”اضطررنا إلى ذلك. ولو تركنا الأمر للمدربين، لكان أطاحهم أرضاً. وقد سمعت ما قاله المدرب عن مصير كل من يرفع يده في وجه أحد مدربي بورسينو. فضلت أن يضربني ويفقدني الوعي فوراً على أن يضرب أحدهم، ويتسبب ذلك بصلبه.“

”أعتقد ذلك.“ قال ماركوس وهو يهز كتفيه. ”برغم ذلك لا يبدو تفكيراً صائباً.“

قال بيلينوس جازماً: ”لو لم نفعل ذلك لرأيناه يموت أمام أعيننا.“

”ما الذي كنت ستفعله أنت؟“

أراد ماركوس أن يقول إنه كان سيرفض المساعدة على إخضاع فيروس. إنه كان سيقاتل إلى جانب العملاق ليقاوم الألم وعار وسم ملكية بورسينو. لكن مهما كانت رغبته في المقاومة كبيرة، فقد عرف أن بيلينوس كان على حق. لم يكن بوسعه فعل شيء. لا شيء يمكنهما فعله حتى لو أرادا. نظر إلى طرف تونيكه يائساً.

أشفق عليه بيلينوس. ”ماركوس أنت الآن عبد. من الأفضل لك أن تعتاد الفكرة بأسرع ما يمكن. لكن إن بقيت جالساً تحلم بالمقاومة والهرب، عندها ستجعل حياتك أكثر تعاسة. ستقود نفسك إلى الجنون.“ صمت للحظة ثم تابع، ”هذا ما حدث لي. رفضت أن أقبل فكرة العبودية. عصيت أسيادي وحاولت الهرب مرة. لكنهم

ألقوا القبض علي بعد بضعة أيام وجلدوني حتى استحالت بشرتي سوداء وزرقاء. هذا ما تفضي إليه مقاومة أسيادك. الألم ومزيد من المعاناة. خذها نصيحة مني، أفضل ما تفعله هو أن تقبل فكرة أن الماضي قد مات بالنسبة لك. انظر إلى المستقبل. ابق حياً، وذات يوم ستستعيد حريتك. هذا ما يجب أن يشغلك الآن." ختم بيلينوس كلامه بهذه العبارة قبل أن ينهض ليجلب الماء.

أومأ ماركوس برأسه قليلاً وكأنه يقبل النصيحة. لكنه في أعماقه لم يستطع أن يفعل ما قاله له بيلينوس. فهذا يتناقض مع كل ذرة في كيانه، وفيه خيانة لذكرى والده وخيانة لواجبه تجاه أمه. أقسم ماركوس لنفسه إنه لن ينسى الماضي. بالإضافة إلى ذلك، إن ذكرى كل ما فقده وكل ما يجب أن ينتقم له، هي التي كانت تملؤه عزيمة وإصراراً على احتمال هذه الوضع الفظيع الذي وجد نفسه فيه.

"آه. ابن قائد المئة المزعج يتحرك أخيراً!"

رفع ماركوس بصره فرأى فيراكس واقفاً بباب المربط، ومن ورائه أزلامه. كانوا جميعاً عراة الصدر، يعرضون شعار وسم مدرسة المصارعة المتقرح.

خاطبه السلتي باحتقار: "آخر مرة رأيتك فيها كانت عندما دخت خارج ورشة الحداد."

بلع ماركوس ريقه بعصبية ونهض واقفاً. "على الأقل لم يضطروا أن يجروني إلى الداخل جرّاً."

"ماذا؟" عبس فيراكس. "تنعتني بالجبان؟ لقد تلقيت الوسم

برجولة.” ونفخ صدره وأسند يديه على وركيه. ”لقد وقفت هناك كمحارب.”

”نعم.” قال ماركوس بابتسامة خفيفة. برغم أن فيراكس كان أكبر منه، وقلبه كان يضرب بقوة في صدره، استعاد منظر الخوف الذي شاهده في عيني الصبي السلتي قبل أن يوسم، وهذا أمدَّ ماركوس ببعض الشجاعة ليواجهه. ”لقد سمعت عواءك الحربي. وكذلك فعل الجميع على ما أعتقد. مع ذلك، لقد كان الأمر مؤلماً.”

”على الأقل أنا لم أدخ، مثل بعض البنات.”

”كلا أنت لم تدخ مثل بنت، قال ماركوس مسلِّماً. لكنك صرخت مثل بنت.”

اتسع منخرا فيراكس. ”ستدفع ثمن هذا الكلام، أيها القزم الروماني.” شدّ قبضتيه ودخل إلى المربط.

وقف ماركوس وثبت قدميه على الأرض، وهو يرفع يديه استعداداً للقبض على عدوه، أو ليطبقهما استعداداً للكمه. وتلوت قسمات وجهه متشابكة.

توقف فيراكس ينظر إليه ثم ضحك. ”انظروا إليه.”

ضحك أزلامه معه ثم التفت فيراكس ليواجه ماركوس، وقد اختفى أي تعبير هزيل من وجهه. لم يعد ماركوس يرى في وجهه الآن سوى عزيمة وحشية على أن يلحق به أشد ألم ومهانة ممكنين. شعر بأحشائه تتجلد، لكنه بقي ثابتاً في مكانه، مستعداً لتحمل الضرب على أن يطلب الرحمة أبداً.

زمجر فيراكس: ”سأستمتع بهذا. وسوف أمزقك إرباً.”

أووووه. لا لن تفعل هذا أبداً. هدر صوت عميق في المربط. التفت ماركوس مذهولاً ورأى فيروس ينهض على قدميه. وقف المارد بين الصبيين وحملق إلى فيراكس. "إن آذيته فسوف أؤذيك، وبأسوأ مما تؤذيه. أنت وأولئك الآخرين." ورفع فيروس قبضته الهائلة وضربها على راحته الأخرى. "أترى كيف؟"

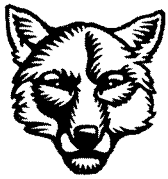
جفل فيراكس من الصوت. وحدق إلى فيراكس بمزيج من الرهبة والإحباط، ثم تراجع إلى مدخل المربط. وهناك التفت إلى ماركوس وقال:

"أنت آمن مؤقتاً فقط أيها الجرذ. لكنك ستخوض معاركك ذات يوم. وعندها سأكون بانتظارك. أتسمعني؟ تعالوا يا شباب." ولوح بيده لأزلامه وانطلق أمامهم إلى الطرف الآخر من مبنى الزنازين هذا.

استرخى ماركوس وهو يراقبهم يرحلون. وأومأ برأسه لفيروس: "شكراً."

هز فيروس كتفيه وحكّ ذقنه. "لا أحب القوّادين إنهم حثالة. أخبرني إن شاكسك ذلك الولد ثانية."

عاد فيروس إلى زاويته. برغم امتنان ماركوس لفيروس فقد عرف أن فيراكس على حق. هو يستطيع أن ينتظر فرصته. أما ماركوس فلن يستطيع الهروب منها، وسيأتي الوقت الذي سيضطر فيه لمواجهة السلتي بمفرده.



17

انقضت أيام الصيف الأخيرة في روتين تدريب قاسٍ وأعمال المطبخ. كان يوقظ ماركوس والآخرون مع خيوط الفجر الأولى، ويقادون إلى المطبخ ليساعدوا في إعداد وجبة الفطور. أوكلت إلى ماركوس مهمة إشعال النار تحت وجار الطبخ في أفران المطبخ الحديدية المسودة. كانت هناك مجمرة صغيرة تبقى مشتعلة دائماً في إحدى زوايا المطبخ، وما إن ينتهي ماركوس من حشو الموقد حتى يحمل من المجمرة بعض الجمر ويضعها في الموقد. ثم يملأ خديه بالهواء و ينفخ رويداً رويداً على الجمر، حتى تعلو منه ألسنة لهب صغيرة تنتقل إلى الحشوة. عليه أن يوقد ثلاث مواقد ويصونها باستمرار، كما يجب ألا يغفل عن أي منها. أما الحطب فعليه أن يحضره باستمرار من مخزن خارجي بجانب المطبخ، ويضعه بجوار الموقد جاهزاً للاستخدام عند الحاجة.

كان العبد المسؤول عن المطبخ مصارعاً سابقاً تلقى إصابة بليغة قبل خمس سنوات. فقد تلقى وتر ساقه اليسرى ضربة سيف قوية. وبرغم أن الجمهور أنقذ حياته، كانت تلك جولته الأخيرة في حلبة المصارعة. فقرر بورسينو نقله إلى المطبخ، حيث يستطيع الاستفادة من خدماته.

كان بريكسوس قوي البنية ويبدو في عمر والد ماركوس. إلا أن شعره كثيف أسود ولا أثر للشيب فيه. كان يتنقل في المطبخ بعرج واضح جعله يبدو يتدحرج دحرجة.

كان فيراكس وأتباعه يهزأون من بريكسوس من وراء ظهره، يومئ أحدهم للآخر بصمت ويقلدون مشيته بسرعة. وعندما ينظر حوله أو يلتفت فجأة، يعودون فوراً إلى واجباتهم، كالإشراف على وجبة الشعير في القِدرين الكبيرين التي كانت تبقبق وتهسهس بينما يحركها الأولاد وهي تزداد لزوجة بمحراكين خشبيين متينين.

بعد ساعة من استيقاظ ماركوس والآخرين لإعداد وجبة الفطور، دخل المتدربون الجدد إلى صالة الطعام في جوار المطبخ، يحملون زباديهم وملاعقهم الخشبية، وينتظرون في رتل حتى تملأ الزبادي من القدرين اللذين يتصاعد منهما البخار. ويجلسون على طاولات طويلة يتناولون طعامهم بصمت. فيما يمشي المدربون بينهم جيئة وذهاباً، جاهزين للضرب بعصي الكرمة إن تحدث أحد. وعندما ينهي الرجال طعامهم ويغادرون الصالة ليبدؤوا تدريبهم الصباحي كان يُسمح للصغار بتناول الطعام. ثم يقومون بجلي الزبادي والملاعق وينتظرون أماديوس حتى يقودهم إلى ميدان التدريب.

المكان الفسيح المفتوح وسط المدرسة كان مسوّراً بحاجز قضبان خشبية، بارتفاع عشرة أقدام مغروزة في الأرض. وكانت الأرض في الداخل مفروشة برمل أسود جيء به من شواطئ خليج نابولي. وهناك كان يبدأ تدريب دفعة العبيد الجديدة على الحياة الجديدة القاسية التي تنتظرهم. يصرخ المدربون بأوامرهم لكل مجموعة من المجموعات الأربع التي تتناوب على الركض حول السياج من الداخل، وهم يرفعون أثقالاً ويتجاوزون عوائق في دربهم، وكل هذا من أجل زيادة رشاقتهم وقدرتهم على الاحتمال.

يتابع أماتيوس مجموعته في حلبة التدريب وعصا الكرمة جاهزة لتضرب أي صبي يتلكأ وراء رفاقه، أو لا يبذل الجهد الكافي لرفع الأثقال، أو يتعثر بشكل أخرق. كان ماركوس حريصاً على الاحتفاظ باحترام المدرب أماتيوس الذي أُعجب بشجاعته عندما وسمه، الأمر الذي جعله يبذل أقصى جهده للحفاظ على احترام المدرب له. و لم يكن يبالي بتعب رئتيه من الجهد الذي يبذله، أو بتيبّس أطرافه. لم يكن بعض رفاقه يتحلّون بعزيمة مشابهة لعزيمته. وسرعان ما ظهرت على أجسامهم كدمات وآثار عصا كرمة المدرب. فيراكس وحده أظهر عزيمة مشابهة لعزيمة ماركوس. وبينما تحلى ماركوس بقدرة عالية على التحمّل، كان فيراكس يتحلى بالقوة. لقد كانا متشابهين نوعاً ما بالرشاقة.

برغم أن تنافسهم كان صامتاً في حلبة التدريب، كان أماتيوس خبيراً بما يكفي، لتسليط الضوء عليه فوراً ويحثهم عليه مازحاً.

"هيا، فيراكس! ذاك الولد بنصف حجمك! ما هي مشكلتك؟

ألا تستطيع مجاراته؟ ستستطيع يا صغيري، وإلا ستشعر بعصاي هذه على جسمك! حرك ساقيك أيها الخنزير السلتي الكسول!"

وعندما كان ماركوس يكشر وهو يجاهد لرفع أحد الأحمال الأثقل إلى ذقنه، كان أماتيوس يقترب ويقف بجانبه ويصيح في أذنه. "أتسمي هذا ثقلاً؟ لقد شاهدت يرقة ترفع صخوراً أثقل من هذه! كيف تفكر أنك ستكبر مثل فيراكس إن لم تبذل جهداً كافياً؟ هيا يا ماركوس، أظهر لذلك السلتي الدموي ما الذي يستطيعه الروماني!"

شعر ماركوس بحملقة الصبية الآخرين، وعرف أنه يجب أن يؤثر فيهم إن أراد ألا يكسبهم فيراكس إلى جانبه. وفي الوقت نفسه كان مدركاً للكره الذي يوجّهه السلتي إليه. لبعض الوقت لم يكن هناك ما يستطيع فيراكس فعله. فقد كانت أيامهم منظمة بدقة كبيرة بحيث لم يجد الوقت ليصب جام غضبه على ماركوس، وعندما كان الصبية يعودون إلى مرابطهم ليلاً، كان التعب أكبر من أن يسمح لهم بالقيام بأي شيء آخر سوى النوم. فقد كان ماركوس يتكوّر فوق القش، بينما بيلينوس وفيروس يتحدثان همساً بعض الوقت قبل أن يناما. كان الإسبرطي لا يزال غير مبال معظم لوقت، لكن من حين لآخر يدلي بتعليق على الحديث عندما يشعر بضرورة تصويب رأي ما.

بعد شهر من وصول ماركوس إلى المدرسة نال فيراكس فرصته. بعد وجبة عشاء، كان ماركوس آخر من غادر المطبخ واتجه إلى مبنى الزنازين. وعرّج كالعادة إلى المرحاض الذي يقع في زاوية جدار المدرسة. كان الفصل ينتقل إلى الخريف وهواء المساء يصبح باردا مع

اقتراب الليل. كان في زاوية المرحاض البعيدة مجمرة صغيرة وحيدة، ساعد وهجها الضئيل ماركوس على تلمس طريقه إلى الداخل حيث المقاعد الخشبية في صفين متقابلين. لم يكن في المرحاض سوى ماركوس، وصبي نوبي كان قد قضى حاجته ويستعد للخروج. أومأ لماركوس بالتحية التي اعتادا تبادلها منذ وصولهما، خصوصاً أن النوبي لا يجيد سوى بضع كلمات لاتينية، برغم أنه بدأ يفهم المزيد منها والفضل هنا لعصا كرمة أماتيوس.

رفع ماركوس تونيكه وجلس فوق كرسي المرحاض الخشبية، التي أصبحت ناعمة عبر سنوات الاستخدام. سُمع جريان الماء الخفيف في المصرف الرئيسي الذي يحمل الفضلات بعيداً، ويمر من تحت جدار المدرسة إلى ساقية صغيرة بجوار مدرسة المصارعة. كان ماركوس قد انتهى تقريباً من قضاء حاجته عندما سمع وقع خطوات تقترب عبر مدخل المرحاض.

"أنت. أيها النوبي إلى الخارج!" قال فيراكس ولكزه بإبهامه في كتفه. "أريد التحدث مع ابن قائد المئة."

أومأ النوبي برأسه، ثم نهض ومد يده إلى مسكة العصا الإسفنجية في أنبوب الخل الأقرب بين المقعدين. استخدمها بسرعة، ثم أنزل تونيكه وأسرع خارجاً من المرحاض، وهو ينظر بحذر إلى فيراكس عندما تجاوزه.

مشى فيراكس متثاقلاً على طول مدخل المرحاض وهو يفك حزامه. "الآن أيها الصبي، لقد آن الأوان لنرى كم أنت شجاع. هل أنت مستعد لذلك؟"

شعر ماركوس بأحشائه تتجلد وهو ينهض وينزل تونيكه. نظر حوله بسرعة لكن النوافذ كلها كانت مثل شقوق طوليه في أعلى الجدار، ولم يكن في المبنى سوى باب واحد. لقد علق. أمسك ماركوس بالعصا الإسفنجية ورفعها أمامه. حدق فيراكس فيه ثم قهقه. ما هذا؟ أتعتقد أنك ستوقفني بهذه العصا؟

قال ماركوس بنبرة جعلها صارمة أكثر ما يمكنه: "دعني وشأني. هذا إنذار أخير."

"أوووه. أنت تخيفني." وتظاهر فيراكس أنه يرتجف. "أنت حقاً تخيفني."

أدرك ماركوس أنه لا مفر من الواجهة. ولا مجال لإقناع فيراكس بالكلام. وعندما قرر قبول المواجهة، شعر بالهدوء في ذهنه وقلبه. سيقاتل وسيخسر المعركة على الأغلب. لكنه سيؤذي فيراكس بقدر ما يستطيع.

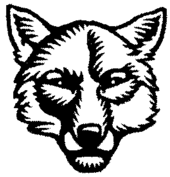
"إذاً، لست أنا الشيء الوحيد الذي يخيفك أجابه ماركوس. فقد رأيتك عندما كنت تنتظر دورك للوسم. رأيت كم كنت خائفاً. رأيتك ترتجف مثل الجبناء. ولهذا أنت تكرهني. أليس كذلك؟"

توقف فيراكس على بعد ستة أقدام من ماركوس وهو يفرقع بالحزام بين يديه. "وهل يهم لماذا أكرهك؟ الحقيقة هي أني أكرهك وأريد أذيتك، أيها الروماني." وبدأ يلف الحزام حول قبضته اليمنى، جاعلاً بِكلته في المقدمة. ثم سار بخطى قتالية نحو ماركوس، خافضاً جسده استعداداً للوثوب عليه. رفع ماركوس العصا الإسفنجية وقفز إلى الأمام قبل أن يستطيع خصمه بدء الهجوم. وبالعصا الصلبة

المنقوعة بالخل، ضرب خد فيراكس الذي صرخ صرخة قصيرة من المفاجأة والألم عندما ضربه ماركوس بالعصا على وجهه. وهو يثب رفع فيراكس يديه بشكل غريزي ونجح بالإمساك بمقدمة العصا وانتزعها من يد ماركوس. أفلت ماركوس العصا ورمى بنفسه إلى الأمام على خصمه، دافعاً بثقله كله على معدة فيراكس.

"أووخ!" جأر فيراكس وهو ينحني.

لكم ماركوس ثانية، وغير هذه المرة زاوية الهجوم وسدد قبضته إلى أنف فيراكس. لكن سرعان ما انقضت صدمة الصبي الكبير الذي زمجر الآن مثل حيوان، متجاهلاً اللكمات التي أمطره بها ماركوس. فدفعه جانباً بيده اليسرى وصفعه باليمنى على جنبه. كانت الضربة قوية ومؤلمة ومفاجئة، لكن ماركوس عرف أنه إن توقف عن الهجوم فإن فيراكس سيسحقه. لكمه فيراكس ثانية، ثم سدد لكمة إلى رأسه فأصابه على فكه. تسببت بكلة الحزام بجرح في وجه ماركوس الذي لم يعد يرى إلا ومضاً أبيض باهراً، وشرراً يدوم أمامه وهو يترنح إلى الوراء. لاحقه فيراكس ولكمه ثانية، بالقرب من أذنه. شعر ماركوس بقدميه تنحلاّن من تحته وسقط على ركبتيه، رافعاً يديه بشكل غريزي كي يحمي رأسه. ضربه فيراكس ثانية، فسقط ممدداً على الأرضية الصلبة وهو يلهث. ومن فوقه كانت قسمات السلتي الوحشية تسبح في ضوء المجمرة الضئيل، وهو ينحني فوق ماركوس ويوسعه ضرباً حتى غاب عن الوعي.



18

"لقد تأخرت." قال بريكسوس بصوته الأجش وهو يقترب من وراء ظهر ماركوس في صباح اليوم التالي. "سأجلدك إن لم تشعل نار المواقد في الوقت المناسب." نهض ماركوس متيبساً من حيث كان يعد الشعلة داخل الموقد. نظر إلى جزمة بريكسوس وهو يومئ. "أعتذر يا بريكسوس. لن أتأخر ثانية."

كان صوته متكلفاً ومخنوقاً، وعندما سار بريكسوس نحوه ورفع له ذقنه لينظر في وجهه مباشرة، حبس أنفاسه من هول الصدمة.

"يبدو أنك تعرضت لهجوم شرس. يا صغيري."

كانت عينه اليسرى متورمة حتى الانغلاق، ووجهه مليئاً بالكدمات والجروح، شفتاه متشققتان وقد تقشر فوقهما الدم المتيبس. ووضع إحدى يديه وقائياً فوق أضلاعه. نفخ بريكسوس

خديه وقاد ماركوس إلى كرسي في زاوية المطبخ. "اجلس هنا. سأجد لك شيئاً آخر تقوم به."

غمغم ماركوس: "أنا على ما يرام."

قال بريكسوس بابتسامة ساخرة: "كلا. لست على ما يرام. أنت في حال مزرية الآن. افعل ما قلته لك واجلس هنا." ودفعه برفق ليجلس على الكرسي، بعدئذ ذهب يبحث في المطبخ وفرقع بأصابعه وهو يشير إلى أحد الصبية الآخرين. "براكوس! أنت مسؤول عن إشعال المواقد هذا الصباح. لقّمها وأشعلها. وأنت إيسر، اذهب وابحث عن أماتيوس."

"أماتيوس؟ مدرب الرياضة؟" بدا الصبي خائفاً.

رفع بريكسوس حاجبه. "وهل تعرف أماتيوس آخر؟ كلا؟ إذاً اذهب وأحضره!"

استراح ماركوس على المقعد وارتجف عندما وخزه الألم. تنفس بهدوء حتى زال الألم. وعادت أفكاره إلى الليلة الماضية. كان آخر ما استطاع أن يتذكره من المواجهة مع فيراكس الضرب الذي ناله وهو يحاول أن يتكور على نفسه على الأرضية الصلبة. وما عدا ذلك، كان صفحة بيضاء حتى استفاق ليلاً ليجد بيلينوس يمسح له وجهه بخرقة رطبة، وفيروس من ورائه ينظر إليه قلقاً. كان وهج المشعل الشحيح يضيء المشهد بينما فيروس يدمدم، "إنها غلطتي. كان ينبغي أن أبقيه تحت ناظري."

هزّ بيلينوس رأسه. "هذا غير ممكن. لم يكن بوسعك منع هذا."

عندما تحرك ماركوس وأنَّ من الألم، انحنى بيلينوس إلى الأمام. "من الذي فعل بك هذا؟ قل لنا يا ماركوس."

هزّ ماركوس رأسه. "حسناً. لن يستطيع أن ينجو بفعلته هذه. سأتدبر أمره."

"كلا." قال ماركوس بصوت ضعيف أجش. "دعوه لي. سأنتقم منه بنفسي."

"أتعتقد ذلك؟" قال بيلينوس وجال ببصره على إصاباته. "في المرة القادمة سيقتلك."

"سأكون أفضل استعداداً له." دمدم ماركوس عبر شفتيه المتورمتين.

"إنه عل حق." قال صوت من ورائهم، فالتفتوا وشاهدوا الإسبرطي يقف على مقربة منهم. "يجب أن يقوم الصبي بمعاركه الخاصة، إن أراد أن يصبح رجلاً."

نظر بيلينوس حوله وقال: "إن معركة أخرى ستقتله، أيها الإسبرطي. لذلك، دع الفلسفة لنا نحن الأثينيين. إيه؟"

هز الإسبرطي كتفيه. "يعرف الصبي أن ما أقوله صحيح. فهذه معركته ولا تملكون حق انتزاعها منه." ووجه نظرته السوداء الخارقة إلى ماركوس. "اعرف ما الذي يدور في ذهنك. دماء المحارب تجري في عروقك. يجب ألا تجلل نفسك بالعار بتجنب هذه المعركة."

أومأ ماركوس وقال وهو يغمض عينيه: "لن أتجنبها. سوف أهزمه."

أطلق بيلينوس تنهيدة خيبة. "ستكون فيها جنازتك، يا ماركوس. وشكراً لك أيها الإسبرطي. أنت متعاون دائماً."

عندما حل الفجر، استغرق ماركوس وقتاً كي يستطيع الوقوف على قدميه. وعلى الطريق من بناء الزنازين ذاك إلى المطبخ كانت كل حركة من حركاته صراعاً مريراً مع الألم. نظر من فوق الطاولات إلى حيث كان فيراكس وأزلامه يمزحون، وهم يملؤون القدور بالشعير المطحون والزيت والملح والدهن الحيواني. شعر برغبة في الانتقام. لتكن النتيجة ما تكون، سيواجه فيراكس ثانية. لكن في المرة التالية سيكون أكثر استعداداً، سيكون أقوى وقد تعلم كيف يقاتل جيداً. عندما يستعد جيداً سيلقّن السلتي درساً لن ينساه أبداً. في هذه اللحظة نظر فيراكس إلى ماركوس والتقت نظراتهما. حدق الصبيّان أحدهما في الآخر، ثم غمز فيراكس بطرف عينه وزمّ شفتيه بتعبير سخرية وشفقة.

شعر ماركوس بموجة غضب وكره رهيبة تجتاح كيانه. إن رغبته بالانتقام تفوق حتى مشاعر الكره التي يكنّها لديسيموس، المسؤول الأول عما يعانيه الآن.

دخل أماتيوس المطبخ وتلفت حوله حتى رأى بريكسوس، فاتجه إليه مباشرة. "لقد طلبتني؟"

"نعم. الصبي هنا." أومأ بريكسوس صوب ماركوس. "لقد ضُربَ ضربا مبرحاً. ولا أعتقد أنه قادر على التدرّب اليوم، وفكرت أنه من الأفضل إعلامك بالأمر."

"ضرب؟" تقدم أماتيوس من ماركوس وتفحص إصاباته عن قرب. "من الذي فعل هذا بك، يا ولد؟"

"لا أحد." قال ماركوس بهدوء، مبادلاً نظرات أماتيوس بنظرة تحدٍ. ومن طرف عينه كان مدركاً أن فيراكس يراقبهما باهتمام. تنحنح ليجلو صوته وتكلم بأوضح ما استطاع، كي يسمعه كل من في المطبخ. "لقد انزلقت في المرحاض."

"هكذا إذاً؟" وغلبته ابتسامة خفيفة. "كم مرة انزلقت إذاً؟ لم أعلم أن الانزلاق خطر إلى هذه الدرجة. انظر يا ولد. لا فائدة من محاولة خداعي، لقد سمعت أعذاراً كهذه من قبل. لا بد أن شخصاً ما قد هاجمك. وهذا مخالف للقوانين ولسوف ينال عقابه. لا يسمح سيدي بورسينو باعتداء الآخرين على ممتلكاته. لذلك أخبرني من فعل بك هذا؟"

"قلت لك كنت في المرحاض وانزلقت. يا سيد. هذه هي كل الحكاية."

"وهذه كذبة يا ولد." قال أماتيوس مقطباً، ونخس صدر ماركوس بسبابته. "لا أحب أن يكذب أحد علي. فقل لي، وإلا عاقبتك أنت."

فرد ماركوس بنبرة قاطعة. "لقد انزلقت يا سيد."

"تحمّل النتيجة وحدك إذاً." والتفت أماتيوس إلى الطباخ قائلاً: "لا نريد أن نتسبب له بمضاعفات أخرى. إنه مُعفى من التدريب لمدة يومين."

"كلا. يا سيد. لا أزال قادراً على القيام بمهماتي." قال ماركوس

وهو يجاهد ليقف على قدميه. لكن أماتيوس منعه من النزول عن الكرسي وهو يتابع كلامه إلى بريكسوس. "خذه كمساعد لك طوال الوقت، مؤقتاً. استفد منه كما ينبغي."

أومأ بريكسوس موافقاً. "هناك الكثير من الأعمال التي يمكنه القيام بها هنا. سأبعده عن المتاعب."

"من الأفضل أن تفعل ذلك." وخفض أماتيوس صوته. "لا أستطيع السماح بهذا النوع من الأمور ثانية. في المرة القادمة ستكون النتائج وخيمة على من يتورط في أمر كهذا." والتفت إلى ماركوس قائلاً: "أما بالنسبة لك، وبما أنك تجد صعوبة في عدم التوازن على قدميك في المرحاض. فهذا يعني أن أرضية المرحاض تحتاج إلى تنظيف مستمر. وهذه هي مهمتك من الآن فصاعداً. فأنت معفى من أعمال المطبخ المسائية. وبدلا منها ستقوم بتنظيف وشطف أرضية المرحاض كل ليلة. ربما ستعلمك هذه المهمة ألا تكذب علي ثانية."

خرج أماتيوس من المطبخ، واتجه إلى مقر المدربين لينهي وجبته الصباحية. عندما غاب أماتيوس كلياً عن المشهد، طاف بريكسوس بنظره في المطبخ وأخذ نفساً عميقاً وقال: "ما بكم واقفون هكذا تحملقون كالمجانين؟ عودوا إلى أعمالكم!"

عاد الصبية إلى أعمالهم، كلهم مطأطؤو الرؤوس وهم يتفادون حملقته. لقد حملق بريكسوس فيهم لحظة ليتأكد أنهم مستغرقون في أعمالهم، قبل أن يلتفت إلى ماركوس. "هل لمّعت النحاس من قبل؟"

تذكر ماركوس الميداليات النحاسية على طقم حصان والده. حاز كل واحدة منها لعمل بطولي قام به. كان قائد المئة العجوز أثناء فصل الشتاء، يخرج العدة ويري ماركوس كيف يحافظ على نظافتها ولمعانها باستخدام مزيج من مسحوق مادة كاشطة وزيت الزيتون، يفركها بخرقة قديمة قبل أن يمسحها ويصقلها حتى تستعيد بريقها. رفع بصره إلى بريكسوس وقال: "أعرف كيف ألمع النحاس."

"عظيم. لأن سيدنا يريد طاولته النحاسية أن تستعيد بريقها لإقامة مأدبة طعام في غضون خمسة أيام. تستطيع أن تساعدني في هذا العمل."

"نعم يا سيد. شكراً جزيلاً."

بعد أن تناول الرجال فطورهم، وقام الصبية بتنظيف المطبخ وذهبوا للانضمام إليهم في ساحة التدريب. أومأ بريكسوس إلى ماركوس أن يتبعه. عبرا فناء المجمّع نحو البوابة الرئيسية، حيث اعترضهما أحد الحراس رافعا يده.

"قفا! ما الذي جئتما تفعلانه هنا؟"

عرج بريكسوس ليتوقف، ثم بحث داخل تونيكه وأخرج سجلاً شمعياً، فتحه وأشار إلى التعليمات المحفورة في الشمع، وإلى جانبها ختم خاتم بورسينو. "تفضل."

نظر الحارس إلى السجل وسأل: "وماذا عن الصبي؟"

"إنه مساعدي."

نظر الحارس إلى ماركوس ثم تنحى جانباً، وهو يومئ لبقية الحرس عند البوابة الرئيسية. "افتحوا البوابة."

أزيحت العارضة القفل ثم فُتح الباب السميك فقط بما يكفي لمرور بريكسوس وماركوس. وأغلق وراءهما بصفقة عميقة والحارس يشير إليهما باتجاه فيلا بورسينو.

"تعال." قال بريكسوس وهو يعرج صاعداً المرتفع قبل أن ينعطف إلى الدرب المؤدية إلى الفيلا. بعد معاناته في مدرسة المصارعة، لاحظ ماركوس أن المالك يعيش في رفاه حقيقي. فالدرب المؤدية إلى الفيلا تحف بها عن الجانبين، شجيرات مقلّمة بشكل بديع. وعلى مسافات متناسقة توجد أعمدة قصيرة، على كل منها تمثال نصفي لرجل. فكر ماركوس لنفسه أنه يعرف بعض هذه الوجوه من التماثيل التي شاهدها في ندري، وفي المدن والمرافئ التي مرّ بها خلال طريقه إلى كابوا.

فسأل بريكسوس بهدوء: "من يفترض أن يكون هؤلاء؟"

"هؤلاء؟" أجاب بريكسوس وهو يومئ إلى التماثيل، إنهم النخبة الرومانية. "إنهم القناصل، أعضاء مجلس الشيوخ، كبار الكهنة وما شابه. يحب سيدنا أن يترك انطباعاً جيداً لدى ضيوفه، وفي الوقت نفسه هو حريص جداً على ألا يُحسب على أي طرف. أترى هناك؟ ذلك هو ماريوس ومقابله مباشرة سوللا. كانا خصمين لدودين في الحياة ولا يزال إرثهما يقسم الشعب الروماني. لكن بورسينو حريص على أن يسعد كلا الطرفين، خصوصاً عندما يأتي أنصارهما لزيارة مدرسته."

"وهل يأتون إلى هنا كثيراً؟"

"غالباً. فهناك دائماً بعض السياسيين الذين يريدون شراء بعض المصارعين أو أن ينظموا عرض مصارعة للتأثير في الجماهير."

"وماذا عن الجنرال بومبيوس؟" سأل ماركوس محاولاً ألا يظهر حماسته. "هل يأتي لزيارة سيدنا؟"

"كلا. من غير المحتمل أن يأتي." قال بريكسوس بسخط. "إنه أرفع مستوى من أن يأتي لزيارتنا شخصياً. لكننا استضفنا أحد خدمه هنا من فترة ليست بعيدة. فقد اشترى أربعة أزواج من المصارعين من أجل التسلية الخاصة في قصر بومبيوس خارج روما."

ابتسم ماركوس لنفسه من هذا الاحتمال، الذي قد يحدث له ذات يوم مهما بدا ضئيلاً. ربما كان بيلينوس على حق. يجب أن ينصب تركيزه على أن يبقى حياً، تحسباً لفرصة كهذه يقف فيها أمام الجنرال بومبيوس.

فيلا بورسينو مثل بقية الفيلات. أمامها فناء كبير يعلو مدخله قوس محكم النقش والتزيين. بعد الفناء يأتي البيت الرئيسي الذي تحيط به حديقة رائعة تلقى عناية دائمة، وتتوسطها بركة يتدفق الماء بلطف من نافورة في منتصفها. في إحدى زوايا الفناء باب صغير يفضي إلى مقر إقامة العبيد، حيث المشهد الكالح شبيه بمدرسة المصارعين. غرف كئيبة بجدران عارية، ونوافذ عالية مقضّبة بالحديد. تابع بريكسوس عبر مدخل قصير إلى غرفة المخزن.

كانت الرفوف مليئة بأطباق نحاسية وفضية كبيرة، وزباد وأقداح. وعلى رفوف أخرى مجموعة رائعة من الأباريق والزبادي الزجاجية

السامبانية[1]. جرّ بريكسوس كرسيين ثم عاد بصندوق صغير مليء بخرق قديمة، بالإضافة إلى قدور مليئة بمسحوق كاشط ومرطبان زيت زيتون. دمدم وهو يحضر مجموعة من الأطباق النحاسية الكبيرة ويضعها على الأرضة بين الكرسيين. ناول ماركوس طبقاً وأخذ هو آخر وشرعا يعملان.

قال بريكسوس وهو يمزج بعض المسحوق والزيت في صحن صغير: "ما هي حكايتك، يا ماركوس الصغير؟ ما الذي جرى لينتهي بك الأمر إلى مدرسة المصارعة في هذه السن الصغيرة؟ ما الحكاية؟"

قال ماركوس: "عمري أحد عشر عاماً." وصدمه أنه قد نسي عيد ميلاده الذي انقضى قبل شهر.

"كل هذه السنوات؟" قال بريكسوس ممازحاً بابتسامة خفيفة ساخرة. "على عتبة الرجولة إذاً؟"

لقد ترعرع ماركوس بين الكبار واعتاد ممازحاتهم الساخرة ولذلك لم يُستفز. "لقد خطفت بشكل غير شرعي وسبيت أمي، وقتل أبي، قائد المئة المتقاعد."

"آه، نعم. لقد سمعت بادعائك هذا. أنك ابن قائد مئة. إيه؟"

"إنها حقيقة لا ادعاء."

هز بريكسوس كتفيه. "إذا صح ما قلته. فماذا كانت أمك؟ أميرة شرقية غريبة؟"

---

1 نسبة إلى جزيرة ساموس اليونانية التي اشتهرت بصناعة الزجاج.

"كلا." قال ماركوس. "لقد قابلها والدي خلال ثورة العبيد وتزوجها بعد ذلك."

توقف بريكسوس ونظر إلى ماركوس، وإصبعه الملفوفة بخرقة جاهزة للانقضاض على الطبق النحاسي في يده الأخرى. "إذاً لقد شارك والدك في الحملة ضد سبارتاكوس؟"

أومأ ماركوس موافقاً. "لقد كان في المعركة الأخيرة، حيث جرى سحق جيش العبيد وقُتل سبارتاكوس. كانت أمي إحدى السبايا اللاتي أخذن عندما اجتاح الفيلق معسكر العبيد."

"فهمت." قال بريكسوس وخفض بصره وتابع فرك الطبق بالمسحوق والزيت. "يجب أن أقول لك يا ماركوس، إنني كنت هناك أيضاَ، في نهاية ثورة العبيد العظيمة. لقد خضت تلك المعركة."

"أنت؟" كان دور ماركوس الآن ليتوقف. "ربما تعرف والدي. في أي فيلق كنت؟"

"أنا لم أخدم مع الفيالق. لقد كنت في خدمة سبارتاكوس."

نظر ماركوس إليه باندهاش. قابل بريكسوس تحديقة ماركوس بأخرى باردة، ووجهٍ خالٍ من أي تعبير، وتساءل ماركوس في سره إن كان بريكسوس يصدقه القول. ربما كانت هذه نكتة عملية أخرى من النكات، التي يبدو أن رجال مدرسة المصارعة مولعون بها.

"ظننت أن معظم العبيد الذين أسرهم الجنرال بومبيوس، قد أُعدموا."

"هذا ما حصل. لكن في اليوم السابق على المعركة الأخيرة

أُصبت عندما تعثر حصاني وسقط عن منحدر وتدحرج فوقي. لقد أُجبرت على مشاهدة المعركة الأخيرة من عربة في معسكر العبيد. ولولا ذلك، كنت سألقى مصير كل الرجال الذين أسروا على أرض المعركة. وجرى بيعي إلى بورسينو بعد ذلك مباشرة."

"فهمت." قال ماركوس وغطس إصبعه في المزيج وبدأ يلمع الطبق. "هل قابلت سبارتاكوس يوماً؟"

"أوه، طبعاً. كان معظم الجنود يعرفونه. كان يتمشى كل ليلة في المعسكر ليتحدث إلى أتباعه." صمت بريكسوس ونظر إلى ماركوس باحتراس ثم تابع. "كنت أراه من حين لآخر. وتحدثت إليه أيضاً."

"كيف هو شكله؟" سأل ماركوس متحمساً.

"كان رجلاً مثلي. لم يكن له قرنان في رأسه. ولا تقدح عيناه شرراً ولا يأكل سجناءه، كما قيل لك بلا شك."

"لكن لا شك في أنه كان محارباً عظيماً. قال لي والدي إن العبيد كانوا يحاربون كالشياطين. لا بد أن سبارتاكوس كان مثل فيروس."

هز بريكسوس رأسه. "لم يكن سبارتاكوس ضخم الجسم. كان مثلي طولاً وبنية. له شعر أسود أجعد وعينان بنيتان ثاقبتا النظر، مثلك. عندما اندلعت الثورة لم يكن قد قتل رجلاً. حتى إنه لم يقاتل في حلبة. لكنه قائد بالفطرة. ففي غضون أيام نظم صفوفنا في قوى قتالية هائلة. وخلال أشهر جمع عشرات الآلاف من الأتباع، وسطا على أسلحة كافية لتسليحنا جميعاً. وتكفّل المصارعون الآخرون

بتدريب العبيد، وأبلينا بلاءً حسناً، كما يمكن أن تشهد أرواح الكثير من الجنود الرومان الذين قضوا في ساحة المعركة." جمع بريكسوس المزيد من مزيج التلميع، وبدأ العمل على جانب آخر من الطبق. "وكلما خضنا معركة، كان سبارتاكوس في المقدمة ومن حوله حراسه الشخصيون."

ابتسم بريكسوس بحنان، عندما استعاد ذكرى تلك الأيام. توقف ماركوس عن التلميع وحدّق فيه، وقد فغر فمه قليلاً.

"هل كنت من بين حراسه الشخصيين؟"

عبس بريكسوس، "لم أقل ذلك. كل ما قلته أني عرفته، كما عرفه الكثيرون من أتباعه. هذا كل شيء. والآن كف عن أسئلتك عن سبارتاكوس، وإلا تسببت لنا بالمتاعب."

"المتاعب؟"

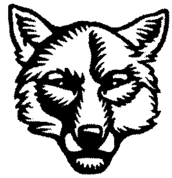
خفض بريكسوس طبقه وانحنى مقتربا من ماركوس. "إن كان أبوك هو كما تقول، فلا بد أنه أخبرك كم كان الرومانيون مرعوبين من سبارتاكوس ولا يزالون. يعرفون أن روحه تعيش في قلب كل عبد في إيطاليا. إن سيدنا يريدنا أن ننسى. لذلك يمكنك أن تتخيل كم يمكن أن يغضب منا إن هو سمع بكلامنا هذا."

"لكننا وحيدان هنا، قال ماركوس محتجاً. لا أحد يمكن أن يسمعنا."

رد بريكسوس: "للجدران آذان. لقد أخبرتك ما يكفي. الآن عُد إلى عملك، وكفَّ عن الكلام."

تنهد ماركوس بمرارة من عجزه عن استنطاق بريكسوس بالمزيد

من المعلومات عن سبارتاكوس. رفع طبقه وبدأ يفرك النحاس بقوة. برغم ذلك لم يستطع التوقف عن التساؤل حول بريكسوس. هناك معلومات أكثر مما يستطيع أن يتخيل ماركوس. أكثر بكثير. برغم إنكاره من الواضح أنه يعرف سبارتاكوس جيداً. يعرفه بما يكفي ليجعل حياته في خطر إن افتُضِحَت الحقيقة. نظر ماركوس من تحت حاجبيه بحذر إلى الرجل. لِيكن ما يكون. لقد قرر أن يكتشف المزيد عن سبارتاكوس.



19

ما إن تعافى ماركوس من الأذى الذي ألحقه به فيراكس، حتى عاد إلى التدريب مع البقية في المجموعة. اجتاح الشتاء ريف كامبانيا جالباً معه الريح والعواصف المطرية الباردة. أوراق الأشجار البنية اليابسة خارج مدرسة المصارعة تدوّمها الرياح فوق الجدران وتجمعها على جانبي البناء و في زوايا المدرسة. لكن تحوّل الفصول لم يغيّر شيئاً في الروتين اليومي. بعد الفطور يخرج ماركوس والصبية الآخرون إلى مضمار التدريب، حيث أماتيوس بانتظارهم ويبدأ العمل فوراً.

تتكرر مجموعة التدريبات اليومية باستمرار. يستنزف الصبية في التدريب، ثم يقومون بواجباتهم اليومية، وفي نهاية اليوم يتهالكون فوق فرشات القش في مرابطهم ويغرقون في النوم فوراً. كان ماركوس آخر النائمين دوماً، فبعد ما أسندت إليه مهمة تنظيف المراحيض، يقوم بتنظيف مقاعد المراحيض الخشبية، يفرغ أحواض

الخل ويملؤها من جديد، ثم يسكب المزيد من الماء في فتحة التصريف حتى ينظف المجارير تحت المقاعد الخشبية. عند ذلك فقط، يمكنه أن ينام. انقضت أسابيع قبل أن يستيقظ ذات صباح وقد تخلصت عضلات جسده من تيبسها. ومع توغل فصل الشتاء بدأ يشعر أنه يزداد قوة. وأصبح قادراً على رفع المزيد من الأثقال. كما بدأت قدرته على الاحتمال تزداد و لم يعد يشعر بالتعب في نهاية يوم العمل الشاق، وصار يستيقظ كل صباح نشيطاً ومستعداً لبدء التدريب.

في الشهر الأخير من السنة، قررأماتيوس أنهم أصبحوا جاهزين للتدريب على الأسلحة. وعندما دخل الصبية مضمار التدريب، وجدوا عربة صغيرة مليئة بسيوف خشبية وتروس مجدولة من أغصان لدنة. شعر ماركوس بنبضه يتسارع من هذا المنظر. أخيراً سيتعلمون كيف يقاتلون! برغم أنه عرف أن هذه مجرد خطوة أخرى على الطريق إلى المصارعة الأخيرة القاتلة في الميدان. كان متلهفاً لتعلم المهارات التي كانت لدى والده. لقد أدرك أن فرصة الهرب ضئيلة جداً مع كل ذلك العدد من الحراس في الأبراج الذين يراقبون العبيد عن كثب. ذات يوم وقد يكون قريباً، سيكسب حريته. وسيغدو أكثر قدرة على إيجاد والدته، يحررها ويعتني بها.

صاح أماتيوس الواقف بقرب العربة: "حسناً. هيا اقتسموها! ليأخذ كل واحد سيفاً وترساً واصطفوا في رتل أمام أعمدة التدريب!"

انضم ماركوس إلى رفاقه وهم يتدافعون حول العربة منتظرين دورهم لاستلام السلاح. شعر ماركوس بوخزة حادة في جنبه عندما

انحنى فيراكس باتجاهه، وقال: "سيوف خشبية في الوقت الحاضر. لكن لنرى أي أذى يمكن أن تسببه. إيه؟"

رفع ماركوس بصره إلى السلتي وقال: "خشبية أم فولاذية، في كلتا الحالتين سأقطعك إرباً."

"أوه. أوه." قهقه فيراكس. "إنني في غاية الشوق."

"اصمت هناك." صاح أماتيوس. "كلمة أخرى يا فيراكس، وستعاقب بأعمال المرحاض."

أحنى فيراكس رأسه ودفع بجسده أمام ماركوس والآخرين واستلم سلاحه التدريبي من أماتيوس. وعندما حان دور ماركوس تفاجأ بوزن الترس والسيف. قام بحركات تدريبية عدة غير محكمة في الهواء وهو في طريقه إلى أحد أعمدة التدريب. عمود خشبي ثخين، بطول إنسان بالغ مجرّح ومثلّم من الضربات، التي تلقاها خلال سنوات تدريب تلامذة مدرسة المصارعة. عندما انتظم الأولاد جميعاً في أماكنهم، اقترب أماتيوس من عمود في منتصف الصف، والتفت ليواجههم.

"لقد أمضيت الأشهر الأخيرة أدربكم حتى أصبحتم لائقين جسدياً لما ينتظركم من تدريب. والآن يبدأ العمل الحقيقي. ستكملون تدريباتكم." وحمل عدته. "وستتدربون أيضاً على تقنيات القتال الرئيسية. اليوم سنتعلم الخطوات الأساسية: الطعن، التراجع والصد. راقبوني بدقة."

رفع أماتيوس الترس وقدم ساقه اليسرى إلى الأمام. "أترون؟ هكذا توزعون ثقل جسدكم بشكل متوازن وتكونون جاهزين

لدفع ثقلكم إلى الأمام والوراء بحسب الضرورة ومن دون أن تفقدوا توازنكم. تقدموا دوماً بساقكم اليسرى وأتبعوها باليمنى. على عكس آلية السير الطبيعية." نظر حوله إلى الصبية. "هل استوعبتم الآلية؟ لا أريد أن أرى أياً منكم يقاطع ساقيه. إن فعلتم ذلك في المعركة الحقيقية، سيستطيع خصمكم أن يفقدكم توازنكم ويسقطكم أرضاً بضربة واحدة. تعلموا أن تتحركوا بالشكل الصحيح الآن وستغدو هذه الحركة طبيعة ثانية لديكم. حسناً، اتخذ هذا الوضع وعندما أتقدم تتراجع أنت، محافظاً على المسافة نفسها بيننا. وعندما أتراجع تهاجمني. هل الأمر واضح؟ إذاً، أروني كيف تقفون."

تقدم ماركوس بساقه اليسرى، رفع ترسه عالياً ونظر عن جانبيه ليتأكد أنه كان يقف بالشكل الصحيح. تقدم أماتيوس من الرتل وهو يومئ برأسه مستحسناً الأداء ونبح منتقداً، وهو يتفقد تلامذته الواحد تلو الآخر. وقف أمام ماركوس.

"ما الذي تفعله بهذا السيف؟ هذا سيف وليس عصاً خشبية لعينة! ارفعه عالياً ليكون متوازياً مع الأرض. ورأسه أمام الترس مباشرة! يجب أن تكون مستعداً لتطعن أو تصد في أي لحظة."

"نعم يا سيد." قال ماركوس وفعل ما أُمر به.

"هذا أفضل." قال أماتيوس وانتقل إلى غيره.

عندما اقتنع أماتيوس أن الجميع قد أصبحوا جاهزين، بدأ تدريبهم على الحركة، وهو يزيد من سرعتها بانتظام ويختبر ردة فعلهم بهجوم وتراجع سريعين من حين إلى آخر. كان يوبخ البطيئين بينهم ويعاقبهم بالجري حول حلبة التدريب، قبل أن يعودوا وينضموا إلى رفاقهم.

بعد انقضاء ساعات، بدأ وزن العدة يفعل فعله وشعر ماركوس بنار تأكل عضلاته بسبب الإجهاد. لكنه كزّ على أسنانه وتابع مراقباً أماتيوس بدقة، ومقلداً حركاته بأسرع ما يستطيع.

أخيراً شد أماتيوس قامته وخفض ترسه. ونظر إلى تلامذته باستهزاء. "هذا عرض مثير للشفقة. لم أر في حياتي كلها مثل هذه المجموعة من الخاسرين. لذلك سنعيد التمرين من جديد، حتى تفهمه عقولكم السميكة يا صبية المزارِع. استعداد! لنبدأ من جديد!"

واستمر التدريب على الحركة طوال النهار، والصباح التالي. زاد أماتيوس من سرعة حركاتهم، وهو يصرخ: "ها!" مدوّية في كل مرّة يدفع فيها يده اليمين إلى الأمام. استجاب الصبية ورفعوا تروسهم وسيوفهم عالياً، مستعدين لصد هجومات مباشرة، وضربات من فوق الرأس وشرطات سيف عن الجنب. عندما كان أماتيوس يتراجع ويخفض سيفه، كانوا يطعنون عدواً متخيلاً ويطلقون صيحاتهم الحادة. "ها!"

"ما هذا؟" رد أماتيوس بغضب على محاولتهم الأولى. "أنتم تحاولون إضحاكي؟ فعندما تطعنون، يجب أن تزأروا في وجهي كالأسود. إن ربح المعركة يحتاج أكثر من إجادة الطعن. يجب أن تخيفوا خصومكم. يجب أن تجعلوهم يعتقدونكم مصارعين برابرة متوحشين دماؤهم تغلي! اجعلوهم يخافونكم. بذلك تربحون نصف المعركة. لنحاول ثانية."

قرفص أماتيوس. تأنى ثم عاد إلى الوراء خطوتين صوّب بسيفه إلى الرمل مشيرا لتلامذته أن يهاجموا. طعن ماركوس بسيفه بكل

ما أوتي من قوة، وأطلق في الوقت نفسه صيحة من أعماق رئتيه علت فوق ضجيج بقية التلاميذ.

زمّ أماتيوس شفتيه وأومأ برأسه. أفضل. "لكنك لم تنجح في إخافتي بعد. اعمل على إخافتي."

استمر التدريب على هذا المنوال طوال الأيام التالية. ثم انتقل أماتيوس إلى ضربات السيف الأساسية. قضوا ساعات يطعنون ويقطعون في أعمدة التدريب. وامتلأ الهواء بصخب طقطقة الخشب الحادة على الخشب وصيحات الصبية مع كل طعنة.

استمر ماركوس بمراقبة فيراكس عن كثب خشية قيامه بأي شيء ضده أثناء انشغال أماتيوس بمراقبة الآخرين. من ناحيته بقي السلتي ينظر إلى ماركوس باحتقار، وأشاع أنه هو من ضرب ماركوس. فأصبح الأولاد يخافونه ويتجنبون لفت انتباهه. فاعتزل الجميع رفقة ماركوس، أو حتى مجرد التحدث إليه. حاول ماركوس ألا يكترث لهذه المقاطعة خصوصاً مع وجود الأثينيين إلى جانبه بالإضافة إلى بريكسوس، الذي كان يعامله جيداً ويحتفظ له ببعض فتات الطعام في نهاية معظم الأيام. لكن ماركوس شعر من جهة أخرى بالإحباط يكبر في قلبه تدريجياً. لم يكن يقترب من العثور على الجنرال بومبيوس واستعادة حريته وحرية أمه. كما لن يكون قادراً على الانتقام من ديسيموس فيما هو محبوس هنا في مدرسة المصارعة.

لم يوفر فيراكس أي فرصة انشغل فيها أماتيوس بالتلاميذ الآخرين، إلا ومارس مضايقاته الحقيرة على ماركوس، الأمر الذي

زاد من بؤسه وخشيته من أن يحشر هذا السلتي نفسه، بالقرب منه أثناء الجري حول حلبة التمرين ويعثره عمداً، أو يدفعه وهو يحاول رفع الأثقال فتقع منه أرضاً، وينتبه أماتيوس فيقوم بتوبيخه أمام الجميع وربما يضربه أيضا بعصاه. احتمل ماركوس الأمر بتصميم لا يلين على انتظار فرصته. وبانتظارذلك سيبني قوته حتى يصبح جاهزاً لتلك الفرصة وينتقم من معذبه.

اقتربت السنة من نهايتها من دون أن تلوح لماركوس أي فرصة للهرب، مع احتجاز العبيد داخل جدران المدرسة. وبدأت مدرسة المصارعة تعد الترتيبات لمهرجان ساتورناليا السنوي. فظهرت ذات صباح في فناء المدرسة عربات محملة بالخبز الفاخر، قطع اللحم المدخن وسلال المعجنات. أفرغها ماركوس والآخرون، بإشراف أماتيوس وبعض حراس المدرسة، لمنعهم من سرقة أي شيء أثناء عملية التفريغ. وبعد أن نقلت مؤونة الوليمة إلى أحد المخازن، قفله أماتيوس وأخذ المفتاح إلى توروس.

في أثناء انتظارهم عودة أماتيوس، اقترب فيراكس من باب المخزن وتنشق الهواء. "أتشمون تلك الرائحة يا أولاد؟ أتشمون رائحة تلك الأطعمة الشهية؟ سنلتهمها في غضون خمسة أيام."

ضحك أحد الحراس. "إن لم يكن سيدنا راضياً عن تقدمكم، لن تنالوا إلا الفتات الذي يتبقى عن الرجال، يا ولدي. تلك ستكون وليمتكم."

قال فيراكس مقطباً: "هذا ليس عدلاً. لنا حق فيها كغيرنا."

"أنت في أسفل هرم ملتقطي الفتات." قال الحارس ذلك

وصفعه على أذنه. "ولا تنس أن تخاطبني بكلمة سيد، عندما تتحدث إلي."

"نعم يا سيد." قال فيراكس وأحنى رأسه. وعندما رأى ماركوس كشّر وقال: "لكنك أنت مخطئ في شيء واحد، يا سيد. أنا لست في أسفل هرم ملتقطي الفتات، بل هو ذلك الشخص هناك." وزمّ شفتيه ساخراً: "إنه ابن قائد المئة."

بقي ماركوس ساكناً، وكبت مشاعر الكره والغضب بينما فيراكس يتابع كلامه بصوت منخفض، موجهاً كلامه إلى بقية الصبية: "عندما تحين الاحتفالات أنا من ينتقي أولاً ما أريده عن الطاولة. ومن بعدي أصدقائي، ثم تقتسمون فيما بينكم وفي النهاية يأتي دوره." وأشار بإصبعه إلى ماركوس. "وإذا حاول أحدكم أن يتجاوز دوره في الطابور، سيضطرني للرد عليه. وكلكم تعرفون ما الذي يحدث لمن يحاول أن يتحداني."

لم يتجرأ أحد من الصبية أن ينظر في عيني فيراكس. بل إن البعض منهم استرق نظرات غاضبة إلى ماركوس، عندما تذكروا قَدره.

"لست خائفاً منك." قال ماركوس بحزم، برغم أن أحشاءه انقبضت من القلق.

"كلا؟ حسناً ينبغي أن تخاف." قال فيراكس محملقاً فيه ثم هزّ رأسه ببطء. "ليس لأنك ستكون موجوداً كي تخافني لفترة أطول."

عبس ماركوس وقال: "ماذا تقصد؟"

قبل أن يستطيع فيراكس أن يرد. هدر صوت في الهواء.

”ما هذه الفوضى؟“ صاح بهم أماتيوس وهو يحث الخطى عائداً إليهم. ”متجمعون هكذا كعمال مزرعة.“ وهز عصاه في الهواء. ”انتظموا في الرتل! وإلا ستشعرون بهذه العصا على ظهوركم!“

في الحال انتظم الصبية في الرتل. وقادهم أماتيوس إلى حلبة التدريب، حيث دربهم بقسوة في فترة الصباح وبعد الظهر. وعندما صُرفوا واتجهوا نحو المطبخ، تحدثوا بحماسة عن المهرجان القادم. لقد عرف ماركوس هذا المهرجان منذ أيام مزرعتهم. فعند اقتراب نهاية العام، كانوا يزيِّنون المنزل بأكاليل صنعت من أغصان أشجار الصنوبر. وكانت أمه تقضي وقتاً طويلاً في المطبخ تعد أطباقاً خاصة. وفي يوم المهرجان، كان والده باعتباره رب المنزل، يعمل كمضيف لأسرته والعبيد أيضاً، مقدما لهم الأطباق على الطاولة التي تحلقوا حولها لتناول الطعام. بعد ذلك، يأخذ أريستيد نايه ويعزف عليه بعض الوقت، قبل أن يقوم شخص آخر بسرد حكاية أو تمثيلها. ثم ومع هبوط الليل، يطلب ماركوس من أبيه أن يحكي لهم حكاية عن السنوات التي قضاها في الجيش، عن المشاهد التي رآها أثناء تنقل فيلق الجنرال بومبيوس في هذا العالم. تنهد ماركوس. كان ذلك عندما كانت المزرعة تدرّ عليهم النقود وكان أبوه تيتوس، يمتلك العديد من العبيد. لكن عندما انقلب حظه الجيد، باع العبيد الواحد تلو الآخر وأصبحت الاحتفالات بعيد ساتورن متواضعة جداً.

ابتسم ماركوس لدى استرجاعه ذكريات الأيام السعيدة

التي أصبحت كالأحلام الآن. حلم مؤلم. وتساءل أي نوع من المهرجانات سيقام في مدرسة المصارعة؟ وهل سيأتي بورسينو نفسه ليخدّم على عبيده؟ لم يبد له الأمر ممكناً. لكن على الأقل سيكون فيه كسر لروتينهم اليومي المرهق. لقد فكر طويلاً في هذا الأمر ممنياً معدته بأطايب الطعام فيما تبقى من حصص التدريب لهذا اليوم.

أخيراً، وبعد ما أنهى مهماته في المطبخ، لاحظ ماركوس أن بريكسوس كان يراقبه بحذر، وكأنه يكوّن رأياً فيه. عندما انتهت وجبة المساء وكان ماركوس على وشك التوجه نحو المراحيض لإنهاء مهامه اليومية هناك، أمسك بريكسوس ذراعه وهو يهمّ بالخروج من المطبخ.

"ماركوس." قال هامساً. "أما زلت ترغب بمعرفة المزيد عن سبارتاكوس؟"

أومأ ماركوس برأسه.

"إذاً، عد إلى هنا بعد أن تنهي مهمتك في المرحاض."

"حسناً. سأعود."

أفلت بريكسوس ذراع ماركوس الذي أسرع الخروج من المطبخ. لكن وفيما كان ينظف المقاعد الخشبية، لم يتوقف عن التفكير في تغير موقف بريكسوس. فعندما تحدثا آخر مرة عن الثورة، أنهى بريكسوس النقاش فجأة، في اللحظة التي شعر فيها أنه قال أكثر مما ينبغي. برغم أن ماركوس كان مستعجلاً للانتهاء من تنظيف المراحيض، لم يجرؤ أن يرتكب خطأً يحاسبه عليه توروس. قام بإفراغ أحواض الخل وملئها من جديد، وضخ الماء في فتحة تصريف

المجارير كالمعتاد. ثم أعاد السطول والفراشي إلى مكانها في الخزانة قرب الباب قبل أن يغادر. كانت الليلة مظلمة والريح القارسة تهب على مدرسة المصارعة.

عندما عاد ماركوس، وجد بريكسوس جالساً إلى إحدى طاولات المطبخ، وفي نهايتها مصباح زيت وحيد يضيء المكان، وأمامه. تلفت بريكسوس حوله بسرعة، وانفرجت أساريره عندما شاهد ماركوس.

"آه ممتاز. تعال واجلس يا ولد." وأومأ إلى كرسي على الجانب الآخر من الطاولة. فعل ماركوس ما طلب منه.

"تمتلك نقوداً؟" سأل ماركوس مندهشاً. "لأن معظم العبيد الذين عرفهم لم يكن يسمح لهم بامتلاك نقود."

"نعم. بالطبع. بورسينو يسمح لعبيده الموثوقين بكسب بعض النقود والاحتفاظ بها. لأننا في نهاية المطاف، قد نجمع ما يكفي لشراء حريتنا ذات يوم، وسيكسب هو من ذلك أيضاً. بالإضافة إلى تخلصه من عبء إيوائنا والإنفاق علينا عندما نتقدم في العمر!" زرّ عينيه قليلاً وهو ينظر إلى ماركوس على الجهة المقابلة من الطاولة. "تريد أن تعرف المزيد عن سبارتاكوس؟"

"نعم."

"حسناً. لكن دعني في البداية أوضح الأمر بيننا. أتخيل أنك لم تنسَ ذلك اليوم عندما كنا نلمع الأواني النحاسية لسيدنا في فيلته."

"أذكره جيداً."

"ولا بد أنك تذكر أني قلت لك إني أعرف سبارتاكوس."

أومأ ماركوس: "قلت إنك عرفته جيداً."

"وهكذا ذهبت بعيداً في انطباعك حتى اعتقدت أني كنت أحد أصدقائه؟"

حار ماركوس بماذا يجيبه. انتظر بريكسوس أن يكمل حديثه.

"مهما تكن الحقيقة، أيها الصغير ماركوس. أعتقد أنك لا بد أن تعرف كم سيكون الخطر كبيراً، إن عرف الناس أني كنت على صلة وثيقة مع سبارتاكوس. فللرومانيين ذاكرة جيدة، وهم أناس لا يغفرون أبداً. أعرف أنك روماني، لكنني أشعر أيضاً أنك طيّب القلب. وأنك تختلف عن الأولاد الرومانيين الذين مروا على هذه المدرسة. بعضهم لصوص صغار محترفون وقوادون أيضاً. خصوصاً الصبية أمثال فيراكس وأتباعه قطاعي الطرق. لذلك أثق بك، لكنني أريد أن أعرف كم أستطيع الوثوق بك." وحدق في ماركوس برهة ثم تابع: "يجب ألا تنطق بكلمة واحدة مما قلته لك. هل تعد بذلك؟"

أومأ ماركوس برزانة: "نعم."

"عظيم." قال بريكسوس متنفساً الصعداء. "الآن وبعدما قطعت لي وعداً. قل لي ما الذي تريد أن تعرفه عن سبارتاكوس؟"

نظر إليه ماركوس بحماسة وسأل: "هل كنت أحد حراسه الشخصيين؟"

"كلا. لقد كنت أكثر من ذلك. كنت أحد ضباطه. كنت قائد استطلاعه." وتبسم بريكسوس بحزن وهو يشير إلى الجدران العارية المحيطة بهما. "هذا كل ما تبقى لي. لقد اعتدت أن أكون مصارعاً

متميزاً، ثم قائداً في جيش سبارتاكوس. وفي الوقت الحاضر، أنا مجرد عبد ذليل."

"إن كان والدي قد أخبرني الحقيقة، فأنت لست عبداً ذليلاً. لأنك قاتلت بشجاعة وربحت المجد."

هز بريكسوس رأسه. "لم يكن في المعركة الأخيرة مجد، يا ماركوس. لقد كانت مجزرة مروّعة. لقد كنا مطاردين طوال أشهر، وخلفنا على بعد خطوات قليلة فيالق كوسوس الذي هزمنا في العديد من المعارك والمناوشات. حتى وصل بومبيوس وعلقنا بين الجيشين. لم يكن أمامنا خيار سوى القتال. وفي ذلك الوقت كنا قد خسرنا آلافاً كثيرة بين قتيل وجريح، ولم يتبق سوى حوالى خمسة آلاف مقاتل يستطيعون حمل السيف أو الرمح. معظمهم لقي حتفه في الجولة الأولى. لكن سبارتاكوس وحرسه الشخصيين شقوا طريقهم عميقاً في صفوف الجيش الروماني قبل أن يُحاصروا ويُقتلوا. انتهى كل شيء في غضون أقل من ساعة." حدق فيه ماركوس. "لكن ليست هذه القصة التي أخبرني والدي. وليست ما قاله الناس أيضاً."

"طبعاً ليست هي. فكثير من الرجال يريدون بناء شهرتهم على انتصار عظيم على عدو خطر. لقد زعم كوسوس أنه هزمنا، لكن بومبيوس الجنرال العظيم. نقل القصة إلى روما بأنه هو من سحق جماعة العبيد. فعندما احتجزت في سجن المعسكر سمعته يخطب بالرجال ويمتدح بطولاتهم. كان كريماً جداً بمكافآته ومديحه لهم، وأجرؤ وأقول إن والدك كان واحداً من الذين استفادوا من

كرمه ذاك. ولا غرابة في أنه كان متشبثاً بقصة جنراله عن تلك الانتصارات."

شعر ماركوس بطعم المرارة في حلقه. لم يرغب في تصديق ما قاله له بريكسوس.

"طبعاً الشيء الوحيد الذي لم يستطع بومبيوس تحطيمه أو تخريبه، هو الإلهام الذي زرعه فينا سبارتاكوس. برغم أن الثورة أُجهضت وسبارتاكوس قُتِل، لا يزال مثاله حياً. فلتسأل أي عبد، تقريباً. إنه بطلنا السرّي. إننا نعيش بانتظار يوم ينهض فيه سبارتاكوس آخر ويحطم قيودنا. ربما في المرة القادمة سيكون النصر لنا والمذلة لروما."

نظر بريكسوس في عيني ماركوس مباشرة. "هذه هي الحكاية. أردت أن تعرف المزيد وقد أخبرتك ما لدي. وما أريده منك الآن هو أن تحفظ السر."

أومأ ماركوس ببطء. "سوف أحفظه. أقسم على ذلك. أقسم بحياة أمي."

راقبه بريكسوس لبرهة. "هذا يكفيني. مد يدك يا ماركوس الصغير."

منحنياً عبر الطاولة، مد ماركوس يده وشعر بأصابع بريكسوس الواهنة تلتف حول يده. وبعد مصافحة قصيرة أفلت بريكسوس يد ماركوس.

"هذا كل شيء لليلة. لا بد أنك متعب."

"جداً." قال ماركوس ونزل عن كرسيه.

ابتسم بريكسوس وأشار بيده نحو الباب.

في الخارج، رفع ماركوس تونيكه فوق رأسه وخطا مسرعاً ليقطع الطريق القصيرة بين المطبخ ومبنى الزنازين. سمح له الحارس بالدخول وأقفل الباب وراءه. وعندما وصل مربطه وسط العتمة، خلع ماركوس جزمته وزحف فوق فرشته القشية، وجذب تونيكه الاحتياطي فوقه ليدفّئه. نام بسهولة برغم أن الأفكار التي سمعها من بريكسوس بقيت تحوم حول رأسه. كان نوماً عميقاً ولا أحلام فيه. حتى تلقى رفسة حادة في أضلاعه: "انهض انهض. أيها اللص."

تحرك ماركوس، لكن عقله بقي نعسان. نظر شزراً إلى الأعلى حيث مشعلاً يتوهج فوقه. وجذبه الرجل الذي أيقظه حتى وقف على قدميه. عند ذلك أيقن ماركوس أن أماتيوس هو من كان يحمل المشعل، وأن توروس رئيس مدربي المدرسة، هو الذي رفسه في أضلاعه وأوقفه على قدميه.

"ماذا فعلت به أيها اللص؟"

رمش ماركوس وهز رأسه. "فعلت به؟ فعلت بماذا يا سيدي؟"

"لحم الغزال المدخن الذي سرقته من المستودع."

"ماذا؟" نقّل ماركوس نظره بينهما. "أيّ غزال يا سيدي؟ أقسم إني لم آخذ شيئاً."

"كاذب!" قال توروس ورفع الجزمة عالياً. فرقع رباط الجزمة ورفرفت حواف الجزمة الجلدية وهو يهزّها. "هل هذه جزمتك؟"

حملق ماركوس فيها وهزّ رأسه. "جزمتي هناك يا سيدي، عند مدخل المربط."

”هناك ثلاث منها. لكن هذه وجدت منذ فترة قصيرة، عندما تم تبديل نوبة الحراسة. أعتقد أنك تخليت عنها أثناء هروبك قبل أن يروك. إيه؟ لقد وجدناها في المستودع حيث وضعت مؤونة مهرجان ساتورن. لقد حطِّم القفل وسُرق فخذ غزال.“

شعر ماركوس برعشة خوف جليدي تسري في عموده الفقري. ”لست أنا السارق! وأقسم إن هذه ليست جزمتي.“

”اخرس، أيها اللص! ورفع توروس الصندل عالياً أمام المشعل. إنه لـ 58. أتراه؟ إنها فردة من صندلك أنت. لذلك لا مزيد من الكذب أيها اللص. ستدفع ثمن هذا. هل تعرف ما هي عقوبة اللصوص عندنا؟“ وأطبق قبضته على تونيك ماركوس.

”حسناً. هل تعرفها؟“

”كلا. كلا يا سيدي.“

”نجعلهم يركضون في القفاز.“ زمّ شفتيه في ابتسامة ضارية. ”سيصطف رفاقك على الجانبين. وكل عبد يحمل هراوة، وعندما يصدر الأمر يجب أن يركض اللص على طول الممر بين الصفين، وستنهال عليه الضربات وهو يجري.“ وقهقه توروس. ”المشكلة أن لا أحد من قبل، بقي حياً حتى نهاية القفاز.“

شعر ماركوس بأحشائه تتجلد. أراد أن ينكر التهمة، أن يدعي البراءة. لكن قسمات وجه توروس أخبرته أن الرجل لا يريد سماع كلمة واحدة من كلماته. أيقظت الأصوات العالية بعض النائمين، واستطاع ماركوس برغم الضوء الشحيح الذي كانت تنشره المجمرة الوحيدة في نهاية المبنى، أن يميز وجوههم

وهي تتلصص إليه من على جوانب المرابط. لقد رأى فيراكس وفي اللحظة التي التقت فيها نظراتهما مباشرة ارتسمت وببطء ابتسامة مكر على شفتي السلتي.

20

في ضوء الصباح الشاحب سحب ماركوس من الزنزانة بلا شبابيك، التي كان توروس قد رماه فيها في الليلة الماضية. كان البرد قارساً، لكن ماركوس قاوم غريزة الارتجاف. لقد صمم ألا يسمح لأحد أن يرى خوفه. برغم أنه كان خائفاً كما لم يخف من قبل قط. لم يكن خوفه على نفسه فقط بل على أمه، وشتم نفسه لأنه قد خذلها. قبض أماتيوس على ذراعي ماركوس وقاده متجاوزاً البراكات وعبر البوابة إلى حلبة التدريب. حيث وقف توروس ينتظره.

"ألا زلت تدعي أنك بريء. يا ولد؟"

"أومأ ماركوس. لم أسرق شيئاً، يا سيدي. لا بد أن شخصاً آخر فعله وجعل الأمر يظهر وكأني من قام بذلك. أقسم على ذلك."

عبس توروس. "احذر، يا ولد."

"أعرف، يا سيدي."

"أنت الآن بين يدي وسوف تنال عقابك. أتفهم؟"

تردد ماركوس قبل أن يهز كتفيه غير مبال بما قاله توروس. "نعم يا سيدي."

خيم صمت قصير قبل أن يتكلم توروس ثانية.

"انظر يا ماركوس. إن لم تكن أنت من سرق اللحم. من هو إذاً؟ إيه!"

يمتلك ماركوس فكرة واضحة عن الذي ورطه في هذا الأمر. فإن كان وراءه أحد ما فلا بد أنه فيراكس. لكنه لا يمتلك أي دليل يثبت اتهامه. وفي أي حال. ومع اكتشاف فردة جزمته، كان من الطبيعي بالنسبة لتوروس أن يعتبره المذنب. كل ما استطاع ماركوس فعله أن يعقد النية على الانتقام من فيراكس. إن نجا من عقوبته هذه. رفع بصره عالياً ببرود والتقت نظراته مع نظرات رئيس المدربين. "لا أستطيع أن أتهم شخصاً محدداً. لكني أجزم لك يا سيدي، أنني لست الفاعل."

" لم تترك لي إذاً، أي خيار آخر." شد توروس قامته ووجه نظرته الفولاذية إلى أماتيوس قائلاً: "استدع كل العبيد ليشهدوا العقوبة."

"أمرك يا سيد." أفلت أماتيوس ماركوس من قبضته، أحنى رأسه قليلاً واستدار ثم انطلق مسرعاً نحو البراكات. بينما وقف ماركوس متيبساً وهو ينظر أمامه فيما توروس ينقر كعب جزمته برأس عصا الكرمة. بعد فترة قصيرة دخلت المجموعة الأولى من المصارعين عبر البوابة وشكلت صفاً مقابل ماركوس. لم يكلف الرجال أنفسهم عناء النظر إلى الصبي أثناء انتظارهم. وعندما

وصلت المجموعة الأخيرة منهم لحق بها الصبية الصغار من مجموعة ماركوس. كانت نظراتهم فضولية، والبعض منهم نظر إليه مرتعباً عندما تخيلوا أنفسهم مكانه. راقبه فيراكس وأتباعه بابتسامات ساخرة وهم يسيرون متجاوزينه. شعر ماركوس بالغيظ يغلي في أحشائه. كان العبيد الخدم في مدرسة المصارعة آخر الواصلين وبينهم بريكسوس الذي علت وجهه تعابير الدهشة عندما رأى ماركوس. وعندما انتظم آخرهم في صف جانبي، أخذ توروس نفساً عميقاً ومشى إلى منتصف حلبة التدريب.

"بالنسبة إلى الذين لا يعرفون بعد، لقد استدعيتكم لتشهدوا عقاب هذا اللص. هذا الصبي سرق طعاماً من المطبخ الليلة الماضية. وبفضل حماقته افتضَحت فعلته. والآن ستعرفون جميعاً عقوبة السرقة. ليكن هذا الصباح تحذيراً لكم جميعاً." والتفت إلى أماتيوس. "قدّم صفك إلى الأمام. شكل منه نسقين عبر مركز حلبة التدريب!"

صاح أماتيوس بالأولاد الذين هرولوا مسرعين إلى الأمام وانتظموا في صفين، مشكلين أمام ماركوس طريقاً بطول خمسين خطوة، تنتهي عند قضبان سياج الساحة في الطرف الآخر. كانت المسافة الفاصلة بين الصبية المتقابلين على الصفين ستة أقدام فقط. بعدما اتخذ الصبية أماكنهم الصحيحة، سار أماتيوس إلى سلّة مجدولة من أغصان، مليئة بهراوات خشبية ثخينة. أخذ منها حضناً كبيراً حمله بين ذراعيه وصدره، وعاد إلى الصفين المنتظرين.

"ليأخذ كل واحد هراوة!" أصدر أوامره وسار متوقفاً أمام

كل واحد ليأخذ سلاحه بيده. رفع فيراكس هراوته وأرجحها بحركات تجريبية في الهواء، وخبطها على حصى الأرضية أمامه. ثم نظر إلى ماركوس وغمز بعينه. وعندما انتهى أماتيوس من توزيع الهراوات، اتخذ مكانه في النهاية الأخرى من الطريق القفاز.

التفت توروس إلى ماركوس. "اخلع تونيكك."

واجه ماركوس الرجل وظهره إلى بريكسوس والعبيد الآخرين، ثم أمسك حافة تونيكه ورفعها نحو خصره، قبل أن يخرج كتفيه ورأسه منها. أخذها منه توروس ورماها جانباً، وبقي ماركوس الآن بجزمته والمئزر الذي يستر عورته. سمعت شهقة اندهاش مكتوم. التفت ماركوس حوله ليرى بريكسوس يحملق فيه بعنين جحظتا على اتساعهما.

"اصمتوا هناك!" جأر توروس. "وأنتم على جانبي القفاز استعدوا! لا أريد أن أرى أياً منكم يتلكأ أثناء مرور الصبي أمامكم. ستبذلون قصارى جهدكم لتضربوه بقوة. من يفشل منكم في ضربه أو يضربه بليونة، سيخضع للعقوبة نفسها من بعده. هل هذا واضح للجميع؟" قبض على كتف ماركوس وقاده إلى أمام أول صبيين في بداية الطريق القفاز. عندما أصدر أمري تبدأ. ثم خفض صوته ليهمس في أذن ماركوس: "الأفضل لك أن تركض بأقصى سرعة. أبقِ ذراعيك عالياً لتحمي رأسك. لا تتردد ولا تقع أرضاً. إن وقعت أرضاً يعني أنك مت. أتفهمني؟"

أومأ ماركوس وجسده يرتجف في قبضة الرعب العاري.

"استعدّ. عند العد ثلاثة تنطلق. واحد! اثنان!"

"توقف!"

دار توروس في مكانه وعلا وجهه تعبير غضب عارم. "من الذي قال ذلك؟"

نظر ماركوس من فوق كتفيه ورأى العبيد ينظرون إلى بريكسوس.

ابتلع الطباخ العجوز ريقه بعصبية ثم تقدم خطوة إلى الأمام. "أنا يا سيدي."

"بريكسوس؟ كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ على مقاطعتي؟" قال توروس وأحكم قبضته على عصاه وهو يمشي بخطى واسعة صوب الطباخ وقد اسودّ وجهه من الغضب. "ماذا يعني ما قلته؟"

شد بريكسوس قامته ونظر في عيني رئيس المدربين من دون خوف. "الصبي بريء، يا سيدي. أنا أعرفه. ليس هو اللص."

"حقاً؟" قال توروس مزمجراً. "وما الذي جعلك تعتقد ذلك؟ إلا إن كنت هناك وشاهدت اللص شخصياً. من هو؟"

التقت عينا بريكسوس وماركوس لثوان. عندها ضرب توروس بعصاه معدة العبد الذي انطوى على نفسه وخر على ركبتيه وهو يئن ألماً. انحنى توروس فوقه متوعداً. "من هو؟"

"أنا يا سيدي." قال بريكسوس وهو يلهث. "أنا سرقت اللحم."

تجمد توروس. "ماذا أسمع؟ لا أصدق ما أسمع!"

"هذه هي الحقيقة يا سيدي." قال بريكسوس وهو يجاهد ليأخذ نفساً. "أنا السارق. الصبي بريء."

هز ماركوس رأسه مذهولاً. "بريكسوس هو اللص؟" اجتاحت

قلبه موجة شك باردة وهو يتساءل لماذا تكلم بريكسوس. أهو الشعور بالذنب، لأن ماركوس قد اتهم بسرقة اللحم؟ كل العيون في حلبة التدريب اتجهت إلى الرجلين، وخيم صمت طويل قبل أن يشد توروس قامته ويضع يديه فوق وركيه. "حسناً. إذاً، إن كنت السارق فلماذا تعترف الآن ما دام بوسعك أن تنجو بفعلتك؟ إيه؟"

حبس بريكسوس أنفاسه ورفع رأسه بكبرياء. "لن أقبل أن يتلقى صبي صغير هذه الضربات بدلاً مني، يا سيدي."

"ولَمَ لا؟"

"لا تسمح لي كرامتي بذلك. قد أكون عبداً، لكني لا زلت أعرف معنى الشرف."

"شرف؟" نبح توروس ضاحكاً. "شرف! حقاً إن العجائب لا تنتهي. الشرف للرجال الأحرار يا بريكسوس. إنه ترف لا يستطيع أي عبد أن يتحمل كلفته."

"صحيحٌ أنني عبد. لكني لا أزال رجلاً يا سيدي."

تراجع توروس خطوة إلى الوراء. "حسناً. قف إذاً، لنرَ كيف سيحتمل شعورك بالشرف الضرب بالهراوات." والتفت إلى ماركوس. "أنت يا ولد! خذ تونيكك وقف جانباً."

تردد ماركوس، كانت دهشته أكبر من أن يتحرك بسهولة. رفع توروس عصاه مهدداً، فالتقط ماركوس تونيكه وركض يقف بجانب العبيد. وبينما كان يدخل رأسه في التونيك سمع المدرب يأمر بريكسوس أن يخلع تونيكه ويقف عند بداية الطريق القفاز.

أخرج ماركوس رأسه من تونيكه وشاهد الطباخ العجوز يمشي مترنحاً نحو صفي الصبية.

وقف توروس وراءه ينتظره أن يستقر في مكانه، ويخيم الصمت قبل أن يصيح. "استعد! واحد. اثنان. ثلاثة... انطلق يا بريكسوس!"

طأطأ الطباخ رأسه إلى الأسفل ورفع ذراعيه على الجانبين ليحمي جمجمته من الضربات القادمة. ثم و بانطلاقة سريعة مترنحة دخل القفاز. حبس ماركوس أنفاسه عندما ضربه الصبيان الأولان بهراوتيهما. كان بريكسوس يتحرك أسرع مما توقعوا، و لم يتح لهم الوقت الكافي ليستعدوا لضربه. انحرفت ضربة عن جنبه وطاشت أخرى منحرفة عن كتفه وهو يركض بانحناءة صغيرة. كان الصبيان الآخران أكثر استعداداً وسمعت بوضوح ضربتيهما القويتين على ظهر بريكسوس، في كل حلبة التدريب. احتمل بريكسوس الضربتين وركض بسرعة متنقلا فجأة من جهة إلى أخرى، مغيّراً هدف مهاجميه. راقب ماركوس تقدمه، ومعدته منقبضة من القلق عليه.

غمغم "هيا. بريكسوس تستطيع أن تنجح."

وصل بريكسوس منتصف القفاز، وقد نجح مزجه بين العرج والسرعة والتحركات المضللة، في تجنيب نفسه القوة الكاملة للضربات التي كان يتلقاها. لم يتبق أمامه إلا عشرين خطوة أو أكثر قليلاً. لكن ماركوس شاهد فيراكس قرب نهاية القفاز وهو يرفع هراوته، وقد تقدم قليلاً داخل القفاز. كان الطباخ يخفض رأسه قليلاً إلى الأمام و لم يلاحظ الخطر الذي ينتظره حتى اللحظة الأخيرة.

عندما شعر بوجود شخص ما أمامه مباشرة. وبصرخة انتصار وحشية هوى فيراكس بهراوته على بريكسوس فأصابت صدغه. هوت ساقاه من تحته وخر على ركبته وجذعه العلوي يترنح. رفع فيراكس هراوته، وهو واقف فوق الطباخ فاقد الحيلة.

"لا." برطم ماركوس يائساً. "لا. لا!"

وثب إلى الأمام وراح يقطع حلبة التدريب بوثبات متتابعة. كان فيراكس قد استدار قليلاً إلى جهة أخرى و لم يستطع أن يراه يتقدم. كان انتباهه مركزاً على ضحيته، وقد أمسك الهراوة بكلتا يديه وبدأ يرفعها عالياً فوق رأسه. قذف ماركوس بنفسه عبر الأرض القاسية بتهور لينقذ صديقه.

"هيه. أنت!" صاح توروس. "إلى أين تعتقد نفسك ذاهباً؟"

تجاهله ماركوس. مركزاً كل انتباهه على فيراكس. فقد كانت عضلات كتفي وذراعا السلتي مشدودة، وهو يؤرجح هراوته عندما رمى ماركوس نفسه عليه، قابضاً باهتياج على معصمي الولد المتبجح. قبل لحظة من ارتطام ثقل جسده كله بخاصرة فيراكس. كانت أنفاسهما مسموعة للجميع عندما وقعا معاً على الأرض إلى جانب بريكسوس. للحظة شلّت المفاجأة قدرة فيراكس على الرد. فاستغل ماركوس الفرصة وسدد لكمات عديدة إلى معدته، جعلته يستلقي على جنبه متلوياً ولاهثاً من شدة الألم. تراجع ماركوس إلى الوراء مقرفصاً استعداداً للهجوم من جديد. لكن فيراكس كان أعجز من يقاتل في هذه اللحظة. فاغتنم ماركوس الفرصة ماداً يده إلى بريكسوس.

"انهض! هيا بريكسوس. قف على قدميك."

أدار بريكسوس رأسه المصاب بالدوار جانباً. "لا. لا أستطيع."

"يجب أن تقف. أو تموت هنا!" أمسكه ماركوس، وكزّ على أسنانه وهو يشد عضلات جسده كلها محاولاً أن يساعده للوقوف على قدميه. ثم أخذ إحدى ذراعيه ولفها حول كتفه، وتقدم به إلى الأمام بصعوبة. كان أمامهما آخر صبيين في القفاز، كلاهما من أزلام فيراكس. كانا ينقلان بصريهما بين زعيمهما وماركوس حائرين ماذا يفعلان.

كان ماركوس يشتعل غضباً.

همس من بين أسنانه المطبقة. "أقسم إني سأقتلكما إن لمستما بريكسوس."

أبقى الصبيان على الهراوتين في أيديها، لكنهما لم يحركاها عندما مر بهما ماركوس مترنحاً، وهو يجر بريكسوس وسقطا أرضاً في نهاية القفاز. كان صدر ماركوس يجيش من الإجهاد عندما أكره نفسه على النهوض ووقف يحمي بريكسوس.

"حسناً. حسناً." قال توروس ضاحكاً وهو يسير بخطى واسعة نحوهما. ونظر إلى ماركوس بوجه مازح. "أنت صبي جلدة وعظم وفتات عضلات، لكن قسماً إنك تملك قلب أسد! وأستطيع أن أصنع منك مصارعاً، أيها الصغير."

"كلا! ليس إن استطعت القضاء عليه!" زمجر فيراكس وهو يجاهد للوقوف على قدميه، ومد إحدى يديه ليلتقط الهراوة الخشبية التي سقطت منه. وما إن التفت أصابعه حول مسكة

الهراوة حتى أطلق صراخ ألمٍ حاد، عندما داس توروس أصابعه بنعل جزمته المليء بالمسامير.

"أفلتها من يدك يا ولد! لقد أخذت فرصتك. يجدر بك ألا تتردد في المرة القادمة. واعتَبِر من هذا الدرس."

حملق فيه فيراكس غاضباً: "قلتُ أفلتها. لن أكرر أمري ثانية."

بعد لحظة من التردد، أرخى فيراكس قبضته وتراجع إلى الوراء. ثم نظر إلى ماركوس ودمدم. "أنت ميت. أقسم إنك ستموت على يديّ."

21

جفل بريكسوس وهو يجاهد ليريح جسده فوق فرشته المطوية. اتكأ على حائط المشفى الجصي، وتنفس بحذر لحظة كي لا يزيد في ألم أضلاعه المكسورة. وبمعزل عن تجريده من ثيابه الضيقة على جسده وإحدى ساعديه المربوطة إلى جبيرة، كان جسده مغطىً بكدمات أرجوانية مزرقة وبثور سوداء حيث سحج جلده أو جرح. شعر ماركوس بالغثيان من هول منظر الضربات التي تلقاها الطباخ بالنيابة عنه.

”يكفي الآن.“ قال بريكسوس مجبراً نفسه على الابتسام. ”لا أبدو بهذا السوء.“

هز ماركوس رأسه. ”أنت في حال مزرية.“

”شكراً. إن كانت هذه نتيجة إنقاذي لك من الضرب. في المرة التالية لن أزعجك أبداً.“ تظاهر أنه متألم ومحبط لحظة قبل

أن تعود ابتسامته: "في أي حال، لقد انقضى يومان على الحادثة ولم أرك."

"لقد أشغلني توروس كثيراً. قال إني يجب أن أتحمل معظم واجباتك حتى تتعافى. فعندما أنهي التدريب أذهب إلى المطبخ. وكان توروس يراقب المكان كالصقر. أعتقد أنه أراد أن يتأكد أن لا مزيد من المشاحنات بيني وبين فيراكس".

قال بريكسوس ساخطاً: "إنه ينتظر فرصة أخرى. أعرف هذا النوع من البشر. لن يرتاح فيراكس حتى يقضي عليك."

"أعرف هذا جيداً." قال ماركوس بهدوء، ثم تنحنح وتابع: "في أي حال. قل لي كيف تشعر اليوم؟"

"كل جسدي يؤلمني، لكن الجرّاح يقول إنه لن يكون هناك أذى دائم. لكن شفاء ذراعي التام يحتاج لبعض الوقت. لذلك من الأفضل أن تقوم مكاني في المطبخ على أحسن ما يرام، وإلا لن يكون فيراكس وحده من يطلب دمك!"

صمت بريكسوس قليلاً وحدق في ماركوس بتمعن. "أنا أعرف أنك تدخلت لتنقذ حياتي. لكنني لا أذكر ما الذي حدث بدقة. فبعد الضربة الأولى على رأسي دارت الدنيا بي. لقد أخبرني توروس بالأمر."

"توروس؟" اندهش ماركوس.

"نعم. لقد أمر أن ألقى أفضل عناية. طبعاً قال إنه يفعل ذلك كي يضمن ألا يخسر بورسينو عبداً من عبيده، وإنه يريدني أن أتعافى

في أسرع وقت ممكن لأستأنف عملي في المطبخ. لكنه لم يستطع أن يخدعني. لاحظت أنه قد تأثر بكلينا."

"أوه؟ بالتأكيد. تأثر بي لأني حملت الاتهام عنك، وتأثر بك لأنك غامرت بالدفاع عني. قد يكون توروس عجوزاً قاسي القلب ومتوحشاً ككل محاربي الفيالق القدامى. لكنه راجح العقل ويعرف معدن الناس الجيدين عندما يقابلهم."

هز ماركوس رأسه، لكنه لم يكن مهتماً بتوروس. فالسؤال الوحيد الذي كان يشغل ذهنه، منذ أن حمل بريكسوس عنه تهمة السرقة وأنجاه من عقوبة القفاز هو:

"لماذا فعلت ذلك؟ لماذا أنقذتني؟"

حدق فيه بريكسوس للحظة، وقد خلا وجهه من أي ملامح بهجة. ثم هز كتفيه قليلاً. "لأني لم أصدق أنك سرقت اللحم. والأرجح أن قاطع الطريق فيراكس هو الفاعل. وقد وجد طريقة ما توجه الاتهام إليك، ويتخلص منك بطريقة تزيد من سيطرته على الصبية الآخرين. هذا هو السبب يا ماركوس."

لم يثق ماركوس كثيراً بهذا التبرير. أراد أن يصدق أن الطباخ بريكسوس قد أثبت أنه أحد أصدقائه القليلين، الذين يمكنه الاعتماد عليهم في مدرسة المصارعة. من جهة أخرى، فقد وجد صعوبة في الاقتناع بأن شخصاً ما سيخاطر بهذه الطريقة من أجل صداقة عمرها بضعة أشهر. ما لم يكن هناك سبب آخر. لكن ماذا يمكن أن يكون ذلك السبب؟

قال ماركوس بارتباك: "أشكرك لإنقاذك حياتي يا بريكسوس. فأنت لم تنقذ حياتي فقط، بل أنقذت حياة أمي أيضاً."

"أعلم لقد أخبرتني عنها. وعن كل ما جرى لعائلتك." قال بريكسوس ثم صمت ثانية، وهو يعلك شفته ويحدق في ماركوس بتمعن. ثم أومأ إلى الأرضية بقرب فرشته، قائلاً: "اجلس. أريد أن أتحدث إليك حول أمر."

استجاب ماركوس لطلبه وجلس على الأرضية الصلبة، وطوى ساقيه تحت فخذيه.

"هذا أفضل." قال بريكسوس. "لأني لا أريد أن أمط رقبتي كثيراً كي أنظر إليك وأنت واقف. والآن يا ماركوس، أريد أن أسألك بضعة أسئلة."

"أي أسئلة؟"

"عن عائلتك. عن العلامة على كتفك."

رفع ماركوس حاجبيه باندهاش. "تعني تلك الندبة؟"

"ندبة؟ نعم. أعتقد أنه يمكن تسميتها ندبة."

"وكيف عرفت بوجودها على كتفي؟"

قال بريكسوس موضحاً: "رأيتها عندما طلب منك توروس أن تخلع تونيكك أمام بداية القفاز. متى حصلت على هذه الندبة؟"

هز ماركوس كتفيه. "لطالما كانت على كتفي على ما أذكر."

"فهمت. هل تعرف كيف جرى ذلك؟"

هز ماركوس رأسه. "لا بد أنه جرى عندما كنت طفلاً. لماذا تسأل؟"

"مجرّد فضول." قال بريكسوس وزمّ شفتيه قبل أن يكمل. "هل تمانع أن أراها ثانية؟"

ذهل ماركوس من هذا الطلب. "ما الذي يميّز هذه الندبة؟"

"دعني أرَها."

كان في عيني بريكسوس وهج غريب، الأمر الذي أغضب ماركوس. تردد لحظة ثم أزاح تونيكه حتى بان كتفه والجلد المتغضن بسبب تلك العلامة. شعر بغرابة الأمر لكونه لم يستطع أن يراها بنفسه، برغم أنه تحسس شكلها الخاص كثيراً بأصابعه. استدار نصف استدارة كي يرى بريكسوس كتفه. حملق الطباخ في العلامة بصمت. ثم سعل. "شكراً، ماركوس."

أعاد ماركوس تونيكه مكانه وتراجع إلى الوراء حتى أصبح مقابل بريكسوس، الذي كان ينظر إليه نظرة حادّة. "هل تعرف ما هي العلامة التي على كتفك؟"

"كلا. لم أستطع أن أراها بشكل تام أبداً."

"هذه ليست ندبة، يا ماركوس ولا حتى وحمة[1]. هذا وسم. لقد وسمت تماماً كما خمنت. عندما رأيتها أول مرة منذ يومين."

"وسمت؟" اقشعر بدن ماركوس من الفكرة. "ولماذا يسمني أي شخص وأنا لا أزال طفلاً صغيراً؟ في أي حال، أي نوع من الوسم هذا؟"

---

1 birthmark: هي علامة تولد مع المولود لها أشكال شتى مثل التصبغات أو النتوءات الجلدية التي تسمى شامات أو وحمات.

"إنه وسم رأس ذئب على مقبض سيف."

لم يستطع ماركوس كبح ضحكة سريعة سبقته قبل أن يسأل: "ماذا يفترض أن يعني هذا الوسم؟"

"لست متأكداً بعد." رد بريكسوس بهدوء وهو ينظر من فوق كتف الصبي صوب باب الزنزانة. ثم أكمل بصوت منخفض، يكاد يكون همساً: "حدثني عن عائلتك ثانية. قلت لي إن أباك كان قائد مئة."

"صحيح."

"وماذا عن والدتك؟ من أين هي؟ وكيف قابلت والدك؟"

قال ماركوس: "لقد كانت أَمَةً. كانت مشاركة في الثورة التي قادها سبارتاكوس وقد اشتراها والدي عندما قُضيَ على الثورة. حرّرها ثم تزوجها."

فقال بريكسوس مازحاً: "ثم وُلدت أنت. قل لي كيف هو شكل والدتك. صفها لي بالتفصيل."

بينما كان ماركوس يركز تفكيره ويتذكر متأملاً قدر ما يستطيع من ملامح أمه، أصغى بريكسوس من دون مقاطعة طوال الوقت، وهو يهز رأسه من حين إلى آخر وكأنه يشجعه على المتابعة. وعندما انتهى ماركوس من وصفها له اكفهر وجه بريكسوس، وهز رأسه وهو يدمدم لنفسه لا بد أنها أخذت الوسم الحديدي معها.

انحنى ماركوس مقترباً منه أكثر، وسأله: "ماذا تقول؟ لا أفهم شيئاً مما تقوله يا بريكسوس، قل لي ما الذي قلته. أخبرني!"

"أنا لست واثقاً يا ماركوس. إن عقلي مشوش جداً منذ أن

رأيت الوسم على كتفك. قد يعني شيئاً، وقد لا يعني. لكني لا أستطيع أن أخبرك شيئاً قبل أن أملك دليلاً. عندها فقط أستطيع أن أخبرك. وحتى ذلك الوقت يجب أن تمتنع عن ذكر هذا الأمر لأي مخلوق كان.» وفجأة قبض على معصم ماركوس بقوة وجذبه نحوه. «ولا أي كلمة، هل تفهمني؟»

«لماذا؟ ما هو السر؟» سأل ماركوس محبطاً.

«ما الذي تخبئه عني؟»

«من الأفضل لك ألا تعرف. ليس بعد.» قال بريكسوس، وأفلت معصم ماركوس من قبضته. تراجع إلى الوراء مبتسماً، وقد أصبح تنفسه عبارة عن شهيق وزفير حادين. لوح بيد نحو الباب. «أنا متعب الآن. أحتاج إلى الراحة. ثم إن توروس سيكون في انتظار عودتك إلى المطبخ. أراهن على هذا، لذلك من الأفضل أن تسرع كي تتجنب الجلد.»

ردَّ ماركوس بحزم: «كلا قل ما تعرفه.»

هز بريكسوس رأسه. «لا يزال الوقت مبكراً وخطراً جداً لإخبارك بذلك. سأخبرك كل ما أعرفه عندما يحين الوقت. ثق بي واذهب الآن.» ثم أمال جسده إلى الأمام ودفع ماركوس باتجاه الباب، فاضطره إلى الدوران في مكانه حتى يحافظ على توازنه.

بوجه مكفهر وقبضتين مشدودتين من شدة الغضب، نهض ماركوس على قدميه. أشاح بريكسوس وجهه جانباً وصمت. شعر ماركوس بالإحباط يملأ كيانه فغادر المشفى بخطوات واسعة وسريعة باتجاه المطبخ.

أقيم مهرجان ساتورناليا في يوم عاصف وبارد. فبينما كانت الريح الماطرة تلف مدرسة المصارعة، وتعصف بين جدرانها وقطرات المطر تفرقع على القرميد، تجمَّع العبيد والمدربون والكتبة وحتى بورسينو نفسه في بناء البراكات الأكبر في المدرسة. فقد قرر اللانيستا هذه السنة أن يو لم لكل عبيده في الوقت نفسه، بصرف النظر عن العمر. فأُحضرت الطاولات والمقاعد من المطبخ وصُفَّت على طول البناء. بعد ذلك وعندما أخذ العبيد أماكنهم، دخل بورسينو ورجاله المحررون يحملون الصواني المليئة بالأطعمة. اليوم ولأول مرة، لم يكن هناك تدريب. وجلس الرجال والصبية يحدقون بعيون نهمة وبهجة صريحة في الطعام الذي وُضِع أمامهم. أرغفة خبز طازج، قطع لحم مُدخن، جبن، جرار صلصة السمك وسجق كثير التوابل.

جلس ماركوس بجوار بيلينوس. مقابلهما جلس فيروس والإسبرطي. انحنى فيروس إلى الأمام وتناول رغيف خبز، وقضم منه قضمة كبيرة وبدأ يمضغها بقوة وصخب.

فقال بيلينوس ضاحكاً: "مهلك يا صديقي، وإلا لن تترك لنا شيئا نأكله!"

"صحيح." تمتم فيروس وهو ينثر رذاذ الخبز من بين شفتيه. "مممممممم، يوجد سمسم في الخبز."

نفض الإسبرطي الجالس بقربه رذاذ الطعام عن كُمِ تونيكه، ثم تناول أصغر قطعة سجق وقضم نهايتها، وراح يمضغها بلامبالاة مقصودة.

انتظر ماركوس حتى ملأ الرجال أطباقهم الخشبية، قبل أن يمد يده متردداً إلى طبق اللحم. فوكزه بيلينوس:

"لا وجود لتراتبية العمر في الساتورناليا. فاملأ بطنك."

بينما كان ماركوس يسكب الطعام في صحنه، مال فيروس بجذعه إلى الأمام وبلع بسرعة قبل أن يسأل ماركوس: "كيف هو الطباخ؟ سمعت أنك تزوره."

"بريكسوس يتعافى بشكل جيد. وقد يعود إلى ممارسة عمله في أي يوم."

"إنه مكانه الصحيح." قال الإسبرطي معلقاً. "هو العبد الوحيد الذي يجيد الطبخ في هذه المدرسة."

تضرج وجه ماركوس وقال: "نبذل جهدنا أنا والصبية الآخرون."

هز الإسبرطي كتفيه. حسناً. "آمل أن تتعلم القتال أفضل مما تعلمت الطبخ، يا ماركوس الصغير. إن أردت أن تحيا."

"إششششششش. دعك منه." قال بيلينوس. "استمتع بيومك هذا."

هز ماركوس رأسه بسعادة. فبرغم كل ما حدث له، يشعره رفاقه الثلاثة هؤلاء بالراحة وقد بدأ يعتبرهم إخوة كبار. لا ليسوا إخوة، فكّر لنفسه. بل أخوال أو أعمام.

عندما ابتعد رئيس المدربين، تبادل ماركوس نظرة خاطفة مع الثلاثة الآخرين، ثم انفجروا في الضحك.

استمرت الوليمة طوال اليوم. وفي المساء بعد أن نظّفت بقايا الوليمة، وضعت الطاولات جانباً، وأمر بورسينو بإدخال فرقة المهرجين إلى المبنى. أضيئت المشاعل وعلّقت على جدران البراكات وفي نورها قدم المهرجون بعض الحركات البهلوانية قبل أن ينتقلوا إلى تقليد ساخر سرعان ما جعل المصارعين ينفجرون في نوبات ضحك هيستيري. أما ماركوس فأسند ظهره على الجدار وتفرّج على العرض بابتسامة مشوشة. ثم تعكر مزاجه ثانية عندما تذكر أن الصباح التالي سيعيدهم إلى نظام أماتيوس التدريبي القاسي.

عندما أنهى المهرجون عملهم وغادروا البراكات، صعد بورسينو طاولة في مؤخرة الغرفة ورفع يديه ليلفت انتباه الجميع.

"هدوء! اهدؤوا جميعاً!"

ببطء خمدت كل النقاشات وشخصت كل العيون إلى صاحب مدرسة المصارعة. انتظر بورسينو حتى خيم السكون وتأكد أن الجميع ينظرون إليه. أخذ نفساً عميقاً وبدأ خطابه:

"أيها المصارعون! لقد استحققتم احتفالكم بعيد ساتورناليا، وأسعدني جداً أن أكافئكم على جهودكم التي بذلتموها في التدريب. فأنا لم أر أبداً دفعة رجال وصبية رائعة مثلكم. فأنتم تشرّفون مدرسة مصارعتي، كما تشرّفون أيضاً تقاليد من سبقوكم من المصارعين. إني أحبكم، أيها المصارعون!"

هلل الرجال والصبية حول ماركوس بقوة لبعض الوقت. هلل الجميع باستثناء الإسبرطي الذي حدق في رفاقه العبيد باحتقار شبه علني. خمدت التحيات تدريجياً وتابع بورسينو كلامه.

”أنتم حقاً تتمتعون بقوة بدنية من أروع ما رأيت ودرّبت. لذلك أنا فخور بكم. وفي غضون أيام قليلة سأكون أكثر فخراً بكم. إذ إن مجموعة من أرفع عائلات روما سيشرفوننا، وسيشرفون مدرستي بزيارة ليتسلوا بالفرجة على بعضكم. لذلك أتوقع ممن سيقع الاختيار عليهم أن يقاتلوا جيداً، ويشرفون نفسهم ويشرفونني أيضاً. ومن يستطيعون أن يميِّزوا نفسهم أعدهم بأن شهرة وثروة عظيمتين سيكونان بانتظارهم في روما. لأنه عندما يشاهد اللوردات الرومانيون أداءكم الرائع، سيرغبون في دعوة أصدقائهم والناس في أعظم مدن العالم للفرجة عليكم. فكروا في ذلك يا مصارعيَّ! المجد يومئ لكم. فلبّوا نداءه من أعماق قلوبكم وبكل المهارات التي تعلمتموها.“ ختم بورسينو كلامه.

هلل حفنة من الرجال في البراكات بتحيات مكتومة و لم يفهموا ما قاله سيدهم. نظر ماركوس حوله، فقد شعر بالتغيّر المفاجئ في الجو. إذ تلاشى مزاج المرح في البراكات، وبدا كأن ظلاً بارداً معتماً قد خيم على الغرفة.

أنهى بورسينو خطابه بتحية المساء. ”أدعو لكم بليلة سعيدة.“

كان على وشك النزول عن الطاولة عندما انفتح باب المبنى ودخل حارس يحمل رمحاً. توقف أمام اللانيستا وأحنى رأسه.

”سيدي. يؤسفني أن أخبرك أن أحد العبيد قد اختفى.“

”اختفى؟“

بلع الحارس ريقه بعصبية. ”لقد هرب يا سيدي.“

خيم الصمت على البراكات وأصاخ الرجال والصبية السمع

ليلتقطوا كل كلمة تقال. حملق بورسينو في الحارس بغضب.

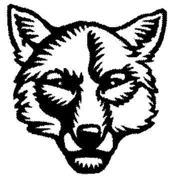
"هرب؟ كيف؟ من المفترض أن كل العبيد هنا الليلة. كيف استطاع هذا الهارب أن يفرّ منك ومن رجالك؟"

"سيدي. الهارب لم يكن هنا. كان في المشفى."

شعر ماركوس بضربات قلبه تتسارع.

"من هو ذلك العبد؟ ما اسمه؟"

"بريكسوس يا سيدي."



22

أصدر بورسينو فوراً الأوامر لحراسه ومدربيه بالبحث عن بريكسوس. أوصدت الأبواب على العبيد في مبنى البراكات. فأسرع ماركوس بالصعود فوق أحد المقاعد، ونظر عبر إحدى فتحات التهوية الضيقة ليرى ماذا يجري خارج البناء. عبر هذه الفتحة التي يدخل منها الهواء البارد، استطاع أن يرى ألسنة لهب المشاعل تتمايل مع الريح الخفيفة الباردة، كما شاهد هيئات الرجال يفتشون الأبنية الأخرى بحثاً عن أي أثر لبريكسوس. كان صدى صراخ بورسينو وتوروس يرتد عن جدران المدرسة، وهما يقودان الرجال للبحث عن الهارب.

"حدث كبير بالنسبة لهذه المناسبة الموسمية." برطم صوت بجانب ماركوس الذي التفت فرأى الإسبرطي وقد انضم إليه في الفرجة عبر فتحة التهوية.

"مضحكة هي الطريقة التي تلاشت فيها نوايا سيدنا الحسنة في اللحظة التي تصبح فيها ملكيته في خطر. ونحن هنا من جديد، عبيد محبوسون في سجننا. أوه، رائع حقاً." وابتسم ساخراً.

عاد ماركوس ينظر عبر فتحة التهوية، عندما مر أمامها مجموعة من الرجال. فقد فوجئ بالإعلان عن هروب بريكسوس. لم يعطه الطباخ أي إشارة حول خططه، وشعر بالغبن لأن صديقه لم يأتمنه كفاية ليخبره بما كان ينوي فعله. كما أغضبه أنه ضيّع فرصة الانضمام إلى بريكسوس في هروبه. فلو نجح لكان الآن في طريقه للعثور على الجنرال بومبيوس، بدلاً من وجوده هنا مع العبيد الآخرين.

سأل ماركوس الإسبرطي: "ألا تعتقد أنه سينجو؟"

"كيف لي أن أعرف؟" قال الإسبرطي هازّاً كتفيه. "أستطيع أن أرى مقدار ما تراه أنت. لكن برأيي، إنها حماقة من بريكسوس."

"لماذا حماقة؟"

"لماذا؟ لأنه أعرج. حتى لو نجح في تسلّق الجدار والقفز من فوقه، فلا أمل له في أن يسبق مطارديه. وبحلول الصباح سيفتشون عنه الريف كله. أمله الوحيد هو أن تمحو هذه الأمطار أي آثار يمكن أن يتركها وراءه. وسيستطيعون القبض عليه بسهولة بسبب عرجه."

صمت الإسبرطي للحظة ثم فرقع بلسانه.

"سأكون مندهشاً إن لم يقبضوا عليه قبل هبوط ظلام الغد."

قال ماركوس مفكراً بصوت عال: "وإن أمسكوه سيعاقبه بورسينو."

"نعم."

تابعا التحديق عبر الفتحة في عتمة الليل، ثم تنحنح ماركوس وسأل: "ماذا تعتقد أن بورسينو سيفعل به؟"

"سيجعله أمثولة تخيف الآخرين من مجرد التفكير في محاولة الهروب. وهذا له علاقة بقيمة بريكسوس نفسه. إنها معضلة كبيرة بالنسبة لسيدنا. إيه؟ صراع بين رغبته في ضبط المدرسة بصرامة وبين جشعه."

"وماذا سيحدث إن تغلب الانضباط؟"

التفت الإسبرطي إلى ماركوس وقال: "سيصلبه ماركوس أمام أعيننا، ويتركه يموت، وسيتركه ميتاً على الصليب لفترة أخرى كي يضمن أننا استوعبنا الدرس جيداً."

شعر ماركوس بدمه يبرد في عروقه. "أحقاً تعتقد ذلك؟"

هز الإسبرطي برأسه، ثم تراجع قليلاً عن فتحة التهوية وتثاءب. "ليس باليد حيلة يا ولد. من الأفضل أن ترتاح، لأنك ستحتاج هذه الراحة عندما تعود إلى التدريب في الصباح."

نظر إليه ماركوس خطفاً وهز رأسه، لكنه بقي يراقب من فتحة التهوية. التفتيش داخل المدرسة، طقطق الإسبرطي مفاصل كتفيه وعاد باتجاه مربطه وهو يدمدم: "في أي حال ساتورناليا سعيد، يا ولد."

لكن ماركوس لم يستطع أن يرد التحية. كان مستغرقاً في التفكير فيما قد يحدث لصديقه إن هم وجدوه.

وعاش ماركوس الأيام القليلة التالية، مرعوباً من احتمال سماع خبر القبض على بريكسوس. في الصباح التالي استؤنف تدريب

الصبية. وكانوا يرتجفون من شدة برد الشتاء القارس، عندما يستيقظون كل الصباح للقيام بمهماتهم في المطبخ، قبل أن يقودهم أماتيوس إلى حلبة التدريب. ومع بداية العام الجديد، علّم أماتيوس تلاميذه تقنيات جديدة حول استخدام السيف، وجعلهم يتدربون عليها مع الأعمدة الخشبية، حتى تأكد أنهم أتقنوها جيداً وأصبحوا مستعدين للانتقال إلى المرحلة التالية.

ذات صباح بارد وكئيب، تجمع ماركوس وبقية التلاميذ الصغار بكامل أسلحتهم التدريبية واصطفوا في نسقين متقابلين، بانتظار أماتيوس كي يعلن بدء التدريب. وقف أماتيوس أمامهم يتفرس في وجوه العبيد الصغار. ثم قال:

"اليوم سنختبر تدريبكم للمرة الأولى. أنتم الآن جميعاً أكثر قوة ورشاقة بدنية، مما كنتم عليه عندما أتيتم إلى هنا. وتعرفون أيضاً كيف تستخدمون السيف والترس. عموماً إن التدريب مع العمود شيء، والتدريب ضد الخصم شيء آخر. وهذا ما ستقومون به من الآن فصاعداً."

شعر ماركوس بنبضه يتسارع، وتحرك الصبية الآخرون على الجانبين بدافع الإثارة والقلق.

"اليوم ستبدأون مباريات مع رفاقكم. القوانين بسيطة. ستبدؤون القتال عندما أعطي إشارة البدء وتتوقفون عندما آمركم توقف! أريدكم أن تقاتلوا بأفضل ما تعرفون. وكأن حياتكم تتوقف على هذا الأمر، لأنكم ستخوضون هذا القتال ذات يوم. لن تنقذوا أنفسكم ما لم تطعنوا بقوة. أعرف أن البعض منكم قد يكونوا أصدقاء، لكن

عليكم أن تعرفوا أيضاً هذا الأمر: لا يستطيع المصارع أن يتحمل كلفة الأصدقاء الحقيقيين. لأنك قد تضحي بحياتك كرمى لصديقك الحقيقي. هذه ليست من أولويات المصارع. أي شخص يمكن أن تسموه صديقاً اليوم قد يكون خصمكم في حلبة المصارعة غداً. وعند ذلك أين ستوصلكم صداقتكم؟ تُقتلون." صمت قليلاً ليترك كلماته القاسية تتغلغل جيداً في عقولهم. "الآن يجب أن تعرفوا أين تطعنون. فيراكس!"

"نعم يا سيد!"

"تقدم إلى الأمام، قف هنا!" وأشار إلى نقطة أمام التلاميذ. ثم أدار فيراكس ليواجه بقية الصبية.

"راقبوني جيداً. أخفض ترسك يا فيراكس."

وقف السلتي أمام رفاقه غير محمي الآن. بسرعة رفع أماتيوس سيفه التدريبي وصوبه إلى وجه فيراكس.

جفل السلتي قليلاً.

"إن طعنة هنا قد تقتل خصمكم إذا كسرت الجمجمة. وبالحد الأدنى ستشلّه. في أي حال إنها طعنة صعبة التحقيق. لكن يمكن أن تصوّبوا عليها لتشتيت انتباهه، ثم تصوّبون على منطقة أخرى." وخفض مقدمة سيفه قائلاً: "كالحنجرة مثلاً. ذلك أن طعنة قوية هنا قد تتسبب بقتلكم. وأدنى مستوى منها لدينا الصدر. من الأفضل أن تتجنبوا هذه المنطقة، خصوصاً أن معظم المصارعين يلبسون دروعاً، واقيات أو كليهما. يجب أن تكونوا قريبين جداً من الخصم وتدفعوا نصل السيف بقوة إن كنتم تريدون اختراق الأضلاع إلى القلب.

وهنا من الأفضل أيضاً أن تسددوا أخفض قليلاً، وكما نقول في الحياة العملية: "إن أقصر طريق إلى قلب الرجل معدته." فطعنة قوية في المعدة لها نصيب كبير في عطب عضو، أو إن نزعت النصل بقوة كافية فقد تبقر له بطنه." ثم ضرب أماتيوس رأس السيف الخشبي بخفة على ذراعي وفخذي فيراكس قائلاً: "إن الأطراف أهداف جيدة أيضاً، وينبغي أن تحاول قطع الأوتار لتشل خصمك. لن ينزف الخصم كثيراً، لكنه لن يستطيع الحركة عندها. أو أضرب بأسرع ما تستطيع، ويمكن أن تقتلعها في الوقت المناسب." ثم خفض سيفه: "لا فائدة من التفكير في ضرب خصمك في الظهر، لأنه لا مصارع جدير بالاحترام، سيدير لك ظهره ويهرب أمامك. وإن فعل ذلك، فهذا يعني أنه قد خسر المعركة سلفاً. هل هذا واضح للجميع؟"

"نعم يا سيد!" أجاب الصبية.

انضم إليهم ماركوس، برغم أن أعصابه كانت مستفزة من النصيحة الباردة الدم التي قدمها لهم أماتيوس. هذه هي المرة الأولى التي يُقال لهم فيها بوضوح ومباشرة. الهدف الحقيقي من كل التدريبات التي تلقوها. وتساءل ماركوس كيف كان يتفاعل الصبية الآخرون مع إمكانية أن يحاولوا ذات يوم، أن يقتلوا شخصاً كانوا يتدربون معه. نظر عن جانبيه ولاحظ مغزى التعبير على وجوه الصبية من حوله، وهم يتبادلون نظرات سريعة مع بعضهم البعض.

"ممتاز." قال أماتيوس وأومأ لفيراكس. "عد إلى مكانك."

عندما عاد فيراكس إلى مكانه في الصف، أشار أماتيوس إلى صف الأعمدة. "عندما أعطيكم الأمر، تذهبون إلى هناك وتنتظروا.

سأدعو اثنين منكم في كل مرة. البقية تبقى في مكانها تراقب جيداً. تعلموا من أخطائهم. انطلق!"

رفعوا تروسهم وانطلقوا إلى الأعمدة بسرعة. انتظرهم أماتيوس حتى أخذوا أماكنهم، ثم أشار إلى صبي نوبي. "أنت!" ثم أشار إلى أحد رفاق فيراكس، وهو سلتي ضخم الجثة مرقط البشرة.

"وأنت! تقدما إلى الأمام."

خرج الصبيان مترددين من الصفوف وصفق أماتيوس. "أسرعا! إلى هنا وقفا وجهاً لوجه، اتركا بينكما مسافة عشر خطوات."

هرولا ليتخذا مكانيهما. وقف أماتيوس جانباً على مقربة منهما، وسيفه في يده. "استعدا!"

اتخذ الصبيان وقفة انحناء أقرب إلى القرفصاء، الترسان مرفوعان أمامهما والسيفان إلى الجنب قليلا.

"ابدآ!"

وفي الحال اقتربا وتوقفا حيث لا يطال أحدهما الآخر، وكلاهما يزن الآخر. تحرك السلتي أولاً متقدما بصرخة عالية. تراجع النوبي بسهولة وتجنب الطعنة. تراجع كلاهما للحظة، ثم هاجم السلتي من جديد راكضاً إلى الأمام، وضرب بسيفه على واقية النوبي. امتص النوبي الضربة. وثبت في مكانه، بعدها وعندما تراجع خصمه إلى الوراء لالتقاط أنفاسه هاجم النوبي. ضرب ساعد السلتي التي تحمل السيف، ضربة وحشية مخدرة جعلت السلتي يسقط السيف من يده. وعندما أطلق صرخة ألم واندهاش، ضربه السلتي على ركبته ثم دفعه بواقيته بكامل ثقل جسمه. اضطر السلتي للتراجع إلى الوراء، فتعثر

وسقط على ظهره بسقطة قوية وزفير صاخب. نط النوبي إلى الأمام مكشراً عن أسنانه كعلامة انتصار. ووقف مفرشخاً فوق خصمه وسيفه مرفوع عالياً، وهو ينظر نحو أماتيوس لتأكيد انتصاره. لكن السلتي الذي كان ممدداً على الأرض اغتنم الفرصة ورفسه بين رجليه. انحنى النوبي ثم ترنح جانباً وهو يئن من شدة الألم. نهض السلتي على قدميه وضرب الصبي الآخر على رأسه مراراً، حتى تهاوت قدماه من تحته وخرَّ على ركبتيه. قبض السلتي على السيف الخشبي وانتزعه من يد النوبي. نظر إلى المدرب ثم ضرب النوبي على صدغه، فسقط دائخاً على الرمل. وعندما كان على وشك أن يضربه ثانية، قاطعه أماتيوس.

"توقف!"

تراجع السلتي إلى الوراء. تجاهل أماتيوس الصبي الممدد على الأرض، ثم التفت إلى السلتي قائلاً: "ساعده على النهوض، وعودا إلى مكانيكما. المباراة التالية بيترونيوس وديموكريتس."

استنفذت المباراة الساعة التالية، وكان ماركوس يراقب بدقة، ملاحظاً أخطاءهما ونجاحهما. شعر بقلق متزايد وهو ينتظر سماع اسمه، خصوصاً أن فيراكس أيضاً لم يُدعَ إلى مباراة بعد.

جرت مباريات عدة قبل أن تنفتح بوابة ساحة المصارعة ويدخل منها رجلان:

بورسينو برفقة غريب يلبس تونيكاً أحمر مطرزاً، وجزمة جلد جميلة جداً، فأمر أماتيوس صفه بالوقوف بانتباه وبإحناء رؤوسهم.

"هذا أماتيوس." قال بورسينو وهو يشير عرضاً إلى المدرب. "إنه يدرب صف الصبية الصغار، كما ترى يا سيدي."

تحفزت أذنا ماركوس عندما التقط نبرة مختلفة في صوت صاحب مدرسة المصارعة. "لا بد أن مرافقه كان شخصاً مميزاً."

"آه جيد! أسلحة تدريبية." قال الرجل الغريب. "هذا بالضبط ما أردت أن أراه. امنحني فرصة شراء الأفضل من أجل الحفلة التي سأقيمها لأصدقائي. أرجوك قل لهم بأن يستمروا. نستطيع أن نراقبهم من المقعد هناك."

هز بورسينو رأسه: "كما ترغب. هل أطلب لك شراباً منعشاً؟"

"كلا. ربما لاحقاً عندما نناقش التفاصيل."

أومأ بورسينو إلى أماتيوس. "تابعوا."

استمرت المباريات بينما بورسينو وضيفه يراقبان. راقب أماتيوس تلاميذه عن كثب، مهدداً بجلد أولئك الذين أبطؤوا الهجوم، صارخاً بتعليماته ومتدخلاً في اللحظة المناسبة، لوقف مباراة كان من الواضح أن أحد التلاميذ قد تلقى هزيمة نكراء فيها. وعندما تبقى أربعة تلاميذ فقط، نادى أماتيوس على اسمين تاركاً ماركوس وفيراكس للمباراة الأخيرة.

شعر ماركوس بضربات قلبه تتسارع، وهو ينظر إلى فيراكس الذي ابتسم بتكلّف، وقال بصوت خفيض ليسمعه ماركوس وحده: "أوه. سأستمتع بهذه المباراة."

سمعه ماركوس ورد قائلاً: "تأكد أني لن أتراجع أمام ضرباتك، يا صديقي."

أخفى ماركوس مشاعره وابتعد، وهو يشد قبضته على سيفه وترسه المجدول من أغصان طرية. راقب المباراة و لم ينتبه إلى التفاصيل، وكأن المباراة الأخيرة كانت لشبحين يرقصان أحدهما حول الآخر. فقد كان ذهنه يسبقه بينما هو يحاول أن يتذكر كل ما قد تعلمه، وكل ما يعرفه عن فيراكس. لا بد أن يفكر بطريقة ليهزم بها خصمه. كان عليه أن يرسم خطة.

"توقفا!"

صدم ماركوس عندما اكتشف أن المباراة قد انتهت. ورأى الفائز يساعد الخاسر للوقوف على قدميه، ثم عادا لينضما إلى من سبقهم من المتبارين.

"الثنائي الأخير!" صاح أماتيوس.

بلع ماركوس ريقه، وحاول جهده كي يبدو هادئاً وغير خائف وهو يمشي ليتخذ موقعه، واستدار ليواجه فيراكس.

"هذه مباراة طال انتظارها." أعلن أماتيوس بصوت خفيض ومرح. "دعونا إذاً نرَ ما تستطيعان فعله. إيه؟" وخفض صوته بحيثُ يسمعه كلاهما فقط. "أعرف أن كلاكما يكره الآخر كثيراً، لكن عليكما أن تسيطرا على مشاعركما، وعندما آمركما بالتوقف تتوقفان فوراً. وإذا حاول أي منكما متابعة القتال عندها سأجلده أمام الجميع. جاهزان!"

وقف ماركوس مستعداً وعيناه مثبتتان على عدوّه. وقلبه في صدره يضرب مثل طبل وحواسه كلها متحفزة. وحملق فيراكس في ماركوس بالمثل وقد خلا وجهه من أي ملامح إنسانية.

"هيا ابدآ!"

هجم ماركوس وهو يزأر زئيراً اتسعت له عينا فيراكس من شدة الصدمة، لكنه في اللحظة الأخيرة أسرع ورفع ترسه أمامه. وعلا صوت ارتطامهما. صوّب ماركوس سيفه متجنباً الترس وهو يضرب كتف فيراكس. نخر فيراكس من شدة الألم وتراجع إلى الخلف بأسرع ما يستطيع، موسعاً المسافة بينهما بما يسمح له استخدام سفيه بفاعلية أكبر. أصبح الآن أكثر قدرة على صد ضربات ماركوس. وبعد فرقعات حادة من ارتطام سيفيهما الخشبيين ابتعدا وتوقفا، وكل منهما يزين الآخر باحتراس.

بخلاف المباريات الماضية، لم يشجعهما أماتيوس على الالتحام. واكتفى بمراقبتهما بلهفة. ووقف الصبية ساكنين صامتين يراقبونهما متحمسين لرؤية خصمين لدودين، يسدد كل منهما دينه للآخر في مبارزة علنية. وبدا أن الحماسة وصلت إلى بورسينو وضيفه أيضاً، اللذين انحنيا إلى الأمام يراقبانهما باهتمام.

رافعاً رأس سيفه المثلم تقدم فيراكس، وبحركة مفاجئة ركل الأرض الرملية بقدمه فتناثرت موجة من حبيبات الرمل نحو خصمه. رمش ماركوس بشكل غريزي عندما لسعت حبيبات الرمل رقبته وذقنه. وفي الحال، قفز فيراكس إلى الأمام بصرخة تصم الآذان، وهوى بسيفه بوحشية على ترس ماركوس المرفوع عالياً، ومع كل ضربة إضافية كان يجبره على خفض ترسه. تجاهل ماركوس الارتجاج في ساعده الأيسر، وركز تفكيره على حماية رأسه من الضربات المتتالية. ثم انخفض واستند على ركبة واحدة وهو يهوي

بسيفه على فخذ السلتي. أصابت الضربة هدفها بصخب عال. زمجر فيراكس من جديد متألماً هذه المرة، واندفع إلى الأمام دافعاً ماركوس أمامه إلى الوراء. حاول ماركوس أن يثبت قدمه على الأرض الرملية ليحافظ على وقفته، لكن ضغط فيراكس كان قوياً لا يقاوم، وأجبره على التراجع.

ممتلئاً بحس الانتصار زاد فيراكس من ضغطه، دافعاً ماركوس إلى الوراء قدر ما يستطيع. بعد ذلك وبتغيير سريع في الاتجاه، أدار سيفه حول حافة ترس ماركوس وضربه على ساعده الأيسر ضربة مخدّرة. كانت الضربة مؤلمة وأماتت الحس في ساعد ماركوس، فتراخت قبضته على مسكة الترس وبدأت تنحل شيئاً فشيئاً. وبضربتين إضافيتين على الترس، فقدت أصابع يده سيطرتها على الترس. ترك ماركوس الترس يقع أرضاً وتراجع إلى الوراء بسرعة، محافظاً على تحفزه واستعداده، بينما زمجر فيراكس مزهواً بنصره.

"تلق حتفك! ولنحسم الأمر الآن!"

تقدم فيراكس بخطى ثابتة، رافعاً ترسه عالياً ليستعمله كمطرقة يهوي بها على ماركوس. لا وقت للتفكير، لكن مع اقتراب فيراكس أكثر أخذ ماركوس نفساً عميقاً، ثم دفع بنفسه إلى الأمام. وفي اللحظة الأخيرة خفض رأسه، متدحرجاً تحت الضربة القوية الفارغة التي هسَّت في الهواء فوق رأسه. وقام في هذه الأثناء بضرب فيراكس بقوة على كاحله، وشعر بأثر الضربة عندما صرخ السلتي من الألم وتوقف فجأة. كزّ فيراكس على أسنانه وأجفل عندما حاول التوازن فوق كاحله المصاب. اندفع ماركوس بسرعة دائراً حوله ليجبره على

التوازن متألماً فوق قدمه المصابة. وتقدم الصبي الصغير بسرعة وطعنه في جنبه، وتراجع بسرعة خارج مدى سيفه.

زمجر فيراكس: "سأنال منك." فرد ماركوس: "وأنا سأنال منك أيضاً."

بقي ماركوس يتحرك دائراً حول خصمه ليجبره على التوازن فوق كاحله المصاب. أخيراً خر فيراكس فوق ركبته، ورفع ترسه عالياً على أمل أن يصد ضربات ماركوس. وعندما عجز ماركوس عن إيجاد طريقة للتغلب على دفاعات السلتي، انسحب خمس خطوات إلى الوراء وبقي يدور حول خصمه، مدركاً حقيقة أن لا فيراكس عاد قادراً على مهاجمته، ولا هو قادرعلى الاقتراب منه كفاية ليوجه إليه الضربة القاضية.

"أوقفا القتال!" صاح أماتيوس. "توقفا!"

"كلا!" صاح فيراكس. "أستطيع أن أقضي عليه. لا زلنا نتبارز!"

"وهذا يناسبني." رد ماركوس ببرود.

وقف أماتيوس بينهم ووجهه يختلج غضباً.

"أتتجاسران على عصيان أوامري؟ سأجلدكما على هذا العصيان. قلت توقفا. توقفا الآن!"

لم يستجب ماركوس للأمر بل اندفع إلى الأمام ثانية، وطعن فيراكس في جنبه. ومرة أخرى ارتدت الطعنة عن الترس وسدد فيراكس يائساً ضربة إلى قصبة ساق ماركوس، الذي تراجع في الوقت المناسب وتفادى الضربة.

فصرخ أماتيوس بأعلى صوته: "توقفا!"

هذه المرة تراجع ماركوس متردداً إلى مسافة آمنة ثم خفض سيفه. أسرع أماتيوس إليه وانتزع السيف من يده والتفت إلى فيراكس قائلاً: "ارم سيفك. أنتما في ورطة لم يعرفها غيركما من قبل. أقسم على ذلك. سأجلدكما حتى أخطط جسديكما بالأزرق والأسود. اذهبا إلى هناك! في الحال!"

"يكفي هذا." قال بورسينو وهو يقترب منه برفقة ضيفه. "دعهما على ما هما عليه يا أماتيوس."

أغلق المدرب فمه. أحنى رأسه ثم تراجع مبدياً لسيده أكبر قدر من الاحترام استطاع أن يغترفه من سورة غضبه تلك. في هذه الأثناء وقف ماركوس، صدره يعلو ويهبط، الدم يغلي في عروقه وقبضتاه ترتجفان.

"إن هذا الصبي آكل نار"، قال مرافق بورسينو معجباً. "لا جدال في ذلك. ولا يقل عنه ذلك الصبي الضخم. أوه. نعم! هذا يناسبان جداً." ثم التفت إلى بورسينو قائلاً: "سأشتريهما."

"هذان؟" قال بورسينو وبدا مندهشاً، وهو يشير إليهما بازدراء. "لماذا؟ وهما لا يزالان يتدربان يا سيدي."

"إن تقنياتهما لم تنضج بعد، لكنهما يمتلكان شيئاً آخر. يمتلكان الحيوية والكره الأعمى أحدهما للآخر. إني أرى ذلك كما أرى ضوء النهار."

"نعم إنهما مناسبان جداً، كعرض مفاجئ لابن فارنيوس."

فتح بورسينو فمه ليحتج، لكن الرجل الآخر أسكته.

"وبشكل طبيعي سأدفع لك سعراً جيداً، بالنيابة عن صديقي."

بحسبة ذهنية سريعة قبل بورسينو العرض بابتسامة. "أنا مضطر أن أخبرك أني كنت أهتم بأمرهما. فهما من أفضل المتدربين الذين عرفتهم هذه المدرسة منذ وقت طويل. ومن المؤكد أن أمامهما مستقبلاً باهراً كمصارعين. وسأخسر استثماراً كبيراً إن أجبرا على الاقتتال."

"إذاً. اطلب السعر المناسب لك، عندما نعقد الصفقة في مكتبك."

أومأ بورسينو وهو يميل رأسه وأشار صوب البوابة. "أرجو أن تسبقني إلى المكتب. أيها النبيل ماركوس أنطونيوس، يجب أن أجري حديثاً قصيراً مع مدربهما."

"حسناً." قال الرجل وعبرت وجهه ومضة إحباط خفيفة. "أسرع إذاً."

استدار وسار نحو البوابة. بينما اقترب بورسينو من أماتيوس قائلاً: "درّبهما على حدة. وعيّن مدرباً آخر لبقية الصبية. أريدك أن تركز جهدك على هذين الصبيين. دربهما على أفضل وجه. يجب أن يكونا مستعدين للقتال في غضون خمسة أيام."

"حاضر يا سيدي."

استدار بورسينو ليتفحص ماركوس وفيراكس. كان في وجهه لمحة حزن. ثم تلاشت رقته عندما تحدث بصوت حاسم. "يجب أن يوضعا مع الآخرين الذين سيجري اختيارهم للمشاركة في العرض."

"نعم سيدي. هذان يريدان قتالاً حقيقياً. هل ستكون مباراة استعراض قتالي يا سيدي؟"

هز بورسينو رأسه.

"أهو إذاً، عرض دموي أولي؟"

"كلا." قال بورسينو وهز كتفه. "زبوني يريد تسلية خاصة جداً. هو يعمل لمصلحة شخص ما في روما، يريد أن يحتفل بعيد ميلاد في أسرته. يريد أفضل حفلة تسلية. فعندما يدخل هذان الصبيان إلى الحلبة ستكون مصارعة قتال حتى الموت."

23

تميز يوم وصول أصحاب حفلة السمر من روما بكثير من الترتيبات. أوصى بورسينو أن يُجهّز له أطباقٌ فخمة وأفضل الأطعمة في المنطقة، كما استأجر طباخاً مشهوراً تملكه عائلة غنية في هيركلانيوم ليعدَّ مأدبة لضيوفه. وكان في حلبة المصارعة المتصلة مع المدرسة منصة في أحد جوانبها، تسمح للمتفرجين برؤية شاملة لكل ما يجري في الحلبة، بيضوية الشكل مفروشة بالرمل. وفي الأيام التي سبقت وصول الضيوف، قام عبيد بورسينو بطلاء الأعمال الخشبية، وعلقوا جلود الماعز في الأماكن المناسبة لتحمي المتفرجين من أي مطر محتمل. وأحضرت أفضل الأرائك من فيلا بورسينو، وحُملت بعناية فائقة إلى المنصة، ثم غطيت ببسط ومساند طرية فاخرة، ورتبت في نصف قوس عريض أمام الحلبة وراء طاولات الطعام. كما وزعت المجامر في المنصة لتدفّئ الضيوف.

شاهد ماركوس بعضاً من هذه الترتيبات، عندما كان يعبر ساحة المدرسة إلى حلبة التدريب كل صباح، استعداداً للمناسبة. وما إن دفع زبائن بورسينو ثمن قتال الصبيين، حتى جرى فصلهما مباشرة عن العبيد الآخرين، ونُقلا إلى بناء آخر فيه مجموعة زنازين منفصلة ملحقة بمقر حراس المدرسة. وقد خصصت هذه الزنازين لأولئك المُعدين للقتال. حيث يقدم لهم طعام معد خصيصاً لبناء قوتهم البدنية: حساء سميك بمرق اللحم، بيض مسلوق، سجق مدخن غني بالثوم المركز. الطعام جيد لكن شهية ماركوس كانت معدومة وأجبر نفسه على الأكل، كان يمضغ بشكل ميكانيكي و لم يستمتع بالطعم. وكان الشعور بالخوف يتزايد في ذهنه مع انقضاء كل يوم.

الرجال والصبية الذين وقع عليهم الاختيار لتسلية الضيوف يعزلون عادة، عن المصارعين الآخرين بعد انتهاء التدريب. لا يسمح لهم بالتحدث إلى بعضهم في الزنازين. كي ينشغل كل منهم بإعداد نفسه للقتال، ولينسى رفاقه السابقين ويركز تفكيره على حاجته إلى ربح القتال والبقاء حياً. كان أماتيوس يوقظ ماركوس في زنزانته كل صباح ويصطحبه إلى التدريب في الحلبة، على استخدام الأسلحة التي سيستخدمها في مباراة القتال مع فيراكس. قرر زبون بورسينو أن على المتبارين أن يستعملوا سيوفاً قصيرة، وتروساً صغيرة تسمى بوكليرز، ودروعاً جلدية صغيرة لحماية أجسامهم. وقد وجد ماركوس الدرع ثقيلة ومزعجة، واستغرق وقتاً قبل اعتيادها. بينما ركز أماتيوس في التدريب على تقنيات استعمال السيف، بالإضافة إلى كل الأشياء الجديدة الضرورية للهجوم والدفاع.

كان مدرب آخر يشرف على إعداد فيراكس، يعمل على زيادة لياقته في ميدان المعركة. وفي الظهيرة يتبادلان الأمكنة، فيخلع ماركوس درعه ويضع سيفه جانباً، وينفذ أوامر الجري حول الحلبة ويتوقف من حين لآخر كي يرفع أثقالاً. بعد ذلك ينقله أماتيوس إلى تمارين الرشاقة، فيجعله يقعي أرضاً ثم يقفز بينما يؤرجح أماتيوس عصاه على مستوى الذراعين والرأس أو الساقين. وعلى ماركوس أن يكون يقظاً كي يتفادى الضربات، لكنه كان يجفل عندما يبطئ جداً، وتلامس العصا إحدى هذه المناطق من جسده.

فيقول له أماتيوس محذراً: "دع ذلك يحدث في حلبة القتال ولاق حتفك."

يهز ماركوس رأسه ويسرع بتهيئة نفسه، كي يبدأ التدريب من جديد بمزيد من التركيز كي يتجنب الضربات التالية. وعندما ينتهي أماتيوس من تلك التدريبات، يسمح لماركوس باستراحة قصيرة قبل أن يحمل سلاحه من جديد، وينتقل إلى أعمدة التدريب ليتدرب على استخدام السيف. بعد ذلك وفيما كان ماركوس يفترش الأرض متعباً وهو يحتضن ركبتيه، نظر إلى مدرّبه وسأله: "هل تعتقد أني أستطيع التغلب على فيراكس؟"

حدق فيه أماتيوس للحظة قبل أن يجيبه. "الفوارق ضدك يا ماركوس الصغير. فخصمك أكبر منك وأقوى. فإن استطاع أن يوظف ثقله ليطرحك أرضاً، عندها ستكون تحت رحمته." صمت قليلاً، حك ذقنه وتابع كلامه بلهجة ألطف هذه المرة. "لكن هناك دائماً فرصة، بصرف النظر عن الفوارق. فقد شهدت جولات قتال

أكثر فروقاً وانتهت بنتائج مذهلة. فالخدعة الأساسية في ألا تقترب منه. تجنب الالتحام المباشر معه ولا تدعه يقبض عليك. أنت صغير وسريع. أنهكه بالكر والفر. فبجرح صغير هنا وآخر هناك يمكنك أن تجعله ينزف حتى تتمكن من قتله."

شعر ماركوس برعدة تسري في عموده الفقري لدى ذكر كلمة قتل. فبرغم أن كرهه العميق لفيراكس يحرق قلبه، لا يزال يشك أن بوسعه أن يقتل السلتي حتى إن سنحت له الفرصة. تنحنح وقال:

"سمعت بعض المحاربين القدماء يقولون إنه عندما يقاتل المصارع جيداً، لو خسر ينقذه المتفرجون".

"حالات نادرة." شخر أماتيوس غاضباً. "ليس مع هذا العدد من المتفرجين."

عبس ماركوس. ثم سأل مستهجنا: "لماذا؟"

"لقد دفعوا ثمن أفضل ثمانية رجال لدى بورسينو، وبعض حيواناته وأنتما الصبيين. إنها ثروة صغيرة. مؤكد أنهم يريدون مقابل النقود التي دفعوها. وهذا بخلاف المصارعة في حلبة عامة. هذا لأن عامة الناس يسعدها أن تشاهد قتالاً جيداً وهم كرماء جداً، مع رجل أظهر مقاومة محترمة قبل أن يخسر. هذا لأنهم لم يدفعوا ثمن المباراة. لكن الأمر مختلف مع الأرستقراطيين. فهم يدفعون أموالاً طائلة ولن يُسعدهم إلا منظر الدم. فعندما يدفعون ثمن مباراة حتى الموت، عندها يتوقعون مشاهدة موت أحد المتقاتلين. وعندما يدفعون ثمن قتال حتى الموت، فلا يتوقعون أقل منه." أحنى أماتيوس جذعه إلى الأمام ولكم ماركوس بخفة على كتفه. "لذلك

عندما تكون في الحلبة مع فيراكس، واحد منكما فقط سيخرج حياً. فلتحفظ هذا جيداً في ذهنك. واضح؟"

أومأ ماركوس برأسه.

"فانهض على قدميك إذاً. أمامنا الكثير من العمل."

لم ينم ماركوس عشية القتال. جلس مسنداً ظهره على جدار الزنزانة البارد. وسمع من حين لآخر من زنازين أخرى، صوتاً أشبه بصوت رجل يتقلب فوق فراشه القشي، أو يبرطم وهو نائم. و مرة سمع صوت بكاء وصوت أنين حاد، قبل أن يدخل حارس إلى الممر بين الزنازين ويصيح بالرجل أن يصمت. لم يشعر ماركوس بالوحدة أو الخوف كما هو الآن، برغم كل ما تحمله منذ أن سرقت منه أمه والحياة السعيدة التي كان يعيشها. حاول أن ينحي كل تلك الأفكار جانباً، ويركز على القتال القادم. وكان أماتيوس محقاً. سيحاول خصمه أن يهاجمه ويستخدم تفوقه في الحجم ليهزمه. أما هو فيحتاج إلى تركيز كل دهائه وأن يكون يقظاً لتجنب هجمات فيراكس. ووجد ماركوس نفسه بعد برهة يتساءل حول فيراكس. ما الذي يفكر قيه السلتي الآن؟ أهو صاحٍ أيضاً يخطط لمعركته، يعذبه الخوف وغير قادر على النوم؟

أخيراً ملأ ضوء الفجر الخفيف النافذة المقضّبة بالحديد في أعلى الجدار، مرسلاً حزمة ضوء ضعيفة على باب الزنزانة. وعندما أصبحت ظلال قضبان النافذة أكثر وضوحاً على الجدار، والغرفة أكثر إنارة. نهض ماركوس عن فراشه الملفوف تحته، ومدد جسمه للتخفيف من تيبس عضلاته. كان متعباً، لكنه أدرك أن التدريبات

المنهكة في الأشهر المنصرمة ونصائح أماتيوس في الأيام القليلة الماضية قد غيّرته. لم يعد ذلك الصبي الصغير البريء الذي كان يجري في بساتين الزيتون في مزرعة والده. لقد أصبح مصارعاً. واليوم سيختبر مهاراته. فإن قتل يكون كل شيء قد انتهى. وأمه ستموت وحيدة منسية. وإن ربح، عندها سينتعش أملهما من جديد.

سمع قعقعة المعدن عندما انفتح الباب في نهاية المدخل، ثم وقع أقدام مع فتح كل باب من أبواب الزنازين ثم إغلاقه ثانية. وبعد قليل سحب لسان المزلاج على الجهة الخارجية من باب زنزانته وانفتح الباب. دخل حارس يحمل بين يديه زبدية عصيدة وإبريق ماء. وضعهما بجانب فرشة ماركوس وتوقف قليلا ثم قال:

"من الأفضل أن تأكل هذا." وابتسم قليلاً. "ستحتاج إلى كل قوتك اليوم."

مد ماركوس يده متردداً إلى الزبدية قائلاً: "شكراً."

وعندما خرج الحارس وأغلق الباب وأعيد لسان المزلاج مكانه، حدق ماركوس في العصيدة الكثيفة الرمادية اللون في الزبدية، ثم تناول الملعقة وأرغم نفسه على الأكل.

كانت العصيدة كثيفة ومالحة، لكنه استمتع بالشعور بالدفء الذي خلفته في معدته، فأنهاها بسرعة.

بعد ساعة من الفجر، انفتح باب الزنزانة ثانية ومد أماتيوس رأسه قائلاً: "انهض. حان وقت التجهز بالسلاح."

شعر ماركوس بجسده يرتعش، وهو يلحق مدربه عبر المدخل إلى خارج البناء. كان المصارعون الآخرون بانتظاره في الرتل. ثمانية

رجال ذوي بنية قوية يلبسون تونيكات بسيطة وصنادل، وفيراكس بينهم. لم ينظر إليه أحد، إذ كان الجميع ينظرون إلى الأمام. وتوروس بجانبهم يضرب بعصاه على راحة يده اليسرى.

"الصبي الأخير! خذ مكانك بسرعة!"

أسرع ماركوس ملتحقاً بنهاية الرتل، ووقف متطاولاً بقامته قدر ما استطاع. وحدق بثبات في الجدار أمامه. مشى توروس بخطوات واسعة بجانب الرتل، وهو يدقق النظر في الذين اختيروا للقتال اليوم. وشعر بالرضا لكونهم لم يظهروا أي أمارات خوف. هز رأسه راضياً وبدأ يخطب فيهم بصوته الاستعراضي العالي المعتاد.

"لقد وصل ضيوف سيدنا وهم في فيلته الآن، يتناولون وجبة خفيفة. وهو يقدم لهم سيرة موجزة عن كلٍ منكم، يخبرهم عن نقاط قوة كل واحد منكم وضعفه، من أجلِ المراهنة فيما بينهم. بالنسبة لغير المحظوظين منكم بما يكفي ليكونوا مُفضلين، أنصحكم: لا تخسروا. لن يشكروكم على انتصاركم وسيحرصون على إفشال أي طلب رحمة لكم. ستجري المباراة الأولى في الساعة الرابعة، تليها نصف ساعة استراحة يتناول فيها الضيوف وجبة ويتحدثون. سيتقاتل الصبيان في المباراة الأخيرة. وفي نهاية اليوم هناك مقاتلة وحوش." ثم صمت محدقاً فيهم بقسوة وتابع: "لقد دفع زبائن بورسينو ثمن عرض جيد. لذلك لا أريد أن أرى قتالاً مملاً. ولا أريد أن أرى قتلاً سريعاً. أروهم في البداية بعض مهارات القتال بالسيف. أروهم بعض الدراما قبل أن تنجزوا الخاتمة الجديّة. أتفهمون؟ حسناً

هذه هي نصيحتي. تعرفون ما ينبغي أن تفعلوا. حان وقت ارتداء اللباس الميداني. اتبعوني!"

استدار توروس فجأة ومشى بخطوات سريعة نحو مخزن الأسلحة، ثم لحق به المصارعون وأماتيوس. تحفظ الأسلحة والدروع بأمان في بناء مغلق بنوافذ صغيرة تسدها قضبان حديد قوية. في الداخل كومة من الرماح، رماح ثلاثية الرؤوس، سيوف وسكاكين، بالإضافة إلى الخوذ ودروع الجسم، وواقيات أذرع، ودروع سيقان، والشباك الثقيلة التي تستخدم من قبل المصارعين الذين يتدربون ليصبحوا مصارعي شباك الرجال الذين يقاتلون بالرماح الثلاثية الرؤوس والشباك. نظر ماركوس إلى الأسلحة وهو يغالب رجفة في جسده. أمرهم توروس أن يصطفوا في رتل أمام طاولة متينة، بينما كان هو وأماتيوس يسلمون الأدوات.

"الرجل الأول هيرمون!"

تقدم النوبي الطويل الذي كان واقفاً في أول الرتل.

تفرسه توروس بسرعة وقال: "أنت ستقاتل بالدرع الثقيلة. خوذة، درع كبيرة، ترس، درع ساق يمنى وسيف قصير."

أومأ أماتيوس برأسه واختار الأسلحة والدرع من حيث كانت مخزنة وجلبها إلى الطاولة. بينما بدأ النوبي بربط رباطات درعه، نظر ماركوس خطفاً إلى خصمه. كان فيراكس يقف مشدود القامة، وينظر إلى الأمام. برغم أنه بدا ساكناً تماماً ومسيطراً على نفسه، رأي ماركوس حبيبات العرق تسيل على رقبة السلتي. وأصابع يده

اليسرى ترتعش قليلاً وساقاه ترتجفان. وهكذا، فكر ماركوس أن خصمه كان خائفاً مثله. وهذا قد يساوي بين حاليهما.

تقدم المصارعون الواحد تلو الآخر لاستلام تجهيزاتهم، وكان يكسر الصمت المخيِّم على المكان صوت توروس، صليل المعدن وحركة أصابع الرجال وهم يربطون بكلات معداتهم. وما إن انتهى المصارعون من لبس دروعهم حتى وجدوا المكان المناسب ليرفعوا سيوفهم، ويختبروا مقدار توازن الأسلحة.

استلم فيراكس تجهيزاته، ومن بعده ماركوس. فحمل كومة الأسلحة والدروع، ملاحظاً الشقوق في الدروع الجلدية وسطح الترس. واتجه إلى أحد المقاعد المصفوفة على طول الحائط، وضع المعدات أرضاً ثم وبعد توقف قصير، التقط أربطة الصدر والظهر وبدأ يربطها حول جسمه. راقبه أماتيوس بعين ثاقبة النظر ثم تنهد وخطى باتجاهه.

شد له أربطة الصدر قائلاً: "هذا لن ينفع. أربطتك رخوة جداً، يا ماركوس."

بينما كان أماتيوس يسوي الأربطة ويختبر متانتها، شخر فيراكس ساخراً. حاول ماركوس أن يتجاهله وأومأ لمدربه: "شكراً."

هز أماتيوس كتفيه. "افعل ما نصحتك به يا ولد. لو ضبطتك تقوم بعمل أخرق كهذا في حلبة التدريب، للكمتك على أذنك. احرص على ربطها بشكل مناسب في المرة القادمة." توقف لبرهة ثم ابتسم باقتضاب. "على افتراض أن هناك مرة قادمة."

"نعم يا سيد."

حمل ماركوس ترسه واختبر ثقله. هذا الترس الصغير أخف وكان معدن الزر سميكاً كفاية ليحمي يده من الضربات. والسيف أخف من تلك السيوف التي استعملوها في التدريب، وقد سُنّ حده حتى أصبح مميتاً. أمسك قبضته واختبره ببعض الضربات والطعنات السريعة، متحسساً ثقله وتوازنه.

بعد ما انتهى المصارعون من تسليح أنفسهم، خبط توروس بعصاه على الطاولة. أجلسوا في أزواج متقابلة!

امتثل المصارعون لأوامره، وجلسوا صامتين فوق المقاعد على كلا جانبي مخزن الأسلحة. أومأ توروس للمدرب الآخر.

"ابق هنا وراقبهم. لا توجد مراسم اليوم. فالضيوف يريدون مشاهدة القتال فقط. سأرسل في طلب هؤلاء حالما يبدأ العرض."

عندما ذهب توروس، جلس ماركوس والآخرون صامتين، منتظرين. نظر ماركوس من زاويتي عينيه إلى المصارعين الآخرين، متسائلاً كيف يمكن أن يبدوا هادئين في مواجهة الموت. كان فيراكس قبالته يحملق فيه بعينين ثاقبتين وجاحظتين غضباً. بعد فترة من التحديق المضاد، نقل ماركوس بصره بعيداً، مثبتاً نظره على خوذة على الرف فوق خصمه، والتي سقط شعاع ضوء من خارج الغرفة على واقيتي خديها فتوهجتا بألوان الطيف.

مرت ساعة طويلة جداً، قبل أن تميز أذنا ماركوس أصوات ضحك خفيف وثرثرة حماسية، فخمن أن المتفرجين أصبحوا في أماكنهم على المنصة بجانب الحلبة. كان تخمينه صائباً. لقد عاد توروس سريعاً ووقف باب المستودع وقال: "أول زوجين! اتبعاني!"

نهض الأربعة. مصارعا الدرع الثقيلة والثراثيان المسلحان بسيوف معقوفة مرعبة المنظر. خرجا من مستودع الأسلحة، وسمع ماركوس وقع أقدامهما على الحصى المفروش على طول النفق الموصل إلى حلبة المصارعة. خيم صمت مطبق لبعض الوقت قبل أن يسمع ترنيمة المتصارعين.

"نحن الذين على شفا الموت نحييكم!"

سمع ماركوس أيضاً قعقعة خفيفة، وصليل السيوف وبعض صرخات المؤازرة. واستمرت الأصوات لفترة قصيرة وبعدها أطلق المتفرجون: آه. خيبة طويلة تبعها صمت مطبق. لم تكن الأصوات الاعتيادية تُسمع في مدرسة المصارعين، لأنه جرت العادة أن يقفل على بقية المصارعين في براكاتهم، كي لا يجري ما يشتت انتباه المتفرجين عن تسليتهم.

"الزوجان التاليان." صاح توروس عبر باب المستودع.

كان النهار قد قارب على الانتصاف، عندما نودي على ماركوس وفيراكس. حملا أسلحتهما وتبعا توروس إلى النفق الذي قادهم بعد مسافة قصيرة إلى قفص معدني مغلق بجانب الحلبة. كان آخر زوج من الرجال جالسين على مقعدين متقابلين، وبجانب كل منهما سيفه وترسه وخوذته. وأمام القفص حارسان يحملان رمحين، وهما جاهزان لفتح الباب الذي يفضي إلى حلبة المصارعة. عندما دخل ماركوس وفيراكس القفص وجلسا، سمع ماركوس زمجرة ضعيفة فالتفت جانباً ووجد أن هناك قفصاً آخر، مخفياً قليلاً تحت قوس حظيرة المدرسة. وداخل القفص شاهد كتلة فراء غير واضحة المعالم

ثم سمع زمجرة ثانية. عندها عرف أنها ذئاب جاهزة للعرض الأخير. كانت أصوات المتفرجين وصرخات الأطفال الحادة الطاغية على حديث الراشدين بالنبرة الخفيضة، مسموعة بوضوح.

انتظر المصارعون الأربعة، تحت نظرات توروس القاسية. ثم سمعوا صوت بورسينو آمراً من منصة المتفرجين: "التالي!"

"انهضا!" أمر توروس الرجلين الذين أسرعا بالنهوض، لبسا خوذتيهما وربطا أربطتهما تحت الذقن. بعدها حملا ترسيهما وسيفيهما ووقفا باستعداد. أمسك توروس حافة الباب السحّاب بيده ودفعها إلى الاتجاه الآخر فانفتح الباب. عبر الفتحة رأى ماركوس الحلبة، وقد تلون رملها ببقع داكنة. وعندما رفع بصره قليلاً شاهد على المنصة ستة أشخاص راشدين، أربعة رجال وامرأتين وثلاثة صبية. لم يسمح له الوقت بتسجيل تفاصيل وجوههم قبل دخول المتصارعين إلى الحلبة وإغلاق باب القفص.

"نحن الذين على شفا الموت نحييكم! أنشد المتصارعان."

صمت قصير، ثم صافرة حادة وبدأت المباراة. أجفل رنين السيوف ماركوس، فتحرك إلى حافة المقعد بحيث يستطيع أن يرى داخل الحلبة، عبر الفتحات في بناء الحظيرة. كان من الصعب رؤية أشكال المتصارعين إلا لمحات جزئية وسريعة. وبعيداً عن تبادل الضربات المترافقة مع النخير، لم يسمع إلا ضجيج ضعيف. فقد كان المتفرجون يتابعون القتال باستغراق. أشاح ماركوس بوجهه يعتريه شعور بالغثيان. قد يحين دوره في أي لحظة الآن، وقد سيطرت عليه

قناعة مفاجئة أنه سيخسر المبارزة، ويموت فوق الرمل ببطء، إن نجح فيراكس في هزيمته.

سمع ضربات سيوف سريعة واصطدام، عندما ارتطم أحد المتصارعين بمقدمة القفص. وحجب جسد الرجل الضوء الذي كان يصلهما عبر الفتحات. كاد ماركوس يقفز عن المقعد عندما شاهد رأس السيف المدمى ينفذ من بين عمودي الحظيرة. ارتخى الجسد قليلاً، ثم ندّ عنه أنين عميق عندما سحب السيف. تبعته سقطة خفيفة على الأرض عندما وقع الرجل الميت على الرمل.

بعد لحظة، انفتح باب القفص ودخل الرجل الناجي متعثراً ودائخاً. كان في فخذه جرح كبير ترك وراءه خيطاً من الدم على الأرض، وهو يمر بين الصبيين في القفص إلى النفق الذي يقود إلى مجمع الأبينة في المدرسة. وعبر الفتحة رأى ماركوس عبدين يقتربان من جثة الآخر، ويجرانها بعيدا عبر الحلبة.

انتظر توروس حتى أخرجت الجثة كلياً من الحلبة، قبل أن يلتفت إلى ماركوس وفيراكس ويشير لهما باتجاه الحلبة.

"إنه دوركما! اخرجا الآن!"

24

أخذ ماركوس نفساً عميقاً ثم رنَّم هو وفيراكس: "نحن الذين على شفا الموت نحييكم!"

وقفا أمام المتفرجين مشدودي القامة، الذراع التي تحمل السيف مرفوعة باتجاه الجماعة الرومانية المرتدية ملابس فاخرة. لاحظ ماركوس أن اثنين من الرجال يجلسان بجوار امرأتين. وعرف الرجل الثالث، إنه الرجل الذي تفرج على المتصارعين قبل بضعة أيام برفقة بورسينو. وكان الرابع طويل القامة عريض الكتفين، ذا شعر أسود مرسل إلى الخلف يجلس في مقعد الشرف وسط الأرائك المرتبة لتطل على الحلبة الرملية. كان يقوم الصبيان بنظرة باردة. بعد ذلك تشتت تركيزه عندما جلس أحد الأطفال، فتاة على الأغلب من عمر ماركوس، بقربه على الأريكة.

"انتبهي! بورشيا!" صاح الرجل.

"آسفة يا خالي. أردت فقط أن أشكرك لأنك جلبتني معك."
انحنت إلى الأمام وطبعت قبلة على خده، ثم نهضت بسرعة وعادت تنضم إلى الصبيين اللذين كانا يناقشان بصخب: "أي من المتصارعين سيكسب المصارعة الأخيرة؟"

"لا بد أن السلتي سيربح. انظر إلى حجمه!"

"بالتأكيد، سيسحق الصبي الآخر."

"إنه أكثر قوة بدنية."

"بمَ تراهن على الصبي الصغير؟"

"واحد إلى خمسة. لكنك ستخسر نقودك. صدقني!"

كان ماركوس وفيراكس لا يزالان واقفين وسيفاهما مرفوعان عالياً وبورسينو ينظر إلى زبائنه، منتظراً منهم إشارة البدء. من جهة أخرى، كان الرجل الجالس وسط المنصة، يتحدث بصوت خفيض إلى أحد مرافقيه. عبس بورسينو قليلاً ثم تنحنح. نظر الرجل إلى بورسينو، ثم إلى الأولاد على المنصة، وأومأ لبورسينو باقتضاب.

أخذ اللانيستا نفساً عميقاً وصاح: "المصارعان! خذا مكانيكما!"

خفض ماركوس سيفه والتفت إلى فيراكس. ثم تراجع إلى الوراء عشر خطوات. لاحظ ماركوس حركة مفاجئة عند إحدى بوابات الحلبة، حيث دخل حارسان يهرولان واتخذا موقعين متقابلين على طرفي الحلبة، حيث يوجد مقبضان خشبيان لقضيبي وسم في مجمرتين صغيرتين. أمسك كل منهما المقبض الخشبي، ورفع قضيب الوسم ذا الرأس الأرجواني المتوهج، ووقفا بجانب عمودين خشبيين

مستعدين لنخس الصبيين بالحديد المحمى، إذا ترددا في استخدام سيفيهما.

"لا أحتاج قضيباً ينخسني كي أقاتل." قال فيراكس بصوت خفيض، وهو يقف على أهبة الاستعداد، رافعاً السيف والترس عالياً. "لكنك قد تحتاجه أنت يا ماركوس."

كزّ ماركوس على أسنانه ووقف متوازناً، بانتظار إشارة البدء.

صدح صوت بورسينو معلناً: "المباراة الأخيرة لهذا اليوم! السلتي فيراكس ضد ماركوس، من إقطاعاتنا اليونانية."

للحظة تساءل ماركوس إن كان عليه أن يستدير إلى المتفرجين، و يدعي أنه مواطن روماني. قد يستطيع أن يطالبهم بإنصافه قبل أن يبدأ القتال. فقد ينقذ ويحرّر حتى... لكن قبل أن تتطور هذه الأفكار أكثر من ذلك، كوّب بورسينو يده حول فمه ونادى: "قتال!"

انطلق فيراكس إلى الأمام مزمجراً وقافزاً فوق الرمل. ثبت ماركوس قدميه في الأرض ورفع ترسه عالياً. في اللحظة الأخيرة قفز جانباً، فمر فيراكس أمامه باندفاعة قوية. ضرب ماركوس يائساً ذراع فيراكس، لكن رأس سيفه قطع الهواء قريباً منها من دون أن يصيبها. وفي الحال استدار ماركوس في مكانه ليواجه خصمه، وتقدم إلى الأمام مهاجماً كما تعلّم خلال التدريب. تحرك فيراكس في اللحظة المناسبة ليتجنب ضربة وجهها ماركوس إلى كتفه. وقفا واتخذا وضعية الاستعداد، وكلاهما يحملق في الآخر. شعر ماركوس بقلبه يضرب أضلاعه، كما انتابه شعور فريد بالفرح الغامر.

"قلت لك!" قال الرجل الذي اختارهما للمصارعة، وهو يقبض على ذراع الشخص الآمر الذي يجلس في مقعد الشرف. "عرفت أن هذين الصبيين سيقدمان لنا عرضاً رياضياً جيداً، يا يوليوس!"

نقر الرجل الآخر على ذقنه ورد قائلاً: "بكم تراهني على فوز الصبي الأصغر؟"

"الأصغر؟ دعنا نرى. سبعة لواحد."

"قبلت! أراهن بخمسين ذهبية."

"خمسون؟ حسناً جداً."

ضاع صوتهما عندما أطلق فيراكس صرخة ثانية، وتقدم مهاجماً ماركوس وهو يراقبه بحذر. عندما انخدع ماركوس بالجهة التي سيهاجم منها فيراكس، تحرك فيراكس ليقطع عليه طريق الهروب، ثم صحح مسار هجومه، بينما تراجع ماركوس بالاتجاه الآخر متفادياً هجومه.

زمجر فيراكس: "أو. كلا لن تنجو هذه المرة! سأقتلك أيها القزم."

"لا أعتقد." قال ماركوس وهو يجبر نفسه على ابتسامة ساخرة. "أنت أخرق جداً يا فيراكس. وغبي جداً."

ابيضّ وجه الصبي الكبيرغضباً، وزمجر قليلاً قبل أن يتوقف ويضحك. "تعتقد أنك تخدعني حتى أخسر المعركة؟ فكّر ثانية."

هجم فيراكس موجهاً ضربات متتالية، استمات ماركوس بصدها بسيفه وترسه. لم تتح له فرصة أن يبادلها بالمثل خصوصاً أن ذراع فيراكس أطول. أجبر ماركوس أمام هذه الضربات المتتالية على التراجع، منحرفاً باتجاه الحارس الذي يحمل بيده قضيب

الوسم الحامي. كشر فيراكس مبتسماً وهو يجبر ماركوس عمداً، على التحرك باتجاه الخطر. لكن وفي اللحظة الأخيرة، عندما تأكد ماركوس أنه شعر بوهج الحديد وراء ظهره، رمى بنفسه جانباً وتدحرج عبر الحلبة قبل أن يعود ويقف على قدميه.

"أوه! هذا جيد!" صاح الرجل الذي يُدعى يوليوس. "والآن لا تمنحه أي جولة أخرى يا ولد. تماسك وتغلب عليه!"

اسودّ وجه فيراكس عندما سمع هذا التشجيع لماركوس، وأعاد الكرّة فانقض بضربات ميكانيكية وحشية على ماركوس. بينما كان يتفاداها ويصدها بترسه، جفل ماركوس عندما شعر بارتجاج ذراعه المؤلم تحت صدمة الضربات. عرف أنه سرعان ما سيسري الخدر في كتفه تحت وطأة هذا الهجوم الضاري، وقد يضطر أن يفلت الترس.

تراجع فيراكس وهو يلهث. "كلا، ليس الآن أيها الروماني. تريد استفزازي لأقضي عليك سريعاً؟"

هز ماركوس رأسه قائلاً: "أريد أن آخذ وقتي في قتلك."

ردَّ فيراكس ساخراً: "لا تحاول أن تبدو قاسياً. يا حبيب أمك. نعم هذا أنت. ألست حبيب أمك؟ هذا ما سمعته. قزم صغيرعديم الفائدة، أضعف من أن ينقذ أمه من العبودية."

وقف ماركوس ساكناً بلا حراك، يحدق في معذّبه. وشعر بدمه يبرد في عروقه. توقف مفكراً كيف يربح القتال. لقد توقف عن التفكير كلياً. و لم يتبق في عقله سوى الغضب القاتل. وقبل أن يدرك ما الذي كان يفعله. طار إلى فيراكس يسبقه عواء غريب تمزق عن حنجرته، وهو يضرب بسيفه مراراً وتكراراً، يخبط بحد سيفه على

ترس فيراكس، أو على سيفه بينما يتراجع السلتي أمام ضرباته، وقد علا وجهه الخوف والدهشة.

وحدهما الرغبة والغريزة البهيمية قادتا ماركوس في هجومه وضرباته هذه. وسمع صرخة عندما ضرب حد سيفه عضلة ذراع السلتي اليسرى التي تحمل الترس. هوى الترس إلى الأسفل فضرب ماركوس ثانية، وهو يراقب حافة الترس تهوي إلى الأمام وتكشف ساعد خصمه. خبط الترس على الرمل، وسقطت بقربه قطرات من الدم. فاستدار فيراكس إلى الجانب الآخر محاولاً الدفاع عن نفسه بالسيف وحده الآن. ضرب ماركوس بقوة، تاركاً فيراكس يتفادى الضربة. وعندما هوى السيف جانباً دفع ماركوس ترسه نحو وجه السلتي. وسمع صوت تحطم عندما سحقت الترس أنف فيراكس الذي تأوه من شدة الألم، وهو يترنح إلى الوراء والدم يسيل فوق شفتيه وذقنه. ضرب ماركوس ثانية، فرفع فيراكس سيفه عالياً ليصد الضربة. في هذه اللحظة، أقعى ماركوس أرضاً وطعن السلتي في فخذه، فخرج رأس سيفه من الجهة الأخرى وهو يقطر دماً. في محاولة أخيرة يائسة لإنقاذ حياته، قفز فيراكس على ماركوس ورمى نفسه عليه. وقع الاثنان على الرمل. للحظة شاهد ماركوس السماء زرقاء وصافية، ثم تدحرج مبتعداً عن فيراكس. علق سيفه تحت جسد خصمه، وانفلت من بين أصابعه وهو يتدحرج.

وثب ماركوس على فيراكس الذي كان لا يزال دائخاً، وهو يحاول أن ينهض على ركبتيه. أطاح الترس السيف من يد السلتي، عندها ضربه ماركوس بقوة على صدغه ضربات متتالية، قبل أن

ينقلب فيراكس على ظهره هامداً، رأسه فقط يتأرجح من جهة إلى أخرى وعيناه ترمشان.

بجهد وقف ماركوس على قدميه، مترنحاً من شدة التوتر والإجهاد. الآن وفيراكس ممدد أمامه لا حول ولا قوة، تلاشى غضب القتال وعاد العقل مكانه. نظر حوله، فرأى سيفه فأسرع والتقطه. وبينما كان عائداً إلى فيراكس، انتبه إلى جرح بليغ تحت مرفقه الأيسر، حتى نه لم يستطع أن يتذكر الضربة التي تسببت له بهذا الجرح. سرت نوبة ألم حارقة في ذراعه عندما لمس الجرح بأصابعه. ثم جثا على ركبتيه بجانب رأس فيراكس، رفع نصل سيفه فوق حنجرة خصمه العارية وتردد. حدق في فيراكس مشوشاً وعاجزاً. فقرّب ماركوس حد السيف على مسافة إنش واحد من حنجرة السلتي ونظر إلى توروس. فأشار له رئيس المدربين بيده إشارة ذبح سريعة وأومأ برأسه: اذبحه.

أخذ ماركوس نفساً عميقاً وحاول أن يقوي قلبه، لكنه برغم ذلك لم يستطع أن يقطع حنجرة فيراكس. وبدلاً من ذلك نظر إلى المنصة، نحو أولئك المتفرجين المترقبين. وبدا الرجل في الوسط متفاجئاً.

"ماذا تنتظر؟"، سأل مرافقه. "أجهز عليه!"

"أجهز عليه!" كرر الآخرون باستثناء الرجل و الفتاة بورشيا.

هز ماركوس رأسه وأشار إلى قائد المجموعة الرومانية. "ماذا تقول يا سيد؟"

بقي الرجل ساكناً لحظة، حاجباه مقطبان وهو يفكر. بعد ذلك هز كتفيه. "أنا أقول اقتله."

بقي ماركوس ساكناً برهة. ثم نهض واقفاً وطوّح بسيفه جانباً.

"ما الذي تعتقد نفسك فاعله؟" انطلق توروس كالصاعقة من جانب الحلبة. "التقط سيفك اللعين واقتله!"

"كلا." رد ماركوس بحزم. "لن أقتله."

"ستقتله وستقتله الآن. وإلا قتلته بنفسي ثم أقتلك بعده."

هز ماركوس كتفيه لا مبال. شعر بجسده يبرد بسبب ألم جرحه المبرح، والدم الذي يسيل حتى أصابع يديه وينقط على الرمل.

سار توروس إلى سيف ماركوس والتقطه قبل أن يتجه نحو فيراكس. وقف فوق السلتي الدائخ ورفع السيف عالياً، كان على وشك أن يغرزه في حنجرة الصبي.

"توقف!" صاح الرجل من على منصة المتفرجين، بصوت ارتجت له الحلبة. "الصبي يعيش. لقد قرر المنتصر مصيره. وهكذا ينقضي الأمر." في أي حال قال بابتسامة خفيفة: "لكني لن أتسامح مع أي استخفاف يصدر عن عبد. بورسينو قل لرجالك أن يخرجوا السلتي من الحلبة. وليبق هذا الذي من غارسيا."

نظر بورسينو مندهشاً. "يبقى؟ ولماذا يبقى؟"

سدد إليه الرجل نظرة غضب وقال: "لأن يوليوس قيصر يقول يبقى. هذا هو السبب. يبقى ويقاتل الذئبين اللذين تحتفظ بهما للمصارعة الأخيرة. إن خسر المعركة يكون هذا هو ثمن تحديه لنا. أحضر ذئبيك، يا بورسينو."

25

فتح صاحب مدرسة المصارعة فمه ليعترض، لكن خوفه من إغضاب ضيفه صاحب النفوذ جعله يومئ برأسه: "كما ترغب."

التفت ناحية الحلبة. "توروس! أخرج السلتي والحراس وليبق ماركوس حيث هو. واجلب له سيفاً و..."

"كلا." قال قيصر مقاطعاً. "سيقاتل بالخنجر. ما دمت سأخضعه للاختبار."

"حسناً يا سيد. فليكن خنجراً. توروس، أعطه خنجرك."

امتثل رئيس المدربين لأمر سيده، وهو يدمدم مخاطباً ماركوس: "احرص عليه. لقد كلفني ثروة. سأحملك مسؤولية أي ضرر يلحق به."

رد ماركوس متجهماً: "إذا حدث أي شيء للخنجر، فمن المرجح أن يكون قد حدث لي يا سيد."

"هل من نصيحة كيف أصارع الذئبين؟"

"نعم." قال توروس وشفتاه تنفرجان عن ابتسامة نادرة وهو يمرر يده على شعر ماركوس. "ابق بعيداً عن فكيهما."

استدار وخرج من الحلبة، مغلقاً باب قفص المصارعين وراءه. بعد لحظة عاد وظهر فوق البوابة المفضية إلى حظيرة الحيوانات. كان هناك حبل مربوط إلى أعلى كل بوابة من بوابات الحظيرة، وينتهي إلى بكرة معلقة في أعلى الإطار الخشبي. توقف ونظر إلى ماركوس في الأسفل. "مستعد؟"

نظر ماركوس حوله في الحلبة. الحلبة خالية إلا من بقع داكنة هنا وهناك، حيث امتص الرمل الدماء التي سالت فوقه، وهو والمجمرتان فقط. تباطأ النزف من جرح ذراعه الأيسر، وتجمد الدم على حافتي الجرح. لكن ذراعه تؤلمه كثيراً كلما حاول أن يحركها وستكون عديمة الفائدة في المعركة التالية. سيضطر للاعتماد على الخنجر فقط. أخذ نفساً عميقاً ثم نظر إلى الأعلى وقال: "مستعد."

أمسك توروس بالحبل فوق إحدى البوابتين وجذبه. صرّت البكرة بحدة تحت ثقل الحمل وارتفع أسفل البوابة ببطء عن الرمل. وفي الحال شاهد ماركوس مخالب وخطماً أسود لذئب يدفع البوابة ليخرج من القفص. رفعت البوابة بارتفاع ركبة قبل أن يستطيع الذئب أن ينحشر تحتها ليخرج إلى الحلبة. نهض من تحت البوابة متقهقراً، رأسه منخفض وعيناه مثبتتان على ماركوس. حتى هذه اللحظة كان ذهن ماركوس مشوشاً بشعور الارتياح لهزيمته فيراكس، بألم الجرح وبالأمل أنه قد يحيا لينقذ أمه. و لم يخف من

فكرة مصارعة ذئبين. فإن كانا مثل الذئاب التي عرفها في التلال حول المزرعة، فسيكونان حيوانين مثيرين للشفقة يخافان من خيالهما.

لكن الذئب الذي يواجهه مختلف كلياً عن الذئاب التي عرفها. فهذا الذئب أكبر وله فراء أشعث، إضافة إلى أنه قد جوع ونخس، وكانت علامة الحرق واضحة على فرائه. وكان تجعد شفتيه يكشف عن أنيابه وهو يراقب ماركوس. زمجر الذئب. وعرف ماركوس أنه لن يرحمه، وسيثب عليه ويمزق حنجرته عندما تتاح له الفرصة. هذا هو المشهد الذي أطلق عنان الرعب الذي اجتاح جسد ماركوس، وارتعدت له فرائصه.

أفلت توروس الحبل فارتطمت البوابة بالرمل. وانتقل إلى الحبل الثاني، أمسكه وجذبه رافعاً البوابة سامحا للذئب الثاني أن يخرج. استدار الحيوانان في مواجهة أحدهما الآخر وزمجرا. للحظة أمل ماركوس أنهما قد ينشغلان عنه بصراعهما، غير أن رابطة طبيعتهما ورائحة الدم ومنظر الطريدة وحدهما غريزياً. فمشى الذئب الأول على طول محيط الحلبة وعيناه مثبتتان على ماركوس. توقف عند بقعة دم فوق الرمل، شمّها ثم لحسها. راقبه ماركوس برعب ساحرٍ. وغفل عن تحرك الذئب الآخر وهو يقترب منه بحركة أقرب إلى الزحف على بطنه. وعندما التفت إليه رأى أنه كان على مسافة خمسة عشر قدماً تقريباً. فتراجع خطوة، غير أن زمجرة من ورائه جعلته ينظر من فوق كتفه. ليرى أن الذئب الآخر كان يقترب منه أيضاً.

منقلاً بصره بين الذئبين، تراجع ماركوس إلى الوراء نحو حافة الحلبة أمام المتفرجين. سرت قشعريرة باردة في جسده وتصبب العرق من مساماته و لم يجرؤ حتى أن يرمش وهو يتحرك بثبات، ثم انحنى ورفع خنجره عالياً وهو يتحرك. ومن حين لآخر ينهض أحد الذئبين جسده عالياً عن الأرض ويجري مسافة قصيرة مقترباً من ماركوس ثم يتوقف. سرعان ما شعر ماركوس بقضبان الحظيرة وراء ظهره فتوقف وقد أدرك أن الذئبين سيثبان عليه في أي لحظة.

"إنه خائف." قال صبي صغير من على المنصة.

"طبعاً هو خائف." ردت الفتاة. "أعتقد أنك كنت ستخاف أيضاً لو كنت مكانه."

نظر ماركوس نظرة خاطفة، والتقت عيناه بعيني الفتاة المليئتين بالشفقة.

"وماذا يخيفه؟" سأل الصبي. "إنهما مجرد كلبين. ما عليه سوى أن يصرخ بهما آمراً، وسيهرولان أمامه كالجراء."

"لا أعتقد ذلك." رد عليه صوت رجل، وعرف ماركوس أنه صوت الرجل الآمر على المنصة، الرجل الذي يدعى يوليوس قيصر. "إنهما متوحشان، ومميتان."

"لا أستطيع أن أرى بشكل جيد!" بدأ صوت الصبي الآخر. "خالي يوليوس، قل له أن يتحرك حيث أستطيع أن أراه."

تجاهل الرجل الصبي، وخيم صمت مطبق عندما اصطف المتفرجون عل طول درابزون المنصة وتطاولوا إلى الأمام ليشاهدوا الصبي وهو يواجه الذئبين. كل ما استطاعه ماركوس هو انتظار

الذئبين أن يتحركا. خيّم على المكان صمت مطبق ما خلا صخب ضخ الدم في أذنيه. ثم كانت هناك حركة مبهمة عندما وثب أحد الذئبين عليه. انحنى ماركوس عندما ارتطم أحد الذئبين بقضبان الحظيرة وفتل ليعضه، وقد أشهر مخالبه. فصرخ ماركوس من شدة الألم في ذراعه المجروح ودفع بخنجره. فشلت الطعنة الأولى، فضرب ثانية وكانت النتيجة عواءً حاداً. وبمعزل عن تثبيط همة الذئب، بدا أنه قد زاد في غضبه إذ إن الذئب هاجم ثانية وغرز أنيابه في الدرع الجلدية فوق كتفي ماركوس. وبدا يسحق المفصل بين فكيه القويين.

طعن ماركوس طعنات متتالية، شعر بعدها بدفق حار فوق يده. لكن الذئب بقي متشبثاً بكتفه، وهو يهزه ويمزقه فيما كان الذئب التالي يستعد للهجوم على ماركوس من جانبه.

سمعت شهقة من على المنصة، ثم صرخت الفتاة. "سيأكلانه! أرجوكم! ليساعده أحد ما!"

"بورشيا تراجعي عن الدرابزون!"

سمع ماركوس صرخة حادة، تلاها صوت ارتطام جسد الفتاة بالرمل بالقرب منه. وفي اللحظة ذاتها انحرف الذئب الآخر نحوها. رفعت بورشيا ذراعها. فتح الذئب فكيه وأطبقهما على مرفقها فصرخت متألمة.

ينبغي على ماركوس مساعدتها. طعن وطعن في نوبة غضب عمياء جسد الذئب الذي كان لا يزال متشبثاً بكتفه. أخيراً، وبزمجرة اختنقت في حنجرته أفلت الذئب كتف ماركوس من بين فكيه،

وهوى أرضاً آخذاً معه الخنجر من يد ماركوس. ومن دون تفكير قفز ماركوس إلى الذئب الآخر، وأطبق يديه حول حنجرة الحيوان، وراح يعصر قصبته الهوائية. نخر الذئب وهز رأسه، مسبباً المزيد من الألم للفتاة التي صرخت ثانية، متألمة من انغراس أنياب الذئب عميقاً في لحم ذراعها. أفلت ماركوس إحدى يديه عن رقبة الذئب وراح يلكم خطم الحيوان بأقوى ما يستطيع. أفلت الذئب ذراع بورشيا، متراجعاً بضع خطوات قبل أن ينطلق في هجوم آخر.

صرخ ماركوس: "اختبئي ورائي." ثم رمى بنفسه بين الذئب والفتاة. وقال: "ابقي ورائي."

بدا له وهو يحدق في الذئب أن الزمن يسير ببطء، وأدرك في اللحظة ذاتها أشياء كثيرة. صرخات هلع المتفرجين. نزول توروس عن سور الحظيرة. ووقوف بورسينو متجمداً رعباً في مكانه، والألم المبرح في يده والرعب الذي يملأ قلبه. كان الذئب يستعد للوثب من جديد. ونصل الخنجر الذي يلمع وسط الرمل، على مسافة ستة أقدام عن يمين ماركوس. شدَّ ماركوس ساقيه ورفع يديه، وعندما وثب الذئب عليه قفز بدوره إلى اليمين مصطدماً معه في الهواء ووقعا معا على الأرض. كتلة من الفراء تتلوى ومخالب وأنياب تنهش وتضرب في الفراغ أمام وجه ماركوس. مرتعداً، أمسك ماركوس بيده اليسرى الفك السفلي للذئب ودفعه نحو الأعلى بكل قوته. بينما امتدت يده اليمنى تتلمس بعصبية طريقها إلى الخنجر فوق الرمل. لمست أصابعه نصل الخنجر، فبحثت عن قبضته وأطبقت عليها بقوة، في اللحظة التي تحرر فيها الذئب من قبضة يده اليسرى.

أرجع الذئب رأسه الأشعث إلى الوراء وفتح فكيه. شعر ماركوس بحرارة نفس الذئب، مثل قماش سميك يطبق على وجهه وهو على وشك أن يطبق فكيه على حنجرته.

لمع نصل الخنجر في الهواء، وانغرست مقدمته في إذن الذئب محطمة جمجمته ونفذت إلى دماغه. فانتفض جسد الذئب وسقط فوق ماركوس حيث ارتعش قليلاً قبل أن يهمد وينطفئ. ملأت رائحة الحيوان المسكية الحارة منخريه، عندما غطى فراؤه وجهه. جاهد ماركوس ليحرر نفسه لكن الألم غير المحتمل في ذراعه اليسرى ونزف الدم كانا يتسببان له بالدوخة. أزاحت يد جثة الذئب عنه، وتحلقت فوقه بضعة وجوه.

دمدم ماركوس: "هل الفتاة بخير؟" ثم غاب عن الوعي.

26

حلم ماركوس أنه في مزرعتهم. كان يوماً صافياً من أواخر الربيع، الأرض حافلة بكل أنواع براعم الزهور، والأوراق الخضراء تتوهج على الأشجار. حممته الشمس بأشعتها الدافئة والفراشات والحشرات الأخرى تطير من حوله وتئز نعسانة. كان قد خرج للصيد لكنه لم يصطد شيئاً. برغم ذلك، كان سعيداً وراضياً عندما نزل درباً بين بساتين الزيتون، يفضي إلى بوابة المزرعة. ابتهج قلبه لرؤية أمه وأبيه ينتظرانه هناك، يبتسمان ويشيران إليه. ركض ماركوس إليهما تسبقه ذراعاه لعناقهما.

عندئذ وبعد ما تقلصت المسافة الفاصلة بينهما إلى عشرين خطوة، بدأت صورة والديه تتلاشى حتى أصبحا ظلين.

"كلا." أَنَّ ماركوس وهو يتقلب.

وكما تحوّل والداه إلى ظلين، كذلك بدأت المزرعة تتلاشى

ويزداد الهواء من حوله ظلمة تحجب المشهد عنه. صرخ يائساً: "أمي. أبي. لا تتركاني!"

شعر بحرقة ألم حاد يسري في جنبه. استيق ومن بين أجفانه نصف المطبقة، رأى نفسه في غرفة بسيطة بيضاء الجدران، لها باب يفضي إلى رواق بصف أعمدة يطل على حديقة فناء رائعة التنسيق. عرف المكان فوراً، وأدرك أنه كان في فيلا بورسينو. سمع حركة بجانبه، أدار رأسه فرأى رجلاً يطل عليه من على كرسي بدون ظهر.

"يؤسفني أني لست والدك." قال الرجل مبتسماً: "برغم أني عرفت بضع نساء في حياتي، يبدو أن الأمر كان مستحيلاً." وضحك من أعماق قلبه ضحكة دافئة.

حدّق فيه ماركوس قائلاً: "أنا أعرفك. أعتقد اني أعرف هذا الوجه." عندها اتضحت الصورة في ذهنه. هذا هو قائد حفلة السمر الرومانية الذي جاء لمشاهدة عرض المصارع.

"لم نتعارف بشكل رسمي. أنا أدعى جايوس يوليوس قيصر." قالها بطريقة من يتوقع أن يكون للاسم وقع مميز لدى ماركوس. لكن ابتسامته بهتت عندما لم يبدِ ماركوس أي تفاعل. "في أي حال، أردت أن أكون هنا عندما تستعيد وعيك. أردت أن أشكرك لأنك أنقذت حياة ابنة أختي بورشيا."

أغمض ماركوس عينيه قليلاً، مجبراً نفسه على التركيز.

"الفتاة التي سقطت في حلبة المصارعة؟"

"نعم."

"هل سلمت؟"

"نعم. إنها بأمان تام. قام جراح بورسينو بخياطة جروحها بطريقة جيدة، وقال إنها ستشفى منها نهائياً. شكراً لك." وانحنى قيصر إلى الأمام مسنداً مرفقيه على فخذيه. كان يلبس تونيكاً أحمر رائع التطريز. وقال مازحاً: "هذه المرة كانت حادثاً. لكن من يحزر ما قد تكون في المرة القادمة؟"

"المرة القادمة؟"

حدق قيصر في ماركوس. وخيم الصمت على الغرفة لحظة. "أعتقد أني قضيت فترة طويلة خارج روما. يبدو أنك لم تسمع باسمي، أيها الصغير."

"كلا، يا سيد." قال ماركوس. وسرعان ما خطرت له فكرة وشعر بدفقة أمل مفاجئ. "هل تعرف الجنرال بومبيوس؟"

"ومن لا يعرف الجنرال بومبيوس؟ أعظم رجل في روما؟"

"أهو من أصدقائك؟"

"بومبيوس العظيم؟" فكر قيصر للحظة وهز كتفيه قائلاً: "أشك بأن أي رجل عظيم حقاً، قد يحصل على أصدقاء حقيقيين. أما أعداء فنعم."

شعر ماركوس بالأمل ينسرب من جسده. "أنت عدوه إذاً؟"

"كلا. القضية هي أني لا أطمح إلى صداقة رجل عظيم مثله. ليس بعد." عاد قيصر واستوى في جلسته على الكرسي. شد جذعه وكأنه يجلس على عرش وقال: "لقد أسديت لي خدمة عظيمة، يا ماركوس. مع ذلك لك عندي عمل آخر تقوم به. برغم أنك لم تسمع بي، فأنا صاحب نفوذ في روما، وقريبا سأمتلك مزيداً من

السلطة. وهذا يعني بشكل طبيعي أن أعدائي أنا وعائلتي سيزدادون عدداً. وحادثة اليوم ساعدتني على اتخاذ قرار. أنا أحتاج إلى حارس شخصي لبورشيا. حارس قوي، ماهر في استخدام الأسلحة وشجاع في الوقت نفسه. شخص لا يلفت الانتباه. شخص لا يوحي لأعدائي بأنني خائف منهم. وقد قررت أن صبياً من عمرك لن يلفت انتباه أحد. لهذا قررت أن أجعل منك حارساً شخصياً لبورشيا. هذا هو عملك من الآن فصاعداً حتى أجد لك عملاً آخر."

اتسعت عينا ماركوس دهشة. "أنا؟ لكن يا سيد، أنا لي سيد. أنا ملك بورسينو."

"ليس بعد الآن. لقد اشتريتك منه ظهر هذا اليوم، بينما كنت نائماً. دفعت له مبلغا جيداً يساوي ثمن مصارع تام التدريب. وهو سعيد جداً بهذه الصفقة. أوه.، من الآن فصاعداً، تناديني سيدي وليس سيد. أتفهمني؟"

"نعم يا سيدي."

"عظيم!" قال يوليوس وهو يضرب كفاً بكف. "اتفقنا إذاً. وستمكث هنا حتى تشفى جراحك بما يكفي، ليصطحبك أحد رجال بورسينو إلى بيتي في روما لتلتحق بخدمي. وهناك نوضح لك طبيعة مهماتك. كيف يبدو لك هذا، يا ماركوس؟"

أطرق ماركوس وفكر للحظة. سيترك أصدقاءه على قلّتهم. وسيفتقد رفاقه الثلاثة في المربط الأقرب إليه من البقية. لكن هذا يبقى ثمناً بخساً لخطوة تقرّبه أكثر من الجنرال بومبيوس، وما يأمل أن تنتهي إليه قضيته. رفع ماركوس بصره إلى قيصر وأومأ.

"هذا يشرّفني يا سيدي."

نهض الرجل واقفاً وقست تعابير وجهه وهو يقول: "لقد شكرتك على ما فعلته من أجل ابنة أختي. هذا يكفي. ولن نذكر الأمر ثانية. واعتباراً من هذه اللحظة، لا تنس أبداً أنك عبدي. هل هذا واضح؟"

"نعم يا سيدي."

"لقاؤنا الثاني سيكون في روما. أتمنى لك شفاءً سريعاً."

ومن دون أن ينتظر ردّه، استدار قيصر وسار مغادراً الغرفة، تاركا ماركوس مع أفكاره. خفت وقع خطواته وهو يبتعد حتى خيم الصمت، ولم يعد هناك إلا زقزقة العصافير. ماركوس وحده الآن في الغرفة، يحدق في السقف وهو يشعر بأمل أكبر من أي وقت مضى. صباح هذا اليوم كان خائفاً من أنه لن يحيا ليرى صباح يوم آخر. وبرغم تغلبه على فيراكس، كان سيُحكم عليه بمتابعة التدريب كمصارع، يواجه خطر مصارعات كثيرة قبل أن تتاح له فرصة كسب حريته. والآن سيكون حارساً شخصياً لفتاة رومانية أرستقراطية مدللة، يعيش في قلب روما، مع فرصة كبيرة للعثور على الجنرال بومبيوس وعرض مشكلته أمامه. نعم تنهد بطمأنينة. لقد تغيرت الحياة نحو الأفضل.

"أنا لا أزعجك. هل أزعجك؟"

التفت ماركوس بسرعة ناحية الصوت. وجفل عندما شعر بألم حارق في كتفه.

"أوه!" قالت بورشا وهي واقفة بباب الغرفة تنظر إليه بقلق.

"لم أشأ أن أفاجئك. آسفة، كان يفترض أن أقرع الباب. لم أقرع الباب لاعتقادي أنه لا ينبغي أن أكون هنا. أعتقد أن أبي لن يقبل بهذا التصرف. إنه صديق يوليوس الحميم ويمضي معظم وقته مهتماً بالمظاهر."

بينما كزّ ماركوس على أسنانه منتظراً أن يتوقف الألم، اقتربت بورشيا من فرشته وحدقت فيه قائلة: "أنت تبدو مروّعاً. كدمات وجروح في كل مكان في جسدك، وذراعك مضمدة."

رفع ماركوس يده اليمنى وأشار إليها قائلاً: "وأنت نفسك لا تبدين في حال جيدة."

بالإضافة إلى الجرح عند مرفقها، كان هناك بعض الخدوش، وبعض السحجات على خديها الشاحبين.

تجاهلت بورشيا تعليقه وعبست قليلا. "هل تتألم كثيراً؟"

"نعم."

"أرى ذلك." ثم نظرت إليه ثانية وبادلت تحديقه بمثله ثانية.

"أتمنى لو أني لم أسقط من فوق درابزون المنصة. أتمنى لو أنك لم تضطر أن تتأذى بسببي. أنا آسفة."

قال ماركوس بابتسامة خفيفة: "في أي حال، كنت مضطراً لمقاتلة الذئبين. وكنت سأتعرض للأذى. في الواقع أنا محظوظ بأني ما زلت حياً."

"أنت شجاع جداً." قالت بورشيا بهدوء.

"فعلت ما كان ينبغي أن أفعله."

"نعم. أعتقد ذلك." وأمالت رأسها جانباً قليلاً.

"هل تمانع إن سألتك سؤالاً؟"

زم ماركوس شفتيه قليلاً "كلا. ما هو السؤال؟"

"كنت أتساءل لماذا لم تقتل الصبي الآخر. عندما أتيحت لك الفرصة؟ وقد رأيتُ أنه يكرهك. وما كان ليوفرك لو أتيحت له الفرصة لو كان الوضع معكوساً."

"هذا صحيح. أجاب ماركوس."

"لماذا لم تقتله إذاً؟"

"لقد هُزم. و لم يعد هناك من معنى لقتله. كانت المعركة قد انتهت. بدا لي أن لا معنى لقتله." حاول ماركوس أن يتذكر تلك اللحظة بوضوح أكبر. "لا أعرف. لا أستطيع أن أتذكر اللحظة جيداً. لم يبد لي الأمر صائباً."

حدقت فيه بورشيا ثم ضحكت. "لا تبدو شبيهاً بأي مصارع ممن قابلتهم سابقاً."

"هذا يعني أنك قابلتي بعض المصارعين إذاً؟" قال ماركوس بسخرية مبطنة.

توقفت عن الضحك، وقالت: "نعم، حقاً."

خيّم صمت ثقيل قبل أن تعاود الحديث بلهجة أكثر سلاسة. "يبدو أنك ستصبح حارسي الشخصي. يعتقد خالي يوليوس أنك ستكون هائلاً. من جهتي لدي سؤال واحد أريدك أن تجيبني عنه. هل ستقتل أي شخص يشكل خطراً على حياتي؟"

فكر ماركوس للحظة ثم أومأ. "إن اضطررت إلى ذلك."

"حسنٌ جداً. إذاً ألقاك لاحقاً في روما يا ماركوس." ومضت

ابتسامة على شفتيها وهي تلفظ اسمه. ثم ربتت على يده السليمة وهرولت مسرعة نحو الباب. اختلست النظر يميناً ويساراً، ثم تسللت خارجة من الغرفة ومشت بهدوء وحذر.

سرعان ما غط ماركوس في النوم ثانية، واستيقظ في صباح اليوم التالي وهو يشعر بتيبس وألم الرضِّ في عضلاته. كان الجرح في مرفقه وعضة الذئب يتسببان له بألم مبرح. أنّ من شدة الألم وهو يحاول النهوض من فراشه. وبعد لحظة دخل جرّاح مدرسة المصارعة الغرفة مسرعاً.

"ماذا تعتقد نفسك فاعلاً؟ عد واستلقي على فراشك فوراً، وإلا تسببت بانفتاح جروحك من جديد."

امتثل ماركوس لأوامر الجراح الذي تفحص جراحه فوراً وجدد له الضمادات على ذراعه. لكنه ترك آثار العضة والخدوش الصغيرة من دون ضماد.

"من الأفضل أن تتركها عرضة للهواء المتجدد. لقد خيّطت الجرح. تحتاج ذراعك إلى وقت أطول حتى يندمل الجرح. ويمكن نزع قطب الجرح في غضون ثمانية أو عشرة أيام. قل هذا الكلام للجراح في بيت سيدك الجديد، على افتراض أن هناك جراحاً."

أومأ ماركوس، ثم تنحنح وقال: "كيف حال فيراكس؟"

"الصبي الآخر؟ سوف يتعافى. لقد جعلته أضحوكة طبعاً، ولا يزال دائخاً قليلاً. إن عظام جمجمته السلتية الصلبة حمت رأسه من أن ينفلق نصفين. وفهمت أنه أصبح أضحوكة وسط زملاء

صفه. حتى أنهم أعطوه لقبا جديدا. يدعونه طعم الفأر. أما أنت فقد أصبحت بطلاً بنظرهم."

"بطل؟" هز ماركوس رأسه. "لم أخف في حياتي كلها كما خفت في تلك المصارعة."

"أوه. وما الذي توقعته؟" قال أبوقريطس متنهداً بضجر. "هذه هي حال المصارع دوماً. في أي حال، لقد أصبح هذا كله من الماضي. فقد سمعت أنك ذاهب إلى روما."

"سأصبح حارساً شخصياً لابنة أخت قيصر."

"حسناً. هذا بحد ذاته أمان كاف. أشك في أن تقوم بأي مخاطرات أكثر من حماية محروستك من المخاطر البسيطة."

"آمل أن يكون كلامك صحيحاً." قال ماركوس واستلقى في وضعية أكثر راحة. "متى سأكون جاهزاً للمغادرة؟"

نهض أبوقريطس وشد قامته وحكّ خده. "ربما بعد يومين أو ثلاثة. سيرسل سيدنا عربة من عرباته إلى روما لإحضار بعض الدروع التي كان قد أوصى عليها. وستسافر أنت في العربة ذاتها. فكر أيها الصغير أنك في غضون أيام قليلة ستكون في روما. هذه تجربة رائعة." قال أبوقريطس عبارته الأخيرة هذه بعينين توهجتا فجأة.

"نعم. آمل أن تكون تجربة رائعة." قال ماركوس موافقاً. وغرق فوراً في تفكيرٍ حول كيفية الوصول إلى الجنرال بومبيوس.

27

ثُبِتَتْ ذراع ماركوس المجروحة برباط إلى عنقه، وكان يسندها برفق كلما اهتزت العربة أو مالت جانباً بسبب نزولها في حفرة في الطريق. في البلدة التالية سينويسا، سيتوقفان قليلاً ويقضيان الليلة في أحد الخانات[1].

مع انتهاء فصل الشتاء واقتراب أول أيام الربيع، كانت الطرقات مزدحمة بالعربات والمسافرين الآخرين الذين أرادوا أن يستغلوا الطقس الجيد. فهناك عربات محملة بكل أنواع البضائع تتحرك في الاتجاهين، وناس فرادى وجماعات يتنقلون سيراً على الأقدام. وعندما مضت العربة في الاتجاه المعاكس، شاهد مجموعة سجناء مقيدين بالسلاسل. نظر إليهم بشفقة. معظمهم حفاة ويلبسون

---

1 الخان، أو النُزل – ويقابله اليوم الفندق: كانت الخانات في تلك الأيام تقدم المنامة والطعام للمسافرين، وهناك حظيرة ملحقة بها لإيواء وإطعام الحيوانات التي تجر العربات.

أسمالا بالية، وجوههم المتجهمة الكئيبة تبوح بيأسهم الداخلي وهم يفكرون في حياة العبودية التي تنتظرهم. استدار يتفرج عليهم للحظة، بغضب. شعر بأسى عميق لرؤية هؤلاء البشر المهانين. في النهاية ذكّر نفسه بحقيقة أنه كان في مزرعة والده عبيد. لقد قبل هذه الحقيقة بحكم نشأته بجوارهم، وكان أقرب إلى اعتبارهم أفراداً من العائلة وأصدقاء، وزعم أنهم كانوا راضين بمصيرهم. الآن عرف الوضع بشكل مختلف. فقد عاش كعبد وتحمل عبء الظرف معهم يومياً. وهو اليوم يتحرق شوقاً لطعم الحرية من جديد، لأن يكون سيد مصيره.

استمر يراقب مجموعة السجناء، وعندما مضت شاهد شخصاً يلبس معطفاً طويلاً ذا قلنسوة يقصد سينويسا، وراء العربية بمسافة خمسين خطوة تقريباً. كان الرجل يحمل عصاً وزبدية للتسوّل، وتوقف ليطلب بعض النقود من الحارس المسؤول عن السجناء، فدفعه الحارس بيده جانباً وتابع سيره. فكر ماركوس وهو يشيح بنظره بعيداً، ربما في هذه الحياة أشياء أسوأ من العبودية. لكن بخلاف العبيد حتى الشحاذون يستطيعون أن يختاروا طريقهم في الحياة.

فرقع سائق العربة بلسانه، و شد رسن فريق البغال ليحثها على السرعة. رماه ماركوس بنظرة غاضبة ذلك أن اهتزاز العربة كان يسبب له المزيد من الألم في ذراعه، من غير أن يزيد في سرعتها. لكنه مسك لسانه عن الفرقعة. سائق العربة بروتوس، رجل حر قوي البنية مكتنز الجسم تؤسيه حقيقة أنه كان حراً فقيراً كعبد. لم يتبادلا

الكلام منذ أن غادرا مدرسة المصارعة، و لم يكن ماركوس راغباً في رفقة الرجل لبضعة أيام أخرى قبل وصولهم إلى روما.

تباطأت حركة المرور مع اقترابهم من بوابات سينويسا، خصوصاً أن على جميع المارين من تلك البوابات، أن يتوقفوا لدفع رسم المرور. أما الآخرون فكانوا يدورون طويلاً حول البلدة ليدخلوها من الجهة الأخرى تهرباً من دفع الرسوم. عاد بروتوس يفرقع بلسانه نافذ الصبر وهو ينادي على البغال: "هيا، أسرعي. لا نريد أن نمضي طيلة النهار اللعين على هذه الطريق."

أخيراً دفع قائد قطار بغال أمامهما، رسم المرور وعبر البوابة. ثم جاء دور بروتوس وماركوس. تقدم جامع الرسوم من العربة وألقى نظرة على ما في داخلها وقال: "العربة فارغة. أنت لا تحمل أي بضائع غير العربة؟"

"بصرك جيد." دمدم بروتوس متذمراً. "أنا والصبي والعربة فقط."

"هل الصبي لك؟"

"إنه عبد. أنا أوصله إلى بعض الأرستقراطيين في روما."

"آه. حسناً. إذاً يجب أن تدفع رسوماً عنه وعن العربة أيضاً."

"ماذا؟" قال بروتوس عابساً، فاتصل حاجباه الكثيفان مع بعضهما. "أي هراء هذا تقوله؟ منذ متى تحصِّل سينويسا رسوماً عن العبيد؟"

"انظر هناك." قال جابي الرسوم وأشار إلى إعلان معلق فوق البوابة يحدد نوع الرسوم. وقد كتب في أسفله فقرة جديدة.

"قانون بلدي جديد صدر الشهر الماضي عن حكام البلدة. يضم العبيد إلى قائمة البضائع التي تستوجب الرسوم." وقال بطريقة بدت غير مقنعة: "آسف يا سيد. لكن يجب أن تدفع رسم الدخول عن الصبي."

استدار بروتوس وحملق في ماركوس غاضباً. "يجب أن لا أخسر نقودي بسببك. سيدفع سيدك الجديد هذه التكاليف عندما نصل إلى روما."

هز ماركوس كتفيه لا مبال. "يجب أن تتحدث في الأمر إليه إذاً. لا علاقة لي بهذه الأمور. فأنا مجرد عبد."

"ولا تنس هذا." قال بروتوس مزمجراً. "أي إجابة غير مهذبة ستكلفك الجلد. أتسمع؟"

التفت بروتوس إلى جابي الرسوم، أخرج محفظته ودفع المال ثم قال له: "قل لحكام البلدة عن لساني، إنهم مجموعة نصابين."

"شكراً يا سيد." قال الرجل الآخر مبتسماً. "سأحرص على نقل هذه الرسالة لهم. والآن تحرك."

فرقع بروتوس بلجام البغال وصرخ فيها أن تنطلق: "ياع! إلى الأمام، أيتها البغال الصماء!"

قعقعت العربة عبر البوابة إلى داخل البلدة. فزكم أنف ماركوس الهواء المليء برائحة الخضار المتعفنة ورائحة المجارير والعفونة. قاد بروتوس عربته باستهتار واضح بالناس الآخرين في الطريق العامة، ما كان يضطرهم إلى الهروب من أمام العربة ويقذفونه بالشتائم

بعد مروره. بقي على هذه الحال حتى انعطف عن الطريق الرئيسة ودخل فناء خان، فشد لجام البغال وأجبرها على التوقف.

"انزل يا فتى. وأمسك رسن البغال ريثما أفك العربة."

نزل ماركوس مستخدماً يده السليمة وذهب إلى أمام العربة ليمسك برسن البغال. نادى بروتوس على أحد عمال الخان وتساعد الاثنان على فك العربة عن البغال ودفعها وإسنادها على الجدار. ثم أخذ بروتوس رسن البغال من يد ماركوس وقادها إلى الإسطبلات. وأومأ باتجاه العربة قائلا لماركوس:

"ابحث لنفسك عن بعض القش واصنع منه فراشاً في العربة."

"وماذا عنك أنت؟ سأل ماركوس."

"أنا؟ سأجد لنفسي سريراً في الخان. أما أنت فابق في العربة ولا تغادر فناء الخان."

"وماذا سآكل؟" قال ماركوس وهو يزداد غضباً من سائق العربة. "فأنا لم أتناول طعاماً طوال اليوم. لا يمكنك أن تتركني أموت من الجوع."

"أنت عبد، وأستطيع أن أفعل بك ما أشاء."

"نعم، لكني لست عبدك أنت. لقد طُلب منك أن تعتني بي ريثما توصلني إلى روما."

أخذ بروتوس نفساً صاخباً من أنفه، ثم قال بفظاظة: "حسناً. سأرسل لك بعض الطعام، إن تذكرت." ثم سار مبتعداً ودخل عبر باب الخان المنخفض. حملق فيه ماركوس بغضب للحظة، ثم ذهب يبحث عن بعض القش في الإسطبلات وينقلها إلى العربة. وبعد ما

انتهى من فرش أرضية العربة بالقش، جلس وأسند ظهره على أحد جانبيها.

ودمدم لنفسه: "لا تزال عبداً."

شغل نفسه لبعض الوقت بالإصغاء إلى جلبة الشوارع المحيطة بالخان، التي يتخللها من حين لآخر نهيق بغل أو صراخ سكران ضاحك من داخل الخان. وبينما كان على وشك أن يغمض عينيه ويرتاح، رأى رجلاً يدخل فناء الخان بحذرٍ. كان يلبس معطفاً طويلاً بقلنسوة ويحمل زبدية بيده. سمع ماركوس رنيناً خفيفاً لبعض قطع النقود عندما هز الرجل طاسته. تذكر ماركوس أنه قد رأى الشحاذ سابقاً على الطريق. حافظ على هدوئه عندما شاهد الشحاذ يخفض طاسته عندما بدا له أن لا أحد في الفناء. تلفت الرجل حوله وهو يمشي بحذر إلى منتصف الفناء. لم ير ماركوس إلا ذقنه لأنه كان قد أخفى ما تبقى من وجهه. استدار الوجه المغطى نحوه وتوقف الشحاذ قليلاً، قبل أن يقترب من العربة.

قال له ماركوس: "أنت تضيع وقتك. فأنا لا أملك نقوداً لأعطيك."

"نقود؟" قال الشحاذ بهدوء. "أنا لا أريد نقوداً منك، يا ماركوس."

جفل ماركوس. "كيف عرفت اسمي؟"

"أعرفك جيداً." رد الشحاذ وربما أكثر مما تعرف نفسك.

اقترب من مؤخرة العربة، وهو يعرج قليلاً، ومرر عصاه أمام

اليد التي تحمل الزبدية، وأزاح قلنسوة المعطف إلى الوراء كاشفاً عن وجهه.

"بريكسوس." هز ماركوس رأسه متعجباً. "أملت أنك نجحت في الهرب. ما الذي تفعله هنا؟"

"كنت أنتظر الفرصة للتحدث إليك، يا ماركوس. لقد لحقت بك كل الطريق من كابوا." وتلفت بريكسوس حوله ليتأكد من خلو الساحة إلا منهما. ثم صعد العربة وجلس في الجهة المقابلة لماركوس قائلاً: "لدي ما أقوله لك. شيء مهم جداً. لكنني كنت مضطراً إلى التحدث مع آخرين قبل أن أستطيع قوله لك. لقد عرفوا الآن ما أعرفه ووافقوا على ضرورة إبلاغك به. إنه حقك ومصيرك."

كان ماركوس لا يزال يحاول التغلب على صدمة رؤية صديقه ثانية. وهز رأسه في حيرة من أمره. "ماذا تحاول أن تقول لي؟"

حدق فيه بريكسوس بقوة. "لا توجد طريقة سهلة لأخبرك بما أعرفه، وبعض مما أعتقد. يجب أن أسرع حيث أني لا أعرف كم من الوقت لدي قبل أن يأتي أحد ما."

قال ماركوس محذراً: "بريكسوس يجب أن ترحل! فإن رآك أحد وعرفك عندها سيقبضون عليك. ولن تستطيع الهرب بقدمك العرجاء تلك."

ضحك بريكسوس بمكر. "إنها ليست بالسوء الذي تبدو فيه. سأكون بخير. والآن أصغِ إلى ما سأقول."

فتح ماركوس فمه ليحتج، لكن بريكسوس رفع يده ليسكته وأومأ. ثم ربت على كتف ماركوس الأيمن.

"الأمر يتعلق بالوسم الذي رأيته على كتفك. لقد عرفته في الحال لكنه لم يعنِ لي شيئاً في البداية، حتى أخبرتني عن والدتك. قد قلت لي أنها كانت أَمَةً من أتباع سبارتاكوس."

"هذا صحيح. حتى أُسرت واشتراها والدي."

"ماركوس. يجب أن أقول لك إن أمك لم تكن من أتباع سبارتاكوس."

فانحنى ماركوس نحو بريكسوس قائلاً: "ماذا كانت إذاً؟ ولماذا قالت لي ذلك؟ لماذا كذبت علي؟"

" لم تكذب عليك. لقد كانت من أتباعه بشكل ما. لكنها كانت أكثر من ذلك بكثير. لقد كانت عشيقته. زوجته، بالطريقة التي يمكن أن يكون فيها للعبد زوجة."

"زوجة؟ شعر ماركوس بدمه يبرد. أمي... وسبارتاكوس؟"

"نعم."

"وكيف عرفت هذا؟" سأل ماركوس متشككاً.

"لأني كنت أحد أفراد مجموعته المقرّبة. كنا عشرين رجلاً، أقسمنا أن نحمي حياة سبارتاكوس. وقد وسَمَنا مثله، بوسم خاص. فعندما يموت أحدنا، كان يتم اختيار آخر ويوسم. نحن فقط من عرف بوسم ذئب روما على سيف مصارع، بل المصارع سبارتاكوس. لأنه هو من صمم الوسم وحصل عليه، وهو أول من حمل الوسم على كتفه، وهو بنفسه الذي وسمنا. كنا إخوة يا ماركوس. أبوك ونحن الآخرون. زوجته فقط شاركتنا معرفة سر الوسم!"

بلع ماركوس ريقه بعصبية. "وهو الوسم نفسه الذي أحمله على كتفي؟"

"نعم وعلى كتفي أيضاً. انظر هنا."

وأنزل بريكسوس كتف معطفه وتونيكه. بعدها فتل نحو ماركوس الذي شاهد أثر ندبة بيضاء رفيع يصور رأس ذئب على السيف. ثم أعاد ثيابه مكانها.

هز ماركوس رأسه قائلاً: "كلا. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لا بد أنه مصادفة."

"حسناً. تستطيع إذاً أن تتخيل كم تفاجأت عندما شاهدت الوسم على كتفك. وهذا ما دفعني لمعرفة المزيد عنه. ودفعني إلى إنقاذك من القفاز." صمت بريكسوس وفرك جبهته مفكراً. "تعرف بعد المعركة الأخيرة، عندما قتل سبارتاكوس وهزم جيشه، اختفت امرأته أماراتيس."

"أماراتيس؟ قاطعه ماركوس. لكن اسم أمي هو ليفيا."

"هذا هو اسمها الآن." قال ماركوس مبتسماً باقتضاب. "في أي حال، كانت حاملاً وأمرها سبارتاكوس أن تهرب إذا خسرنا المعركة. لكن لم يكن هناك مجال للهرب. فقد حاصرنا جيشا كراسوس وبومبيوس. وكما تعلم فقد كنت أنا مصاباً في المعسكر أثناء المعركة الأخيرة. لقد رأيت أماراتيس. أخبرتني أنها كانت تحمل معها كل ما هو نفيس بالنسبة لها، وسوف تحاول الوصول إلى أهلها. تلك كانت آخر مرة تحدثنا فيها. أخمن الآن أنها أخذت الوسم الحديدي معها. لا بد أنها عندما أسرت، كانت لا تزال تحتفظ

به، وأصبح قائد المئة سيدها. وعندما وضعت مولودها وسمته. وأمسك بريكسوس يد ماركوس بلطف. لقد وسمتك."

"لكن لماذا؟"

"لأنها أرادتك أن تحمل علامة الثورة معك. وأتخيل أنها كانت عازمة أن تخبرك الحقيقة ذات يوم."

"أي حقيقة؟ سأل ماركوس وهو يشعر بتعاظم الشعور بالغثيان في أمعائه. أي حقيقة؟"

"حقيقة أنك لست ابن قائد المئة. لأنها كانت تنتظر مولوداً عندما أُسرت، وكان والد ذلك الطفل هو سبارتاكوس نفسه."

"كلا. كلا! قال ماركوس وهو يهز رأسه. ليس صحيحاً. أنا أعرف من هو والدي. لقد كان قائد مئة. كان بطلاً، لقد أحببته."

أحس أنه يختنق عندما شعر أن كل المشاعر التي حملها تجاه الرجل الذي رباه، كابن حقيقي تصبح أقوى. وشعر بقلبه يتورم بالشوق والحزن.

"ششششششش!" حذره بريكسوس، وهو يتلفت حوله بقلق. "ماركوس إنها حقيقة صعبة لكنها الحقيقة. صدقني."

"كلا لن أصدقك." قال ماركوس. ومسح أول دموع تطفر من عينيه. "إنه كذب."

"كيف تفسر لي الوسم إذاً؟"

"لا أستطيع تفسيره."

"فكر يا ماركوس. عد بذاكرتك إلى الطفولة. لا بد أن تتذكر بالتأكيد أن أمك وتيتوس كانا يخفيان عنك شيئاً ما؟"

حاول ماركوس أن يصفي ذهنه ويتذك رغماً عنه. على الأغلب تذكر حياته في المزرعة، أمه وتيتوس، والطبيعة الغريبة لعلاقتهما من حين لآخر. وتذكر أيضاً كيف كانت أمه تقول له دائماً إنه سيكون ذات يوم، أكثر من مجرد ابن مزارع. أكثر بكثير.

"ماركوس أصغِ إلي. ليس لدي كثير من الوقت. لا أتوقع منك أن تتفهم هذا كله دفعة واحدة. أنت الابن الوحيد لسبارتاكوس. وهذا يعني أنك عدو العبودية، كما يعني أيضاً أنك عدو روما. فإن اكتشفوا حقيقة هويتك، فستكون في خطر ماحق. فلا تخبر أحداً ما أخبرتك به. لكن هناك أكثر بكثير مما تعرفه. لقد تغلبت روح سبارتكوس على هزيمته. فهو لا يزال يحيا في قلوب العبيد في طول الإمبراطورية الرومانية وعرضها. فإن وجدت أبداً، ثورة أخرى فسيكون هناك الآلاف ممن سينطلقون للانضواء تحت راية ابنه. قد لا يأتي ذلك اليوم أبداً. لكن عندما يأتي، سيكون قدرك أن تحيا لتكمل ما بدأه والدك. هل تفهمني؟"

"قدر؟" شعر ماركوس بعقله يفلت منه. فهز رأسه: "كلا! قدري أن أستعيد حريتي وأنقذ أمي من العبودية. هذا هو قدري."

"ربما الآن. لكن هذا لا يغير في هويتك شيئاً وما الذي تمثله. وستتقبل الأمر مع مرور الزمن." عاد بريكسوس وأسند ظهره إلى الوراء. "لقد أخبرت العبيد الآخرين الذين لا يزالون يتذكرون سبارتاكوس. حتى الآن يهمسون أن ابنه حي يرزق."

حملق فيه ماركوس غاضباً. "إذاً لقد جعلت حياتي في خطر."

"كلا. على الإطلاق. كل ما يعرفونه هو أنك حي وأنك مصارع مثلما كان والدك من قبلك."

"لقد أخبرتهم الكثير." قال ماركوس بمرارة. "فإن عرف أسياد روما بهذه المعلومات، فسيبحثون عني حتى يجدوني."

"إذاً، عليك ألا تثير الريبة من حولك. قال بريكسوس ناصحاً. أعرف يا ماركوس. إنه سر خطر. وأشعر بالأسف أنك ستحمل هذا العبء على كتفيك الفتيين وحدك. لكنك ابن والدك. فإن جاء وقت ينتفض فيه العبيد على أسيادهم من جديد، فسيحتاجون إلى رمز يلتفون حوله. سيحتاجونك." ثم تلفت بريكسوس حوله ثانية. تحرك نحو نهاية العربة دافعاً ساقيه خارجها حتى وصلتا الأرض وقال: "يجب أن أغادر. فقد رأيت بالقرب من الخان إعلان مطلوب، يحمل كل مواصفاتي."

"أين ستذهب؟" سأله ماركوس الذي أراده ألا يغادر. خصوصاً بعد ما تكاثرت الأسئلة في ذهنه.

"سأبقى حراً ما استطعت. وسأسافر حيثما يوجد عبيد لأخبرهم أن الثورة العظيمة لم تنته. إن الأمل لا يزال حياً. وحيثما تجد سيداً يجلد عبداً، ابحث عني يا ماركوس. ستجدني هناك. وكذلك ستكون روح سبارتاكوس، وروح ابنه أيضاً."

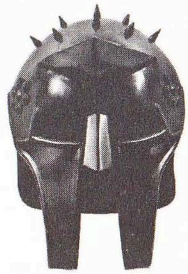
انحنى إلى الأمام وأمسك بيدي ماركوس. "اعتن بنفسك، أنت بمثابة ابني."

استدار بريكسوس ومضى مسرعاً نحو بوابة الخان ثم إلى الشارع. شعر ماركوس برغبة في اللحاق به، لكنه تذكر أمه وعرف

أنه يجب أن يبقى في العربة. يجب أن يذهب إلى روما و ما ينبغي أن يفعله هو أن يصحح الخطأ الفادح الذي ارتكب بحق عائلته. توقف عند هذه الفكرة وابتسم بمرارة. لقد كانت عائلته مجرد كذبة. فهو لا يحمل دم تيتوس في عروقه وليس مجبراً على الانتقام له.

وبينما هو جالس بانتظار أن يرسل له بروتوس شيئاً يأكله، شعر ماركوس بهدف مبهم المعنى يتكوّن داخله. لم يكن في يوم من الأيام رومانياً حراً. في الواقع إن دم العبد هو ما كان يجري في عروقه وسيبقى. رابطته الأساسية كانت مع العبيد لا مع الأحرار. لقد بدأ قضيته بهدف تصحيح الظلم الذي ارتكب بحقه وحق أمه. والآن هناك ظلم أكبر وأعظم، يلوح أمامه ويجب أن يقرر سريعاً ما موقفه منه. بوسعه أن يختار ما وضعه بريكسوس بين يديه، أو أن يصنع مصيره الشخصي. وفي كلتا الحالتين، يجب أن يذهب إلى روما. مد يده فوق كتفه وتحسس بأصابعه ندبة الوسم، وهو يهمس لنفسه.

"أبي..."

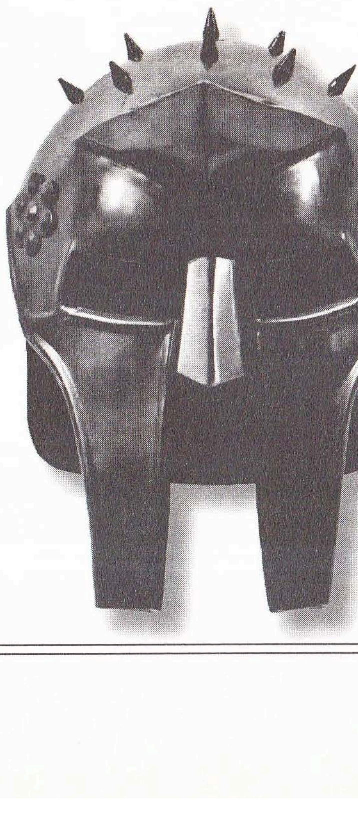


في الحلبة



أنماط القتال

كانت منازلات المصارعين الجماهيرية، تخطط بدقة عالية لتظهر مهاراتهم القتالية. حتى عندما كانوا يتصارعون حتى الموت، كان الجمهور يريد أن يرى عرضاً جيداً قبل أن يقتل الخاسر. وغالباً ما كان النزال يقتصر على اثنين من المصارعين بأنماط قتال مختلفة. وعندما كان مصارعو كابوا المبتدئون ينهون تدريبهم الأولي، كان المدربون يقررون أي نوع من القتال يجب أن يتخصص فيه كل مصارع.



مصارع الشبكة

يلبس درعاً خفيفة لأن أسلوب قتاله يعتمد على السرعة ورشاقة الحركة. يستخدم شبكة ورمحاً ثلاثي الرؤوس وخنجراً ليصيد ويقتل خصومه.



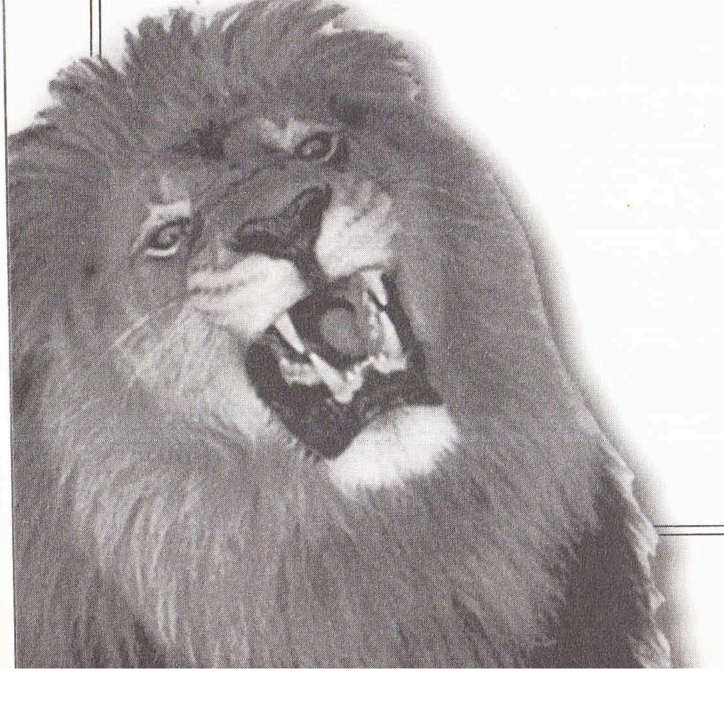
المطارد

مدرَّع أكثر من مصارع الشبكة. وهو أبطأ منه حركة بسبب ثقل دروعه. يستخدم سيفاً وترساً طويلاً مقوساً يكاد يحيط بجسده. كما يلبس درعاً إضافية على ساقه اليسرى ويده اليمنى وساعده الأيسر الذي يحمل الترس.

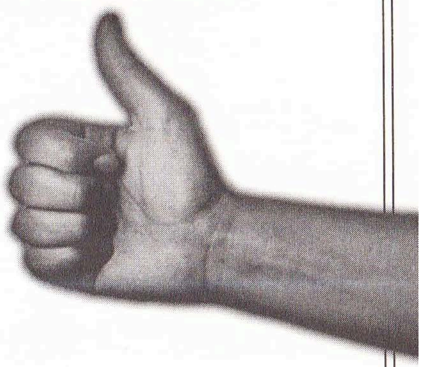


مصارعة الحيوانات

مقاتلة الحيوانات المتوحشة، مثل النمور، الفهود والأسود. كان لدى الـ Bestiarii المصارعين مدرستهم الخاصة للتدريب على هذا النوع من المصارعة. لكنّ بعضاً من عبيد كابوا، كانوا يُدربون على مصارعة الحيوانات، وقد صارع ماركوس الذئاب في أول قتال يخوضه. كان المصارع يلبس درعاً خفيفة وخوذة بقناع، وكان يستخدم رمحاً أو سكيناً، سوطاً وأحياناً قفصاً. كانت مصارعة الحيوانات تلقى شعبية كبيرة لدى الجمهور. وكانت مكافآت مصارعي الحيوانات مجزية جداً، كما كانت بالنسبة للمتمرسين أقل خطورة من منازلة مصارعين آخرين.

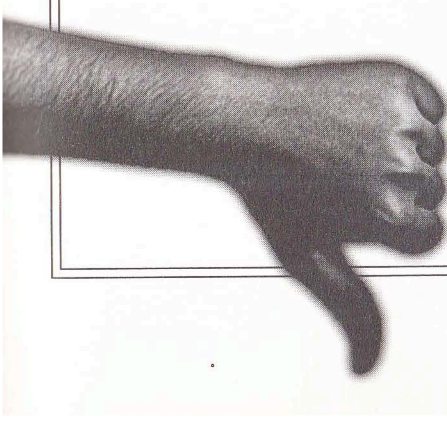


حكم الجمهور



كانت حياة المصارعين تتوقف أحياناً ليس على الانتصار على الخصم، بل أيضاً على إمتاع الجمهور. فالمصارع الذي يخسر النزال وهو على وشك الموت على يد خصمه، كان بالإمكان أن يُنقذ الجمهور حياته، إذا أقنعهم قتاله وأعطوا إشارة الإبهام إلى الأعلى.

لكن إشارة الإبهام إلى الأسفل، من جهة أخرى، كانت تعني أنه حُكم عليه بالموت. إذ كان الجمهور يراهن بالمال على مصارعيهم المفضلين، وقد عرف ماركوس أن المصارع الذي يفوز بحظوة الجمهور ورهانهم على فوزه، سيموت بالتأكيد إن خسر المباراة، لأن مناصريه سيغضبون بسبب خسارتهم ما راهنوا به عليه.

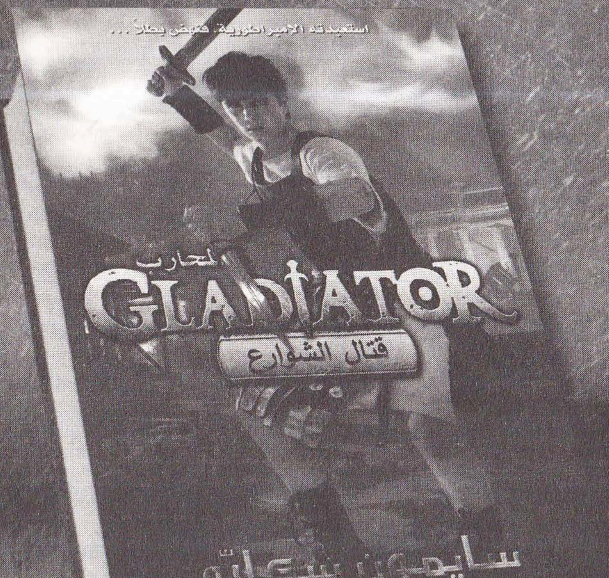


ربيع 2013

شجاع، وحشيّ، متعطّش للدم.

يمضي ماركوس في قتاله البطولي!

لا تفوِّت المغامرة الملحميّة التالية



اقلب الصفحة
لقراءة
الفصل الأوّل من
"قتال الشوارع"

1

لحظة تراجع نحو زاوية الفناء، عرف ماركوس أنه ارتكب الخطأ القاتل. شعر بعقب صندله يلامس السطح الخشن للجدارين اللذين يشكلان الزاوية، دفعته غريزته للتقدم نصف خطوة إلى الأمام ليمنح نفسه فراغاً يتحرك فيه. هذا ما تدرّب على فعله في مدرسة بورسينو للمصارعة. "أعطِ نفسك فراغاً تتحرك فيه، وإلا وضعت نفسك تحت رحمة خصمك." هذا هو الدرس الذي حرص رئيس المدربين القاسي، توروس على تكراره على مسامعهم من دون ملل حتى ترسخ في عقول المتدربين الصغار والكبار في مدرسة المصارعة. لم يستطع ماركوس أن يصدق أنه خرق واحداً من أهم قوانين المصارعة.

في الحادية عشرة من عمره، كان ماركوس أطول من أترابه، وجعله التدريب القاسي أقوى وأكثر صلابة ومهارة في استخدام السيف. برغم ذلك، لقد عرف أن الفروق كانت ضده عندما اضطر لمواجهة خصمه الثلاثيني القوي النحيل السريع الحركة الدقيق النظر، والذي نجح في توقع كل حركة من حركات ماركوس في المواجهة بينهما.

وعندما استل سيفه بدأ الرجل يبارزه بضربات كسولة وماكرة، لكن نظرات وتعابير الاستخفاف سرعان ما تلاشت عندما استطاع ماركوس أن يتفادى ضرباته.

توقفت المبارزة قليلاً عندما تراجع الرجل بضع خطوات ليلقي نظرة أخرى على خصمه الصغير. ودمدم غاضباً: "لست غراً[1] ساذجاً. لكنك لست أكثر من جروٍ صغير بحاجة إلى الكثير من الجلد. وهذا ما سأفعله." أنهى كلامه وهجم على ماركوس بمنتهى الجدّية الآن، ورددت جدران الفناء صدى قعقعة سيفيهما.

من الخارج، ومن شارع روما الخلفي الذي يمر وراء فناء الإسطبل، وصلت أصوات جلبة الناس مبهمة، وازدادت تشويشاً بسبب صخب دفق الدم في رأسه. لم يهتم لها ماركوس، بل ركز كلّ انتباهه على خصمه مراقباً أدق تفاصيل حركة جسده التي قد تشي له بالهجوم التالي.

كان الرجل جيداً. لكنه لم يكن جيداً لدرجة أنه قد يصمد طويلاً في الحلبة أمام رجل متمرس مثل توروس. إنه جيد بما يكفي ليتغلب على ماركوس، والنهاية هي مسألة وقت. لقد كان أكبر وأقوى، وبرغم أنه لم يستطع أن يجاري ماركوس في سرعة ورشاقة الحركة، فقد كان قادراً على أن يقطع عليه أي محاولة للهرب، وسرعان ما حشره في الزاوية. عرف ماركوس أنّ أقصى ما يمكن أن يأمل فيه، هو أن ينجح في فعل شيء لا يستطيع الرجل أن يتوقعه. وعرف ماركوس من طريقة تحرك الرجل وطريقة استعماله للسيف القصير أنه قد تدرب كمصارع.

رمش ماركوس ليتخلص من قطرة عرق سقطت من حاجبه.

---

1 الغر: صفة تطلق على المبتدىء الذي لا يملك خبرة.

وللحظة خاطفة شتم نفسه لأنه سمح للرجل أن يحشره في زاوية الفناء. بعدها طرد الفكرة من رأسه وأقعى على أهبّة الاستعداد فوق الأرض القاسية وروث الأحصنة. دفع بثقل وزنه إلى الأمام بحيث أصبح الآن جسمه محمولاً على أصابع قدميه، ومستعداً للوثب إلى الأمام أو جانباً، في أي لحظة. سيفه على جانبه، موازياً للأرض، جاهزاً للطعن في حال الهجوم أو لصد أي ضربة يمكن أن يوجهها إليه الرجل. ومد يده اليسرى إلى الأمام لتساعده على التوازن في وقفته تلك.

توقفا بعض الوقت وهما يحدقان أحدهما في الآخر.

لاحظ ماركوس حركة وراء خصمه، حيث لاح له أن شخصاً ما كان يراقب من الجانب الآخر من الفناء وقد غير مكانه. تبعه ماركوس للحظة بنظرة خاطفة انتبه إليها خصمه فاغتنم الفرصة. وثب الرجل على ماركوس وهو يصرخ وضرب بسيفه رأس ماركوس. انحنى ماركوس عندما صلّ رأس السيف شاقاً الهواء على بعد إنشات قليل من وجهه. وفي اللحظة ذاتها، وجّه طعنة إلى ساعد خصمه التي ضربت بالسيف وأصابها بجرح خفيف.

تراجع الرجل إلى الوراء وهو يشتم، ثم رفع ذراعه ينظر إلى الجرح. كان مجرد خدش صغير، لكن الدم ينزف منه بغزارة. وسال خيط قرمزي متعرج على طول ساعده بينما كان يتفحص الخدش. بعدها قست قسماته وحدق في ماركوس بنظرة جليدية، وقال: "سيكلفك هذا كثيراً، يا ولد. ستدفع ثمنه غالياً."

أنزل ذراعه وأحكم قبضته على السيف، خشية أن يسيل الدم إلى يده ويجعل السيف ينزلق منها. وسار نحو ماركوس وقد زمّ شفتيه وهو يزمجر بوحشية. "لا فائدة من محاولة صدّ ضرباته هذه المرة." وكانت قعقعة السيفين تدوي عالياً في أذني ماركوس وهو يُجبر على

التراجع إلى الزاوية من جديد. ضرب رأس سيف الخصم الجدار بجانب رأس ماركوس، فتناثر بعض الجص في الهواء. ثم ارتفع نصل السيف عالياً فوق رأسه جاهزاً للضرب.

هدر صوت عميق من الطرف الآخر من الفناء: "توقف!"

لكن الصوت لم يغير في الأمر شيئاً، فسدد الرجل ضربة أخرى إلى ماركوس. في اللحظة المناسبة وثب ماركوس إلى الأمام داخل مجال حركة السيف القوسية. بقي منخفضاً، ورمى بكل ثقله في هذا الهجوم وأصاب بواقية سيفه أربية خصمه. شهق الرجل من شدة الألم وتراجع إلى الوراء متعثراً، لكن صدمته انقضت بسرعة. فأطلق صرخة غضب وكوّر قبضته اليسرى وضرب بقوة. حاول ماركوس أن يتفاداها لكن اللكمة أصابت صدغه وقذفت برأسه إلى الجهة الأخرى. امتلأت عيناه بشرر أبيض باهر وهو يشعر بجسده يطير في الهواء. سقط على الأرض سقطة قوية جعلته يزفر الهواء من رئتيه. تدحرج منقلباً على ظهر محاولاً أن يلتقط أنفاسه بينما الجدران والسماء تغزل فوقه. ظهر الرجل في المشهد أيضاً وهو ينحني فوقه مزمجراً.

شعر ماركوس برأس السيف يلامس نحره أسفل حنجرته. أُسقط في يده، سيقتله خصمه. سيقطع النصل حنجرته قبل أن يصل رأسه إلى قمة عموده الفقري. اجتاح قلبه طوفان الخوف أولاً ثم الندم والعار. لقد فشل في إنجاز الشيء الوحيد الذي نذر حياته من أجله. لقد فشل في العثور على أمه وتحريرها. أمه التي اعتقلت معه في الوقت نفسه وأخذت أَمة إلى مزرعة ديسيموس في اليونان. إن مات ماركوس، فهذا يعني أنه حُكم عليها أن تمضي بقية أيامها هناك.

أغمض ماركوس عينيه بقوة وتضرّع إلى الله أن تُنقَذ حياته.

"يكفي هذا يا فيستوس!" قال الصوت نفسه ثانية. "إن قتلت

الصبي، فسأصلبك قبل انقضاء النهار."

خيم صمت قصير قبل أن يختفي ضغط رأس السيف عن حنجرة ماركوس، الذي تجرأ أخيراً أن يرمش عينيه ويفتحهما. كان جسده بارداً من شدة الصدمة، وأوصاله ترتجف وهو ممدد على ظهره في الزاوية. وكان فيستوس لا يزال ينحني فوقه، وهو يكز على أسنانه محبطاً ومن ورائه السماء الملطخة بالدخان. وبرغم أن الطقس كان أواخر فصل الربيع، كانت الغيوم منخفضة في سماء روما وتهدد بالمطر. نهض فيستوس واقفاً وشدّ قامته، عكس اتجاه سيفه ووضعه في غمده قبل أن يلتفت نحو الباب وراءه وينحني باحترام شديد.

نهض ماركوس أيضاً وهو يتنفس بصعوبة، ووقف بعيداً عن فيستوس وانحنى بدوره. وعندما رفع رأسه وشد قامته، شاهد الرجل يمشي بخطوات واسعة باتجاههما وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة. توقف الرجل أمام ماركوس ونظر إليه كمن يقيّم شيئاً، ثم التفت إلى فيستوس قائلاً: "حسناً. ما رأيك به؟"

توقف فيستوس قليلاً قبل أن يدلي برأيه بحذر. "كنت حكيماً في شرائه يا سيدي. إنه سريع الحركة وخبير باستخدام السيف الخفيف. لكن الصبي لا يزال بحاجة إلى تعلم الكثير من الأشياء."

"بالتأكيد هو بحاجة لتعلم الكثير. لكن هل تستطيع أن تعلمه؟ فإن كان سيصبح حارس ابنتي، فيجب أن يكون جاهزاً للتعامل مع أي تهديد بالخطر. حسناً؟"

زمّ فيستوس شفتيه قليلاً قبل أن يجيب. "أستطيع إن كانت تلك رغبتك، يا سيدي."

"إنها رغبتي." قال الرجل بابتسامة سريعة. "اتفقنا إذاً. الولد في عهدتك. ستدربه على القتال. يجب أن يصبح قادراً على استخدام

مختلف أنواع الأسلحة بالإضافة إلى السيف. يجب أن يصبح قادراً على استخدام الخنجر، ورمي السكين، والهراوة ويديه العاريتين.» توقف الرجل عن الكلام وهو ينظر إلى ماركوس ثانية. لم يكن في عينيه الزرقاوين الباردتين أدنى أمارة دعابة عندما استأنف كلامه إلى فيستوس. «ذات يوم، قد يصبح ماركوس الصغير مصارعاً في الحلبة. وحتى ذلك الحين أريدك أن تبني على ما تعلمه في مدرسة بورسينو للمصارعة. لكن يجب أن تعلمه أيضاً طرائق قتال الشوارع إن كان سيصبح حارساً شخصياً صالحاً لابنتي جوليا.»

أومأ فيستوس برأسه: «أمرك يا سيدي.»

«إذاً، يمكنك أن تغادرنا الآن. وابحث عن خادمي الشخصي وأخبره أن يهيّئ لي أفضل توجا[1] عندي نظيف ومعطر لصباح الغد.» وأضاف مازحاً: «فلا يتوقع العامة أقل من نزول أحد قضاتهم الرئيسيين. وسأكون متألقاً وعطراً عندما أقف إلى جانب ذلك الأحمق السمين بيبلوس.»

«أمرك سيدي.» قال فيستوس. وانحنى ثانية قبل أن يغادرهما مسرعاً عبر الفناء عائداً إلى المنزل. وعندما ذهب التفت الرجل إلى ماركوس.

«تعلم يا ماركوس أن لي أعداءً كثراً في روما. أعداء يريدون إلحاق الأذى بي وبعائلتي. وهذا ما يحيجني إلى شخص أثق فيه لحماية جوليا.»

«سأبذل قصارى جهدي، يا سيدي.»

«أريد أكثر من قصارى جهدك، يا ولد. يجب أن تعيش لتحمي

---

1 toga: ثوب روماني، رسمي، فضفاض.

جوليا. في كل لحظة من صحوك، أريد أن تكون عيناك وأذناك متيقظتين لكل تفاصيل محيطك، إن كنت تريد أن تتحرى التهديدات قبل أن تلحق بها أي أذى. ولا يقتصر الأمر على استخدام عينيك وأذنيك، بل يجب أن تستخدم عقلك أيضاً. أعرف أنك تمتلك بديهة سريعة ، وقد أثبت هذا هناك في كابوا."

بعد توقف قصير، بدآ يستعرضان القتال الذي هزم فيه ماركوس فيراكس، الولد الذي يبلغ ضعف حجمه تقريباً، قبل أن يصارع ذئبين ويتغلب عليهما أيضاً. لكن أياً من ذينك الانتصارين لم يدفعا هذا الرجل إلى اقتنائه، بل إنقاذ حياة ابنته جوليا عندما سقطت عن المنصة إلى الحلبة، عندما كانت تحت رحمة الذئبين الضاريين، وهذا ما جعله مديناً لماركوس. لكنه في الوقت نفسه، أدرك فرصة الاستثمار في هذا الصبي الذي قد يصبح يوماً ما مصارعاً مشهوراً. فإذا حظي ماركوس بتأييد الجماهير سينتقل هذا التأييد إلى مالكه. وهكذا تم شراء ماركوس من مدرسة المصارعة، ثم جرى تناقله من مالك إلى آخر مثل أية بهيمة أخرى.

انحنى إلى الأمام وربّت قليلاً على صدر ماركوس، وقال: "قد أصبح أحد القضاة الرئيسيين، أحد الرجلين الأكثر نفوذاً في روما، لكن حتى أنا، كايوس يوليوس قيصر، يمكن أن أُقتل مثل الآخر. لدي رجال تحميني، ورجال تتجسس لصالحي، وبرغم ذلك أشعر أنك قد تثبت أنك أحد أفضل الخدم لدي. فعندما يثير الرجال الشك، فإن صبياً صغيراً قد لا يلفت الانتباه." توقف قليلاً، ثم نقر على ذقنه: "هل تفهم ما الذي أريده منك يا ماركوس؟"

طفح قلب ماركوس بالغرور لدى مديح قيصر له وثقته فيه. لكنه أدرك أن الرهانات كانت عالية جداً. إنها بالتحديد قضية حياة أو

موت. وسيكون هو في قلب الحدث. تسارع نبضه وهو يحدق في عيني سيده ويومئ: "أفهم. وأنا مستعد، يا سيدي."

ابتسم قيصر باقتضاب، ونظر إلى ماركوس وبدا أنه مضى وقت طويل قبل أن يعاود الكلام ثانية: "تعرف، فيك شيء غامض يا ولدي. لست عبداً عادياً. أي شخص يمكن أن يلاحظ ذلك. فأنت تمتلك شجاعة وتصميماً وصلابة أكثر مما تسمح به سني عمرك. لا بد أن يكون والدك فخوراً بك، أينما كان."

"أبي ميت يا سيدي."

"أوه! وأمك؟"

"إنها أَمةٌ يا سيدي. برغم أني لا أعرف أين هي." كذب ماركوس. فقد أدرك أنه لا يستطيع أن يخبر قيصر حقيقة أمه. وإذا انكشفت هويته الحقيقية، فسيُحكم عليه بالموت هو وكل من يدعي النسب إلى ذلك الدم مثله.

لأن والد ماركوس هو سبارتاكوس، عدو روما اللدود، المصارع الذي قاد جيش ثورة العبيد الذي تحدى قيصر وأصدقاءه ذوي الدم النبيل. كان أبوه مصارعاً من أجل الحرية وكاد يدمر روما وكل ما تمثله.

لقد عرف ماركوس أن هذا الرجل المدعو قيصر، وبرغم كل الامتنان الذي أظهره لإنقاذه حياة ابنته، سوف يقتله في مكانه وفي الحال، إن هو اكتشف هوية ماركوس الحقيقية.


أتريد المزيد من الحركة؟
المزيد من المغامرة؟
المزيد من الإثارة؟
مصيره ينتظره
عالم المتحولين
صحوة الذئب
لا يمكنك الهروب من
العدو
تشارلي هيغسون
روّاد الزمن
ألكس سكارّو
اقرأ مغامرات الساقي المثيرة للشباب!

لا فرصة ثانية للمحارب.
تذكّر ذلك جيّداً وقد تبقى حياً.
اِنسَ وتمُتْ حتماً!

روما، 61 قبل الميلاد

جُنِّد ماركوس كورنيليوس بريموس محارباً، ليواجه حياة جديدة من التدريب الوحشي، محكومة بقوانين صارمة، ليتعلّم مهارات نخبة المقاتلين.

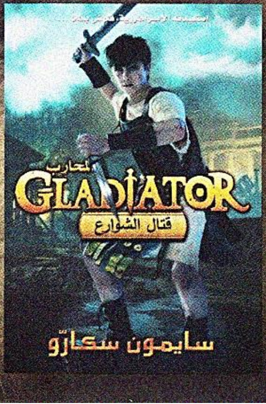
لا يستطيع ماركوس ببساطة أن ينسى ماضيه. قتل جنودٌ والده، واختُطفتْ أمّه واستُعبدت. يصمّم ماركوس على إيجاد بومبيوس العظيم، قائد والده القديم، كي يثأر لعائلته ويحرّر أمه.

لكن ماركوس، من دون أن يعلم، يحمل سراً قاتلاً. وإذا اكتشف الرومان هذا السرّ،

فلن يكون أمامه مفرّ ...

"مليئة بالإثارة والتشويق، تجمّد الدم في عروق سريعي الانفعال وتحرّكه في عروق الباردين."
Guardian

لا تفوّت الرواية الثانية من السلسلة الملحمية ...



ISBN 978-1-85516-899-2

الساقي

9 781855 168992 >

www.daralsaqi.com